

مختصر كتاب إظهار الحق

للعلاَّمة الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانويِّ الهنديِّ

(رحمه الله)

اختصار وتدقيق محقِّق الكتاب

د. محمَّد أحمد محمّد عبد القادر ملكاويّ

الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود

طبع ونشر

وزارة الشؤون الإسلاميَّة والأوقاف والدعوة والإرشاد

وكالة شؤون المطبوعات والنشر

الرياض - المملكة العربيَّة السعوديَّة

وقف لله تعالى

١٤١٦هـ

ⓒ وزارة الشؤون الإسلامية ، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ملكاوي ، محمد عبد القادر

مختصر اظهار الحق

٢٣٢ ص ، ١٧×٢٤ سم

ردمك ١-٠٣٠-٢٩-٩٩٦٠

١ - الإسلام والمسيحية   ٢ - الديانات المقارنة   أ - العنوان

ديوي ٢١٤,٢٧   ١٦/٠٠١٩

رقم الإيداع : ١٦/٠٠١٩

ردمك : ١-٠٣٠-٢٩-٩٩٦٠

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الأمي محمد وعلى آله وصحبه وبعد :

فقد يسّر الله لي تحقيق كتاب (إظهار الحق)، لمؤلفه العلّامة الشيخ : رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي ، وكان هذا التحقيق على نسختيْ المؤلف الذهبيتين : (المخطوطة والمقروءة)، وصدرت الطبعة الأولى بتحقيقي عام ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م في أربعة مجلدات، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ورغب إليّ كثير من الزملاء أنْ أختصر كتاب : (إظهار الحق) في مجلد واحد، سهل العبارة، واضح الإشارة، تسهل ترجمته إلى اللغات الأخرى، ليكون سدّاً منيعاً في وجه المنصرين، الذين يجتهدون في نشر الشُّبه ضد دين الإسلام، ولكن انشغالي بطباعة بعض كتبي حال دون تنفيذ رغبتهم، ثم توِّجَتْ تلك الرغبات بتوجيه من الأخ الكريم الدكتور عبد الله بن أحمد الزيد ، الوكيل المساعد لشؤون المطبوعات والنشر بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، حيث نبهني إلى ضرورة اغتنام الوقت في هذا العمل ، وبخاصّة بعد أنْ حدثتْ تطورات خطيرة في العالم ، جاهر فيها الصليبيون بعداوتهم للإسلام ، وبرغبتهم في تنصير العالم الإسلامي خلال فترة وجيزة ، عندئذ جَدَّ بي الجدّ لإخراج هذا المختصر ، وأرجو ممن يريد ترجمته إلى أية لغةٍ أنْ ينقل نصوص كتب العهدين من الطبعات المتداولة بتلك اللغة ، لا أنْ يترجمها باجتهاده .

وقد أدخلتُ في هذا المختصر بعض المعلومـات الإضافيَّة للتوضيح، مثل تـاريخ بعض الحوادث، وسنـة وفـاة بعـض الأعلام، وإذا كـان العَلَـم يُكتب بصيغتين، أو كانت البلدة لها اسم قـديم واسم حديث، كتبتُ الاسمين معاً، وإذا كان نفس الاسم يُطلق على بلـدتين، حدَّدتُ المقصودةَ منهما، ووضَّحتُ بعضَ المصطلحات، وزدتُ معلوماتٍ عـن بعض الحوادث التاريخيَّة النصرانيَّة والإسلاميَّـة؛ لزيادة البيـان، ووضعتُ الحركات اللازمـة على بعض الأحرف؛ لإزالة الالتبـاس في وجه النُّطق الصحيح بها، وقـد وردتْ أسماء بعض الكتب دون ذِكر أسماء مـؤلِّفيها، فـذكرتُ اسـمَ المؤلِّف وزمان وفـاته، وعـزَّزْتُ بعضَ النصـوص في كتب العهدين بـذكْرهـا من عـدة طبعات، وتصرَّفتُ في تـرتيب بعض المعلومـات تقديماً وتأخيراً، بما يكـون نافعاً للقـارئ، ولا يُشتِّتُ فكره، ودمجتُ الأبواب الثلاثة الأولى من كتاب (إظهار الحقِّ) في بـاب واحد؛ ليكونَ باباً مستقلاًّ في كتب أهل الكتاب وبيان أسمائها وتحريفها ونسخها، وما فعلت ذلك إلاَّ للمصلحة المرجوَّة في أنْ يكون هذا المختصر نافعاً للقارئ غاية النفع، وغير مخلّ بالمقصود.

فأقول وبـالله التوفيق: رتَّب العـلاّمة الشيخ رحمت الله بن خليـل الرحمن الكيرانوي كتابه القيم - إظهار الحق - على مقـدمة وستة أبواب، وفيما يلي زبدة هذا الكتاب:

د. محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي
الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود
الرياض
١/ ١/ ١٤١٥هـ
الموافق ١٠/ ٦/ ١٩٩٤م

المقدمة

بيان الأمور التي يجب التنبيه عليها

١ - أنّ النقول المنقولة عن كتب علماء البروتستانت في كثير من المواضع وردت بطريق الإلزام، لا على سبيل الاعتقاد.

٢ - أنّ البروتستانت يغيِّرون كتبهم دائماً، بتبديل بعض المضامين أو بالزيادة فيها أو بالنقص منها، ولذلك يقع الاختلاف الكبير بين الطبعات اللاحقة والسابقة، فعلى القارىء أنْ يتنبه لذلك .

٣ - لا حرج في إطلاق لفظ الغلط أو الخطأ أو الكذب على كثير من المضامين والقصص المفتراة على الأنبياء؛ لأنها من التحريف الواقع في الكتب السماوية، وليست من كلام الله تعالى، ولا يُعدّ ذلك من قبيل إساءة الأدب إلى الكتب السماوية؛ لأنّ إظهار ما فيها من الكذب والتحريف وإنكار المضامين القبيحة واجب على كل مسلم .

٤ - أنّ عادة علماء النصارى أنهم يأخذون الأقوال الضعيفة القليلة في كتب علماء المسلمين ويُشهِرونها، ثم يردّون عليها، ويوهمون القارئ أنّ كتب علماء المسلمين مليئة بالأقوال الضعيفة، والحال أنهم يتركون الأقوال القوية ولا يشيرون إليها، وإذا نقلوا قولاً فتصْدر عنهم الخيانة في النقل بتحريفه أو

بالنقص منه، وهذه العادة من أقبح العادات، ومناقضة للأمانة العلمية في نقل أقوال المخالفين لهم، وكذلك فعل الدكتور القسيس فندر في المناظرة الكبرى التي جرت بينه وبين الشيخ رحمت الله في الهند عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م، فقد طبعها باللغة الإنجليزية بعد التحريف التام لأقوال الفريقين، وفي بعض كتبه كان الدكتور القسيس فندر يترجم الآيات القرآنية ويفسرها برأيه، ثم يعترض عليها، ويدّعي أنّ التفسير الصحيح تفسيره هو لا تفسير علماء المسلمين، والحال أنه جاهل باللغة العربية وبالعلوم القرآنية جهلاً تامّاً، ثم يطمع أنْ يؤخذَ بتفسيره الركيك الرديء ويُتركَ التفسير القوي المجمع عليه من علماء التفسير المسلمين.

اللهم أرنا الحقّ حقّاً وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

الباب الأول

بيان أسماء كتب العهد العتيق والجديد
وإثبات تحريفِها ونَسْخِها

وهو مشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأوّل : بيان أسمائها وتعدادها .

الفصل الثاني: بيان أنَّ أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متَّصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد، ولا مجال لهم أنْ يدَّعوا أنَّ هذه الكتب المشتهرة الآن مكتوبة بالإلهام .

الفصل الثالث: بيان أنَّ هذه الكتب مملوءة من الاختلافات والأغلاط والتحريف .

الفصل الرابع: إثبات وقوع النَّسْخ في كتب العهدين .

الفصل الأول

بيان أسمائها وتعدادها

اعلم أنّ النصارى يقسمون كتبهم إلى قسمين :

القسم الأول : يدّعون أنه كُتب بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام، ويسمونه العهد العتيق أو العهد القديم .

والقسم الثاني : يدّعون أنه كُتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام، ويسمونه العهد الجديد .

ويطْلقون على مجموع العهدين القديم والجديد اسم (بَيْبلْ)، وهو لفظ يوناني معناه : (الكتاب) ، ويكتبون على الغلاف الذي يضمّ كُتُبَ العهدين اسم : (الكتاب المقدَّس) .

فأما العهد القديم الذي هو القسم الأول من (بيبل) كتابِهم المقدس فيحتوي الآن على تسعة وثلاثين سفراً فيما يلي أسماؤها :

١ - سفر التكوين (سفر الخليقة) .

٢- سفر الخروج .

٣- سفر الأحبار (سفر اللاويين) .

٤- سفر العدد .

٥- سفر التثنية .

ومجموع هذه الأسفار (الكتب) الخمسة هو ما يطلقون عليه اسم أسفار

موسى الخمسة، وتسمى بـ(التوراة)، وهي كلمة عبرية بمعنى القانون والتعليم والشريعـة، لكنهم الآن يطلقون لفـظ التوراة إطـلاقـاً مجازيًّا على مجمـوع كتب العهد القديم، أيْ على أسفار موسى الخمسة (التوراة) وملحقاتها الآتي ذكرها:

٦- سفر يشوع (يوشع بن نون).

٧- سفر القضاة.

٨- سفر راعوث.

٩- سفر صموئيل الأول.

١٠- سفر صموئيل الثاني.

١١- سفر الملوك الأول.

١٢- سفر الملوك الثاني.

١٣- سفر أخبار الأيام الأول.

١٤- سفر أخبار الأيام الثاني.

١٥- سفر عَزْرَا الأول.

١٦- سفر عَزْرا الثاني (سفر نَحَمْيَا).

١٧- سفر أستير.

١٨- سفر أيوب.

١٩- سفر الزبور (المزامير).

٢٠- سفر الأمثال (أمثال سليمان).

٢١- سفر الجامعة.

٢٢- سفر نشيد الأنشاد.

٢٣- سفر إِشَعْياءَ .

٢٤- سفر إرْمِيَا .

٢٥- سفر مراثي إرْمِيَا .

٢٦- سفر حِزْقِيال .

٢٧- سفر دَانِيآل .

٢٨- سفر هُوشَع .

٢٩- سفر يُوئِيل .

٣٠- سفر عَامُوس .

٣١- سفر عُوبَدْيا .

٣٢- سفر يُونَان (يونس) .

٣٣- سفر مِيخَا .

٣٤- سفر ناحُوم .

٣٥- سفر حَبَقُّوق .

٣٦- سفر صَفَنْيا .

٣٧- سفر حَجَّي .

٣٨- سفر زَكَرِيّا .

٣٩- سفر مَلاخِي . وكان النبي مَلاخِي قبل ميلاد المسيح عليهما السلام بنحو أربعمائة وعشرين (٤٢٠) سنة .

والسامريون لا يعترفون إلاّ بسبعة منها : الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام، وبسفريْ يشوع والقضاة، وتخالف نسخة التوراة السامرية نسخة

التوراة العبرانيـة التي لليهود، وهما تخالفـان نسخة التوراة اليـونانية، وتـوجد في نسخة التوراة اليـونانية سبعة أسفار زائدة عمّا في التـوراة العبرانية يطلَق عليها : أسفار الأبوكريفا، وأسماؤها كما يلي :

١- سفر باروخ .

٢- سفر طوبيا .

٣- سفر يهوديت .

٤- سفر وزدم (حكمة سليمان) .

٥- سفر إيكليزيا ستيكس (يشوع بن سيراخ) .

٦- سفر المكابيين الأول .

٧- سفر المكابيين الثاني .

وبذا تكون التوراة اليونانية محتوية على ستة وأربعين سفراً .

وأمـا العهد الجديـد الذي هـو القسم الثـاني من (بَيْبل) كتابِهم المقـدس فيحتوي الآن على سبعة وعشرين سفراً فيما يلي أسماؤها :

١- إنجيل متّى .

٢- إنجيل مَرْقُسَ .

٣- إنجيل لُوقا .

٤- إنجيل يُوحَنَّا .

ولفظ الإنجيـل مختص بهذه الأسفـار الأربعـة ، فيقـال لها : الأنــاجيل الأربعـة، وهـو لفظ معـرَّب، أصلـــه في اليـونـاني (إنكلْيـوس)، وفي القبطي (إنكلْيون)، ومعنـاه البشارة والتعليـم والخبر السارّ. لكنهم الآن يطلقـون لفظ

الإنجيل إطـلاقـاً مجازيًّا على مجمـوع كتب العهـد الجديـد. أيْ على الأنـاجيل الأربعة وملحقاتها الآتي ذكرها :

٥- سفر أعمال الرسل (الإبركسيس) .
٦- رسالة بولس إلى أهل رومية .
٧- رسالة بولس الأولى إلى أهل كُورِنْثُوسَ .
٨- رسالة بولس الثانية إلى أهل كُورِنْثُوسَ .
٩- رسالة بولس إلى أهل غَلاطِيَّةَ .
١٠- رسالة بولس إلى أهل أَفَسُسَ .
١١- رسالة بولس إلى أهل فِيلِبّي .
١٢- رسالة بولس إلى أهل كُولُوسِّي .
١٣- رسالة بولس الأولى إلى أهل تَسَالُونِيكي .
١٤- رسالة بولس الثانية إلى أهل تَسَالُونِيكي .
١٥- رسالة بولس الأولى إلى تِيمُوثَاوُسَ .
١٦- رسالة بولس الثانية إلى تِيمُوثَاوُسَ .
١٧- رسالة بولس إلى تِيطُسَ .
١٨- رسالة بولس إلى فِلِيمُونَ .
١٩- الرسالة إلى العِبرانيين (وتُنسب إلى بولس) .
٢٠- رسالة يعقوبَ .
٢١- رسالة بُطْرُسَ الأولى .
٢٢- رسالة بُطْرُسَ الثانية .

٢٣- رسالة يُوحَنَّا الأولى .

٢٤- رسالة يُوحَنّا الثانية .

٢٥- رسالة يُوحَنّا الثالثة .

٢٦- رسالة يَهُوذا .

٢٧- رُؤيا يُوحَنَّا اللاهوتي (المشاهدات) .

وبهذا يكون مجموع أسفار (بيبل) الكتابِ المقدس عند النصارى كما يأتي :

على حسب التوراة العبرانية :

العهد القديم (٣٩) + العهد الجديد (٢٧) = ٦٦ سفراً .

وعلى حسب التوراة اليونانية :

العهد القديم (٤٦) + العهد الجديد (٢٧) = ٧٣ سفراً .

اعلمْ أنه قد انعقد مجمع لعلماء النصارى بأمر السلطان قسطنطين الأول سنة (٣٢٥م) في بلدة نائس (نيقيّة) لإصدار حُكْم في الأسفار المشكوكة ، فحكم هذا المجمع بعد المشاورة والتحقيق بوجوب تسليم سفر يهوديت فقط ، وبرفض أربعة عشر (١٤) سفراً واعتبارها مشكوكة ومكذوبة لا يجوز التسليم بصحتها ، وهي :

١- سفر أستير .

٢- رسالة يعقوب .

٣- رسالة بطرس الثانية .

٤- رسالة يوحنا الثانية .

٥- رسالة يوحنّا الثالثة .

٦- رسالة يهوذا .

٧- الرسالة إلى العبرانيين (وتنسب إلى بولس) .

٨- سفر وزدم (حِكمة سليمان) .

٩- سفر طوبيا .

١٠- سفر باروخ .

١١- سفر إيكليزياستيكس (يشوع بن سيراخ) .

١٢- سفر المكابيين الأول .

١٣- سفر المكابيين الثاني .

١٤- سفر مشاهدات يوحنا (رؤيا يوحنا اللاهوتي) .

ويظهر ذلك جلياً من المقدمة التي كتبها جيروم (المتوفى سنة ٤٢٠م) على سفر يهوديت .

وبعد تسع وثلاثين سنة فقط انعقد مجمع لعلماء النصارى سنة (٣٦٤م) في بلدة لوديسيا (لاودكيّة)، وحكم هذا المجمع بوجوب التسليم بالأسفار السبعة الأولى (انظرها من رقم ١-٧) من الأسفار التي رفضها مجمع نيقيّة، واعتبار هذه السبعة صحيحة غير مكذوبة، وإبقاء السبعة الأخرى (انظرها من رقم ٨-١٤) مشكوكة مكذوبة لا يجوز التسليم بصحتها، وأكّد المجمعُ هذا الحكْمَ بالرسالة العامة.

وبعد ثلاث وثلاثين سنة فقط انعقد مجمع لعلماء النصارى سنة (٣٩٧م) في بلدة كارتهيج (قرطاجة ، قرطاجنة الواقعة على خليج تونس)، وحكم هذا

المجمع بوجوب التسليم بالأسفار السبعة الأخرى (انظرها من رقم ٨-١٤) التي رفضهـا المجمعان السـابقـان و اعتبراها مكـذوبة ومشكـوكـة لا يجوز التسليم بصحتهـا، فهذا المجمـع القرطـاجي نقـض حُكْمَ سـابقيْه، وحَكَـمَ بأنّ جميع الأسفار المشكـوكة المكذوبـة هي صحيحة واجبـة التسليم ومقبولة عنـد جمهور النصـارى، وبقي الأمر على هـذا التسليم والقبـول مـدة اثني عشر قرنـاً إلى أنْ ظهرت فـرقة البروتستانت في أواسـط القرن السادس عشر الميـلادي، فرفضت هـذه الفـرقـة سفـر يهوديت وسفـر وزدم وسفـر طـوبيـا وسفـر بـاروخ وسفـر إيكليزياستيكـس وسفريْ المكابيين الأول والثاني، وكـان سفر أستير ستة عشر (١٦) بابـاً (أصحاحاً)، فقبلت منـه هذه الفرقـة البروتستانتية الأصحـاحات التسعة الأولى إلى نهايـة الفقرة الثالثـة من الأصحاح العاشر، ورفضـت منه من الفقـرة الرابعـة إلى نهايـة الأصحاح السـادس عشر، واحتجّتْ هـذه الفرقـة في رفضها الأسفار السابقة بما يلي :

١- أنّ الأصل العبراني لهذه الأسفار مفقود، والموجود هو ترجمة لها .

٢- أنَّ اليهـود العبرانيين لا يعترفـون بهذه الأسفـار (أسفـار أبـوكـريفـا العهـد القديم) .

٣- أنّ هذه الأسفار مرفـوضة من قِبل كثير من النصارى ولم يحصل الإجماع على قبولها .

٤- أنّ جيروم (المتوفى ٤٢٠م) قال بأنّ هذه الأسفار ليست كافية لتقرير المسائل الدينية وإثباتها .

٥- أنّ كلوس صرح بأنّ هذه الأسفار لا تُقرأ في كل موضع منها .

٦- أنّ المؤرخ يوسي بيس صرح بأنّ هذه الأسفار محرفة ولاسيما سفر المكابيين الثاني.

فانظر أنّ الكتب التي أجمع على رفضها ألوف الأسلاف؛ لفقدان أصولها وتحريفها، وكانت مردودة عند اليهود وفاقدة لصفة الوحي والإلهام، صارت عند الخَلَف إلهامية مقبولة وواجبة التسليم، وفرقة الكاثوليك إلى الآن تسلّم بجميع كتب الأبوكريفا المشكوكة المكذوبة، سواء منها أبوكريفا العهد القديم أو أبوكريفا العهد الجديد، تقليداً لمجمع كارتهيج (قرطاجة).

فأيّ قيمة لحكْم الخلَف بقبول ما رفضه السلف؟!

بل إنّ حكْم تلك المجامع يُعَدّ حجة قوية لخصوم النصارى الطاعنين في صحة كتبهم وإلهاميتها.

الفصل الثاني

بيان أنّ أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد، ولا مجال لهم أنْ يدّعوا أنّ هذه الكتب المشتهرة الآن مكتوبة بالإلهام

الكتاب السماوي الواجب التسليم هو الكتاب الذي يُكتب بواسطة نبي من الأنبياء، ويصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، أما أنْ يُنسب الكتاب إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم فلا يكفي ذلك لإثبات أنه من تصنيف الشخص المنسوب إليه، حتى لو ادّعتْ تلك النسبةَ فرقةٌ أو عدةُ فِرق، ألا ترى أنّ كتباً من العهد القديم منسوبة إلى موسى وعزرا وإشعياء وإرميا وحبقوق وسليمان عليهم السلام، ولم يثبت بدليل مّا صحّة نسبتها إليهم بسبب فقدان السند المتصل لتلك الكتب؟!

وأيضاً ألا ترى أنّ كتباً من العهد الجديد جاوزت السبعين منسوبة إلى عيسى ومريم والحواريين وتابعيهم، وتُجمِع فِرق النصارى الآن على عدم صحة نسبتها إليهم، وعلى أنها من الأكاذيب المختلقة؟!

ثمّ ألا ترى أنّ أسفار الأبوكريفا واجبة التسليم عند الكاثوليك، وأنها واجبة الرد عند اليهود والبروتستانت؟!

إذن الادّعاء بنسبة كتاب مّا إلى اسم نبي أو حواري لا يعني إلهامية هذا الكتاب ولا وجوب تسليمه، وقد طلب الشيخ رحمت الله مراراً من علماء

النصارى في مناظراته لهم بيان السند المتصل لأيّ كتاب من كتب العهدين فاعتذروا بأنّ سبب فقدان السند المتصل هو وقوع المصائب والفتن على النصارى إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة .

فثبت أنهم يقولون في أسانيد كتبهم بالظن والتخمين الذي لا يغني شيئاً، ودلَّ امتناعهم عن الإتيان بسند متصل لأيّ كتاب من كتب العهدين على عدم قدرتهم على ذلك، فلو قدروا ما قصّروا، وثبت بالوجه القطعيّ أنّ كتبهم فاقدة للسند المتصل، وفيما يلي حال بعض كتبهم :

حال التوراة :

إنّ هذه التوراة الحالية المنسوبة لموسى عليه السلام ليست من تصنيفه، ويدل على ذلك عدة أمور:

١- أنّ هذه التوراة انقطع تواترها قبل زمان الملك يُوشِيّا بن آمون الذي تولى المُلْك سنة ٦٣٨ق . م، وأما النسخة التي وجدت بعد ثماني عشرة سنة من تولّيه الحكْمَ فلا اعتماد عليها ؛ لأنّ الكاهن حِلْقِيّا هو الذي اخترعها، ومع كونها غير معتمدة فالغالب أنها ضاعت قبل أنْ يكتسح بختنصر بلاد فلسطين عام ٥٨٧ق . م، ولو فرضنا عدم ضياعها ففي اكتساحه بلاد فلسطين انعدمت التوراة وسائر كتب العهد العتيق ولم يبق لها أثر، ويزعمون أنّ عزرا كتب بعض الأسفار في بابل، لكن ما كتبه عزرا أيضاً ضاع في اكتساح أنتيوكس (أنطيوخس الرابع) بلاد فلسطين، فقد حكم سوريا ما بين سنتي ١٧٥-١٦٣ق . م، وأراد أنْ يمحق ديانة اليهود ويصبغ فلسطين بالصبغة الهيلينية، فباع مناصب أحبار اليهود بالثمن، وقتل منهم ما بين

٤٠-٨٠ ألفاً، ونهب أمتعة الهيكل كلها، وقرّب خنزيرةً وقوداً على مذبح اليهود، وأمر عشرين ألف جندي بمحاصرة القدس، فانقضّوا عليها يوم السبت أثناء اجتماع اليهود للصلاة، فنهبوها ودمروا البيوت والأسوار، وأشعلوا فيها النيران، وقتلوا كل إنسان فيها حتى النساء والصبيان، ولم ينج في ذلك اليوم إلاَّ من فرَّ إلى الجبال أو اختفى في المغائر والكهوف. [انظر رقم(٢) ص٩٩].

٢- أنّ اختلافات وتناقضات كبيرة جدّاً وقعت بين أسفار التوراة الحالية وبين سفريْ أخبار الأيام الأول والثاني اللذين صنفهما عزرا بمعاونة حجي وزكريا عليهم السلام، وأجمع علماء أهل الكتاب على أنّ عزرا غلط لاعتماده على أوراق ناقصة، فلم يميز بين الأبناء وأبناء الأبناء، وهؤلاء الأنبياء الثلاثة كانوا متبعين للتوراة، فلو كانت توراة موسى هي هذه التوراة الموجودة الآن ما خالفوها، ومَا وقعوا في الغلط الفاحش باعتمادهم على أوراق ناقصة، وأيضاً لو كانت التوراة التي كتبها عزرا مكتوبة بالإلهام كما يزعمون ما وقع الاختلاف الفاحش بينها وبين سفريْ أخبار الأيام الأول والثاني، وبهذا ظهر جليّاً أنّ التوراة الحالية ليست هي التوراة المكتوبة في زمان موسى عليه السلام، ولا هي التوراة التي كتبها عزرا، والحق الذي لاشك فيه أنّ هذه التوراة الحالية مجموعة من الروايات والقصص التي اشتهرت بين اليهود، ثم جمعها أحبارهم بلا تمحيص للروايات، ووضعوها في هذا المجموع المسمى بكتب العهد القديم، الذي يضم الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام والأسفار الملحقة بها، وهذا الرأي منتشر انتشاراً بليغاً الآن في

أوربا، وبخاصَّة بيْن علماء الألمان .

٣- أنّ اختلافات وتناقضات صريحة في الأحكام وقعت بين أسفار التوراة الحالية وبين سفر حزقيال، فلو كانت التوراة الصحيحة هي هذه التوراة المشتهرة الآن ما خالفها حزقيال في الأحكام .

٤- لا يظهر من أيِّ موضع في التوراة الحالية أنّ كاتبها كان يكتب حالات نَفْسِه أو المعاملات التي رآها بعينِه، بل جميع عبارات التوراة الحالية تشهد بأنّ كاتبها غير موسى عليه السلام، وأنّ هذا الكاتب جمع الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود وميّز بين الأقوال، فما كان في زعمه من كلام الله أدرجه تحت قوله : (قال الله)، وما كان في زعمه من كلام موسى أدرجه تحت قوله : (قال موسى)، وعبّر الكاتب عن موسى في جميع المواضع بصيغة الغائب، مثل قوله : (وصعد موسى)، (وقال له الرب)، (فمات هناك موسى)، فلو كانت التوراة الحالية من تصنيف موسى عليه السلام، لعبّر عن نفسِه بصيغة المتكلّم ولو في موضع واحد من المواضع ؛ لأنّ التعبير بصيغة المتكلّم يقتضي زيادة الاعتبار، وهذا وحده دليل كامل على أنّ التوراة الحالية ليست من تصنيف موسى عليه السلام .

٥- قال الدكتور سكندر كيدس الذي هو من علماء النصارى المعتمَدين في مقدّمة البيبل الجديد بأنه ثبت له بالأدلة ثلاثة أمور جزماً :

أ- أنّ التوراة الحالية ليست من تصنيف موسى عليه السلام .

ب- أنّ التوراة الحالية مكتوبة في فلسطين، وليست مكتوبة في عهد موسى عندما كان بنو إسرائيل في التيه في صحراء سيناء .

جـ- أنّ التوراة الحالية إمّا أنْ تكون أُلّفت في زمان سليمان عليه السلام، أيْ في القرن العاشر قبل الميلاد، أو بعده إلى القرن الثامن قبل الميلاد، فالحاصل أنّ بيْن تأليف هذه التوراة الحالية وبين وفاة موسى عليه السلام أكثر من خمسمائة عام .

٦- أنه عُلم بالتجربة أنّ الفَرْق يقع في اللسان الواحد بحسب اختلاف الزمان، فمثلاً لو لاحظتَ لسان الإنجليز قبل أربعمائة سنة لوجدْتَ تفاوتاً فاحشاً بينه وبين اللسان الإنجليزي المعروف الآن، وقد قال نورتن الذي هو من كبار علماء النصارى بأنه لا يوجد فَرْق معتدّ به في محاورة التوراة ومحاورات سائر الكتب من العهد العتيق التي كُتبت بعدما أُطلق بنو إسرائيل من أسْر بابل، علماً أنّ المدة الواقعة بين وفاة موسى عليه السلام وبين إطلاقهم من الأسْر حوالي تسعمائة عام، ولأجْل انعدام الفرق المعتدّ به بين أسلوب التوراة وبين أسلوب سائر كتب العهد العتيق فإنّ العالم ليوسدن الذي هو ماهر جدّاً باللسان العبراني اعتقد أنّ هذه الكتب جميعها صنفت في زمان واحد .

٧- ورد في سفر التثنية ٢٧/ ٥ و٨ : (٥) وتَبني هناك مَذْبحاً للربّ إلهِكَ مَذْبحاً من حجارةٍ لا تَرفعْ عليها حديداً (٨) وتَكتبُ على الحجارةِ جميعَ كلماتِ هذا الناموسِ نَقْشاً جيّداً) .

وورد في سفر يشوع (يوشع بن نون) ٨/ ٣٠و٣٢ : (٣٠) حينئذٍ بنى يشوعُ مذْبحاً للربِّ إلهِ إسرائيل في جبل عِيبالَ (٣٢) وكَتَبَ هناك على الحجارةِ نُسْخةَ توراةِ موسى التي كتبها أمامَ بني إسرائيل) .

فعُلم من هذه الفقرات أنّ حجارة المذبح كانت كافية لأنْ تُكتب عليها توراة

موسى، فلو كانت توراة موسى هي هذه التوراة الحالية التي تضم الأسفار الخمسة بحجمها الحالي، ما أمكن كتابتها على حجارة المذبح .

٨- أنّ الأغلاط الكثيرة الواقعة في التوراة، والاختلافات الكثيرة بين أسفارها تنفي أنْ تكون هذه التوراة الحالية هي التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام؛ لأنّ الكلام الذي أُوحيَ إلى موسى أو الذي كتبه موسى، أرفع من أنْ تقع فيه الأغلاط والاختلافات .

حال كتاب يشوع (يوشع بن نون) :

بعد أنْ عرفنا حال التوراة التي هي أساس مِلّة بني إسرائيل فلنعرف حال كتاب يوشع الذي هو في المنزلة الثانية بعد التوراة، فإنّ علماء أهل الكتاب لم يظهر لهم إلى الآن بطريق اليقين اسم مصنفه ولا زمان تصنيفه، وافترقوا فيه على خمسة أقوال :

١- بعضهم قال : إنه تصنيف يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام.

٢- وبعضهم قال : إنه تصنيف ألعازار بن هارون عليه السلام .

٣- وبعضهم قال : إنه تصنيف فينحاص بن ألعازار بن هارون عليه السلام .

٤- وبعضهم قال : إنه تصنيف صموئيل النبي عليه السلام .

٥- وبعضهم قال : إنه تصنيف إرميا النبي عليه السلام.

وبين يوشع وإرميا عليهما السلام أكثر من ثمانية قرون . فهذا الاختلاف الفاحش دليل كامل على انعدام إسناد هذا الكتاب عندهم، وأنهم يقولون بالظن، وهذا الظن هو السند عندهم.

وتوجـد في كتاب يوشع فقـرات كثيرة لا يمكن أنْ تكون من كـلام يوشع قطعاً، كما توجد فيه فقرات أخرى تدل على أنّ كاتبه قد يكون معاصراً لداود أو بعده، فمثل هـذه الفقرات دليل كامل على أنّ هذا الكتـاب ليس من تصنيف يوشع عليه السلام.

و يوجـد بين التوراة الحالية وبين كتـاب يوشع مخالفـة صريحة وتناقض في بعض الأحكام، فلو كانت هذه التوراة الحالية من تصنيف موسى عليه السلام كما يزعمـون أو كان كتـاب يوشع مـن تصنيفه، فلا يُتصـوَّر أنْ يخالفها يـوشع ويناقضها في بعـض الأحكام والمعاملات؛ إذْ كيف يغلط يـوشع - فتى موسى وخليفته - في معاملات كانت تجري في حضوره؟!

إذا عرفت حـال التوراة وحال كتـاب يوشع خليفة مـوسى عليهما السلام فإنّ حال بقيـة كتب العهد القديـم ليست بأحسن من حالهما، فـالخلاف فيها أشدّ، بل إنّ بعض المحققين أنكروا كتباً برمّتها من كتب العهد القديم وعدّوها حكايات باطلة وقصصاً كاذبة؛ لأنّ القدماء أدخلوا كتباً جعليّة كثيرة في الكتب القانونية، وهي في الأصل كانت مردودة ومرفوضة.

وهذا دليل كافٍ على أنّ أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتبهم، وأنهم يقـولون بالظن والتخمين مـا يقولون، وأنّ الكتـاب لا يكون إلهاميًّا بمجرد نسْبته إلى شخص ذي إلهام.

حال الأناجيل :

قدماء النصارى كافّة وغير المحصورين من المتأخرين متفقون على أنّ الإنجيل المنسوب إلى متّى كان باللغة العبرانية ، وأنه فُقد بسبب تحريف الفِرق النصرانية ، وبسبب الفتن العظيمة التي مرّت على النصارى في القرون الثلاثة الأولى ، وأما نسخة إنجيل متّى الموجودة الآن باللغة العبرانية فهي مترجمة عن الترجمة اليونانية ولا يوجد عندهم سند هذه الترجمة ، ولا يعرفون اسم المترجم ولا أحواله كما اعترف به جيروم ، ولكنهم يقولون بالظن : لعلّ فلاناً أو فلاناً ترجمه ، وبمثل هذا الظن لا يثبت استناد الكتاب إلى مصنفه .

وتوجد نصوص لأكثر من خمسين عالماً تُجمِع على أنّ هذا الإنجيل المنسوب إلى متّى والذي هو أول الأناجيل وأقدمها عندهم ليس من تصنيفه يقيناً ؛ لأنّ جميع كتب العهد الجديد أُلفت باللغة اليونانية ماعدا إنجيل متّى والرسالة العبرانية ، فإنّ تأليفهما باللغة العبرانية أمر يقيني بالأدلة القاطعة ، ومتّى هو الوحيد الذي انفرد من بين كتّاب الأناجيل باستعمال اللغة العبرانية ، فكتب إنجيله بها في فلسطين لليهود العبرانيين الذين كانوا ينتظرون شخصاً موعوداً من نسل إبراهيم وداود ، ثم ترجمه المترجمون كل واحدٍ على قدر فهمه واستطاعته ، وأما متّى فهو لم يترجم إنجيله لليونانية ، والمترجم غير معروف مَن هو ؟ أما باقي كتّاب الأناجيل ، فكتبوا باللغة اليونانية ، ومن قال : إنّ متّى كتب إنجيله باللغة اليونانية فقد غلط .

والمحقِّق نورتن كتب كتاباً ضخماً أثبت فيه أنّ التوراة جعلية وليست من تصنيف موسى عليه السلام ، وأثبت فيه تحريفات كثيرة وقعت في الأناجيل ،

وذكـر في هذا الكتـاب أنه يعتقـد أنّ متّى كتـب إنجيله بـاللغة العبرانيـة ؛ لأنّ القدمـاء الذين أشاروا إلى هـذا الأمر قولهم واحـد بالاتفاق، ولم يقُلْ أحـد من القدماء بخلافهـم، فهذه الشهادة مقبولة، ولا يوجـد عليها اعتراض يحتاج إلى تحقيق، بل شهد القدماء على أنّ النسخة العبرانية لهذا الإنجيل كانت موجودة عند النصـارى الذيـن كانـوا من قـوم اليهود، وهـذه النسخة العبرانيـة كانـت موجـودة ومستعملة إلى عهـد جيروم، فهذا الموجـود الآن من إنجيـل متّى هـو ترجمة لم يُعـرف اسمُ مترجمها ولا بقيَّـة أحوالـه على وجه التحقيق، ويقـوّي قولَ القدمـاء أنّ متّى كـان من الحواريين، ورأى أكثـر أحوال المسيـح عليه السـلام بعينيه، وسمع أكثرها بأذنيه، فلو كان هو مؤلِّفَ هذا الإنجيل، لظهر من كلامه ولو في موضع واحد من المواضع أنّـه يكتب الأحوال التي رآها، ولعبّر عن نفسه بصيغة المتكلم كما جرت به العادة سلفاً وخلفاً، فهذا الإنجيل المنسوب إلى متّى ليس من تصنيفه قطعاً.

وقال فاستس كبير علماء فرقة مـاني كيز وبروفسر الجرمني: هذا الإنجيل كله كاذب، والبابان الأولان منه إلحاقيان مردودان عند الفرقة المارسيونية والفرقة الأبيونية وفرقة يوني تيرين وعند القسيس وليمس.

والمحقق نورتن أنكر هذين البابين ومواضع كثيرة في هذا الإنجيل.

وقد صرح جيروم أنّ بعـض العلماء المتقدمين كانوا يشكّـون في الأصحاح السـادس عشر الـذي هـو آخـر أصحاحـات إنجيـل مـرقـس، ويشكّـون في الأصحاح الأول والثـاني وبعض الفقرات مـن الأصحاح الثاني والعشريـن من إنجيل لوقا، والأصحاحان الأول والثاني لم يكونا في نسخة فرقة مارسيوني.

وقال المحقق نورتن إنّ الفقرة التاسعة إلى الفقرة العشرين من الأصحاح السادس عشر من إنجيل مرقس فقرات إلحاقية، وأنّ العادة الجِبلّيّة للكاتبين أنهم كانوا أشدّ رغبة في إدخال العبارات من إخراجها .

وأما بالنسبة للإنجيل المنسوب إلى يوحنا فهناك عدة أمور تدل على أنه ليس من تصنيف يوحنا الحواري صاحِبِ عيسى عليه السلام، وهي :

١- لا يظهر من أيِّ موضع في هذا الإنجيل أنّ كاتبه كتب الحالات التي رآها بعينه أو الحوادث التي وقعت بحضوره، بل تشهد عبارات هذا الإنجيل على أنّ كاتبه غير يوحنا الحواري؛ فهو يقول في ختام هذا الإنجيل ٢١/ ٢٤:

(هذا هو التلميذُ الذي يَشهدُ بهذا وكَتب هذا ونَعْلم أنّ شهادتَه حقٌّ) .

فاستعمل الكاتب في حق يوحنا ضمائر الغائب ، لكنه قال في حق نفسه (نَعْلَمُ) على صيغة المتكلم، فثبت أنّ كاتبه غير يوحنا الحواري قطعاً .

٢- أنّ أرينيوس الذي عاش في القرن الميلادي الثاني تتلمذ على بوليكارب، وهذا تتلمذ على يوحنا الحواري، وفي حياة أرينيوس أنكر جماعة نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري، وسكت أرينيوس ولم يَردّ على المنكرين، فلو كان هذا الإنجيل من تصنيف يوحنا الحواري لعلم به تلميذُه بوليكاربُ، وهذا أخبر تلميذَه أرينيوسَ، علماً أنّ أرينيوس كان مجتهداً في حفظ الروايات اللسانية، ونقل عن بوليكارب أموراً كثيرة أقل شأناً من هذا الأمر الخطير ، وهو - أيْ أرينيوس - أول مَنْ ذكر الأناجيل الثلاثة (متّى، ومرقس، ولوقا) حوالي سنة ٢٠٠م، ولم يذكر إنجيل يوحنا، ثم تبعه في ذكرها كليمنس إسكندر يانوس سنة ٢١٦م، فهذا ثاني مَنْ ذكر الأناجيل

الثلاثة، وأول مَنْ ذكر الأناجيل الأربعة، فالمعتقدون أنّ هـذا الإنجيل من تصنيف يوحنا الحواري لم يستطيعوا أنْ يأتوا بدليل واحد ضد المنكرين، ولا شهد لهم أرينيوس بصحته .

٣- أنّ إنكار نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري ليس بمختصّ بأهل الإسلام لما يلي :

أ - أنّ العالم الوثني سلسوس كان يصيح في القرن الميلادي الثاني أنّ النصارى بدّلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات تبديلاً غيّر مضامينها .

ب - أنّ رئيس فرقة ماني كيز -العالم فاستس- كان يصيح في القرن الميلادي الرابع بأنه متأكد أنّ هـذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون، بل صنفه رجل مجهول الاسم، ونسبه إلى الحواريين ورفقائهم ليأخذ به الناس ، وبذلك يكون قد آذى أتباع عيسى إيذاءً بليغاً؛ لأنه ألّف الكتب التي فيها الأغلاط والتناقضات .

جـ - أنّ استادلن كتب أنّ مؤلف إنجيل يوحنا هو طالب من طلاب مدرسة الإسكندرية بلا ريب .

د - أنّ المحقِّق برطشنيدر قال: إنّ هذا الإنجيل وكذا رسائل يوحنا الثلاث ليست من تصنيف يوحنا الحواري، وأنها مع الإنجيل أُلفت في ابتداء القرن الميلادي الثاني .

هـ - أنّ المحقِّق المشهور كروتيس قال: إنّ كنيسة أفسس ألحقت الباب الحادي والعشرين .

و - أنّ فرقة ألوجين في القرن الميلادي الثاني رفضت هذا الإنجيلَ وجميعَ تصانيف يوحنا، وأنكرت أنْ يكون من تصنيف يوحنا الحواري .

وأختم بما قاله المحقِّق هورن؛ فقد ذكر في تفسيره أنّ الحالات التي وصلت إليهم بخصوص زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة ناقصة ولا توصل إلى أمر معين؛ لأنّ المشايخ القدماء الأولين صدَّقوا الروايات الواهية والقصص الكاذبة وكتبوها في كتبهم، والذين جاؤوا من بعدهم قَبِلوها تعظيماً لهم، ثم وصلتْ هذه الروايات الصادقة والكاذبة من كاتب إلى آخر حتى تعذَّر تنقيحها لطول الزمان .

وذكر هورن أنّ الاختلاف حاصل في زمان تأليف الأناجيل حسب السنوات التالية :

- إنجيل متّى : سنة ٣٧م أو ٣٨م أو ٤١م أو ٤٣م أو ٤٨م أو ٦١م أو ٦٢م أو ٦٣م أو ٦٤م .
- إنجيل مرقس : سنة ٥٦م أو ما بعدها إلى سنة ٦٥م .
- إنجيل لوقا : سنة ٥٣م أو ٦٣م أو ٦٤م .
- إنجيل يوحنا : سنة ٦٨م أو ٦٩م أو ٧٠م أو ٩٧م أو ٩٨م .

إذا عرفت حال الأناجيل الأربعة المقدَّمة عند كافَّة النصارى، فإنّ بقية رسائل العهد الجديد ليست بأحسن حالاً من حال الأناجيل .

وبهذا ثبت لكل عاقل لبيب أنّ أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد القديم ولا من كتب العهد الجديد .

وعليه فلا مجال لأهل الكتاب أنْ يدّعوا أنّ كتبهم مكتوبة بالوحي

والإلهام؛ لأنّ هذا الادّعاء باطل قطعاً، ويدلّ على بطلانه مايلي:

أ - أنّ هـذه الكتب مليئـة بـالأغـلاط والتحريفـات المقصـودة المتعمَّـدة وغير المتعمَّدة، وبالاختلافات المعنـوية في مواضع غير محصورة، بحيث لا مجال لعلماء أهل الكتاب أنْ ينكروها، حتى اضطر محققوهم ومفسروهم للتسليم بالأغـلاط والتحريفات الكثيرة، وسلّمـوا أيضاً في الاختلافـات بأنّ إحدى العبارات تكون صـادقة، وغيرهـا كاذبـة جعلية، وحـاولـوا توجيـه بعض الاختـلافات والاعتـذار عنها بتـوجيهات ركيكـة واعتذارات ضعيفـة، لا يقبلهـا العقل السليم؛ لأنّ الكلام الإلهامـي يستحيل أنْ تقع فيه الأغـلاط والاختلافات، وإذا حرِّف خرج عن كونـه إلهامياً، وقد قال المحقِّق هورن: إنّ الكـاتبين كـان يجوز لهم أنْ يكتبـوا على حسب طبـائعهم وعـاداتهم وفهومهم، ولا يُتخيّل أنهم كانوا يُلهَمون في كل أمر يكتبونه أو في كل حُكْم يحكمون به.

وقال جامعو تفسير هنري وإسكات: ليس بضروري أنْ يكون كل ما كتب النبي إلهاميًّا أو قانونيًّا.

وجاء في دائرة المعارف البريطانية أنّ كثيريـن من العلماء قالوا: إنه ليس كل قـول منـدرج في الكتب المقـدسـة ولا كل حـال من الحالات الـواردة فيهـا إلهاميًّـا، والذين يقـولون بأنّ كـل قول منـدرج فيها إلهامي، لا يقْـدرون أنْ يثْبتوا دعواهم بسهولة.

وجاء في دائرة معارف ريس التي كتبها العلماء المحققون قولهم: إنه يوجد في أفعال مؤلفـي هذه الكتب وأقوالهم أغلاط واختـلافات، وإنّ الحواريين ما

كان يـرى بعضهم بعضاً صاحـبَ وحي وإلْهام، وإنّ قدماء النصـارى ما كانوا يعتقدون أنّ الحواريين مصونون عن الخطأ؛ لأنه كان يحصل الاعتراض على أفعـالهم أحيانـاً، وكذلـك الكتب التـي كتبها تـلاميذ الحواريين مثـل إنجيل مـرقس وإنجيل لـوقا توقّف العلماءُ في كـونها إلهامية، وقد أقـرّ كبار العلماء مـن فرقـة البروتستانـت على عدم كـون كل كـلام في العهد الجديـد إلهاميًّا وعلى غلط الحواريين .

ب- أنّ المحقِّق نورتـن نقل عن أكهارن قـوله : إنّه كان في ابتـداء الملة المسيحية رسـالـة مختصرة في بيـان أحوال المسيـح يجوز أنْ يقـال : إنها هـي الإنجيـل الأصلي الذي كُتِب للمريدين الذين لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم، وكان هذا الإنجيل مـرجعاً لجميع الأناجيل التي كثُرت في القـرنين الأول والثاني، ومنهـا أنـاجيل متّـى ومـرقس ولـوقـا، ولكن هـذه الأناجيل وقعـت في أيدي الذين جبروا نقصانها فضمّوا إليهـا أحوالاً أخر، ووقعـت فيها الـزيـادة تدريجيّـاً، وصـارت النتيجـة أن اختلطت الأحـوال الصادقة والحكايات الكاذبة، واجتمعـت في رواية طويلة، فصارت قبيحة الشكل، وكلما انتقلـت هذه الـروايات والحكـايات مـن فم إلى فـم صارت كـريهة غير محققة، حتـى اضطرت الكنيسـة في آخر القـرن الثاني أو ابتـداء القرن الثالث إلى اختيار الأناجيل الأربعـة من بين الأناجيل الكثيرة الرائجة والتـي زادت على السبعين، فـأرادت الكنيسـة أنْ يتمسـك النـاس بهذه الأناجيـل الأربعة ويتركـوا غيرها، ولو أنّ الكنيسـة حافظـت على الإنجيل الأصلي من الإلحاقات لكـانت مشكورة، لكن هذا الأمر كـان صعباً بسبب

الإلحاقـات في النسخ الكثيرة، فلـم تكن هنـاك نسخـة تخلـو من الإلحاق، حتى تعذّر التمييز بين الأصل والملحَق، ولذلك كـان أكثر القدماء شاكّين في الأجزاء الكثيرة من الأناجيل، ومـا قدروا على أنْ يفْصِلوا الأمر، ولم تكن المطابع في ذلك الزمان، فكان مُـلاَّك النُّسَخ كل واحد يُدخِل في نسخته ما يشاء من الحكايات والروايـات، فإذا نُقِلَتْ عن هذه النسخة نُسَخٌ متعددة وانتشرتْ، تعـذّر التحقيق في أنّ هذه النسخـة هل هي مشتملـة على كلام المصنف فقط أم لا ؟ وصار المرشـدون والواعظون يشْكون شكـاية عظيمة من أنّ الكـاتبين ومُــلاَّك النسَخ حـرّفـوا مصنفـاتهم بعـد مــدة قليلـة من تصنيفها، وأنّ تلامذة الشيطان أدخلوا فيها نجاسة بإخراج بعض الأشياء، وزيادة بعضها من جانبهم، وأنّ الكتب المقدسة ما بقيتْ محفوظة، وزالت عنها صفة الإلهام، ومما يدل على أنّ التحريف في الكتب المقدسة صار عادة معتادة لأهل ذلك الـزمان أنّ المصنفين صاروا يكتبـون في آخر كتبهم اللعنَ والأيمانَ الغليظة لئلاَّ يحرّف أحد كلامهم، ولكن هذا التحريف وقع في سيرة عيسى أيضـاً، واشتهـر لـدرجـة أنّ العـالم الـوثنيّ سلسـوس اعترض على النصارى بأنّ أنـاجيلهم بُدّلت ثـلاث أو أربع مرات، بل أزيـد من ذلك، ولا عجب في ذلك؛ لأنّ الناس الذين لم يكن لهم استعداد للتحقيق اشتغلوا من وقت ظهـور الأنـاجيل بـالزيـادة فيهـا والنقصان منهـا، وتبـديل لفظ بمرادف له، فقـد كانوا يبدّلون عبارات الـوعظ والحالات العيسوية حسب ما يشتهون، وعادة التحريف هذه التي أجراها أهل الطبقة الأولى استمرت في أهل الطبقـة الثانيـة والثـالثة، وانتشرت بحيث كـان المخـالفون للـدين

النصراني مطّلعين على هذه العادة، وذكر كليمنس إسكنـدر يانوس في آخر القرن الميلادي الثاني أنّ أناساً كانت مهمتهم تحريف الأناجيل .

وعلّق نورتن على كلام أكهـارن السابق بأنّ هذا ليس رأي أكهارن فقط، بل هـو رأي كثير من علماء الجرمن، ورغم أنّ نـورتن محامٍ عن الإنجيـل، لكنه ذكر سبعة مـواضع بالتفصيل في هـذه الأناجيل الأربعة، واعترف بـأنها إلحاقيّة محرفة، وذكر أنّ الكذب اختلط ببيان المعجزات، وأنّ تمييز الصدق عن الكذب عسير في هذا الزمان .

فهل الكتـاب الذي اختلط فيـه الصدق بـالكذب يكون إلهاميّـاً؟! وهل بقي مجال لأحد من أهل الكتاب أنْ يدّعيَ إلهامية كلّ كتابٍ من كتب العهدين أو كلِّ حالةٍ من الحالات المندرجة فيها؟!

إننا نحْـنُ المسلمين نعتقد أنّ التـوراة الأصلية (المنـزلة على مـوسى عليـه السلام)، وكذا الإنجيل الأصلي (المنزل على عيسى عليـه السلام) قد فُقدا قبل بعثة محمد ﷺ، وأنّ الموجود الآن منهما (أيْ التوراة والإنجيل) بمنزلة كتابين من كتب السِّيَر مجمـوعيْن من الروايات الصحيحـة والكاذبة، ولا نقول : إنهما كـانا موجوديْن على أصالتهما بدون تحريف إلى عهـد نبينا محمد ﷺ ثمّ وقع التحريف فيهما بعد ظهوره ﷺ، فلا أحد من المسلمين يقول بذلك .

وأما بالنسبـة لشاول بولس فرسائلـه مردودة ومرفوضة؛ لأنه عنـدنا نحن المسلمين من الكـذابين الذيـن ظهروا في القرن الأول لإفسـاد دين المسيـح عليه السلام، وأمـا الحواريون الـذين هـم أصحاب عيسـى وخلصاؤه، فنعتقـد في حقهم الصلاح ولا نعتقـد في حقهم النبوة، وأقوالهم عنـدنا كأقوال المجتهـدين

الصالحين محتملة للخطأ، وإنّ فقدان السند المتصل خلال القرنين الأول والثاني وفقدان الإنجيل الأصلي يرفع الأمان عن أقوال الحواريين، وبخاصة أنهم في كثير من الأوقات ما كانوا يفهمون مراد المسيح من أقواله كما يظهر من الأناجيل الحاليَّة؛ لأنّ الإجمال يوجد كثيراً في كلامه .

أما مرقس ولوقا فليسا من الحواريين، ولم يثبت بدليل ما أنهما من ذوي الإلهام، بل ولم يحظيا برؤية المسيح لحظة واحدة .

فالتوراة عندنا نحن المسلمين هي الكتاب السماوي المنزل على موسى عليه السلام، والإنجيل هو الكتاب السماوي المنزل على عيسى عليه السلام، وكل ما فيهما وحي من الله تعالى لا يجوز تحريفه بالزيادة فيه أو بالنقصان منه، أو بتبديل كلمة بأخرى، ففي السور التالية : (البقرة ٨٧، هود ١١٠، المؤمنون ٤٩، الفرقان ٣٥، القصص ٤٣، السجدة ٢٣، فصلت ٤٥) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾، وفي سورة المائدة آية ٤٦، وسورة الحديد آية ٢٧ قول الله تعالى في حق عيسى عليه السلام : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾، وفي سورة مريم آية ٣٠ قول الله تعالى عن عيسى عليه السلام : ﴿ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾، وفي سورة البقرة آية ١٣٦، وسورة آل عمران آية ٨٤ قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾، أيْ : كتاب التوراة وكتاب الإنجيل .

إذن هذه التواريخ والرسائل المدوّنة ضمن كتب العهدين القديم والجديد والمعروفة الآن باسْم الكتاب المقدس، ليست هي التوراة والإنجيل المذكوريْن في القرآن الكريم، ولا يجب التسليم بصحتها وإلهاميتها، بل حُكْم كتب العهدين جميعها : أنّ كل رواية فيها إنْ صدّقها القرآنُ الكريم فهي مقبولة يقيناً عندنا،

نصدِّقها ولا حرج، وإنْ كذّبها القرآنُ الكريم فهي مردودة عندنا يقيناً، نكذِّبها ولا حرج، وإنْ سكت القرآنُ عن التصديق أو التكذيب فنسكت عنها، أيْ لا نصدقها ولا نكذبها، قال الله تعالى في سورة المائدة آية ٤٨ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ ، فالقرآن الكريم أمين على ما قبله من الكتب، أيْ يُظهر ما فيها من الحقّ ويؤيِّده، ويُظهر ما فيها من الباطل ويردُّ عليه.

وإنّ علماء الإسلام الذين ردّوا على التوراة والإنجيل وأظهروا ما فيهما من الكذب والتحريف، لم يقصدوا الردّ على التوراة والإنجيل المنزليْن من الله تعالى إلى موسى وعيسى عليهما السلام، ولكنهم قصدوا الردّ على هذه الكتب والتواريخ والسِّيرِ التي جُمعت في كتب العهدين خلال بضعة قرون، ثم زعموا أنها كتبت بالوحي والإلهام، وهي التي قال الله تعالى فيها في سورة البقرة آية ٧٩ : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ .

وقد أجمع أهل الإسلام قاطبة على أنّ التوراة الحقيقية هي ما نطق بها موسى عليه السلام بوحي الله تعالى إليه، وعلى أنّ الإنجيل الحقيقي هو ما نطق به المسيح عيسى عليه السلام بوحي الله تعالى إليه، وعلى أنّ هذا المجموع المشتهر الآن باسْم العهدين القديم والجديد ليس هو الذي جاء ذِكْره في القرآن الكريم؛ لأنّ للتوراة الآن ثلاث نسخ مختلفة، والأناجيل أربعة مختلفة أيضاً، والله تعالى أنزل توراة واحدة على موسى، وإنجيلاً واحداً على عيسى، فمن أنكر التوراة والإنجيل الوارد ذِكْرهما في القرآن الكريم فهو كافر وخارج عن ملة

الإسـلام، ومن أنكـر القصص الكاذبـة والـروايات المفتراة على الله تعـالى وعلى أنبيائه الكـرام، والموجودة فيها يسمى بكتـب العهدين أو (الكتـاب المقدَّس)، فلا يكفر ولا يخرج من ملة الإسلام، بل يعـدّ ذلك الإنكار وإظهار ما فيها من التحريـف والكذب واجباً على علماء الإسـلام، لتبرئة ساحة الألـوهية وسـاحة النبوة مما لا يليق بجلال الله تعالى ولا يليق بعصمة الأنبياء .

فهـذه النسخ الثـلاث للتوراة مختلفـة فيها بينها، ووقعـت فيها الأغـلاط والاختلافـات والتناقضـات، وذُكرت فيهـا قصَّة مـوت موسـى ودفْنه في أرض مـوآب، فنجـزم أنها ليست هي التـوراة الصحيحـة المنـزلـة على مـوسى عليـه السلام.

وهذه الأنـاجيل الأربعـة أيضاً مختلفة فيها بينهـا، ووقعت فيهـا الأغلاط والاختلافات والتناقضات، وذُكرت فيهـا قصَّة صلب المسيح (بزعمهم)، وأنه صُلب ومات يوم كـذا ودُفن في القبر، فنجزم أنها ليست هي الإنجيل الصحيح المنزل على عيسى عليه السلام.

الفصل الثالث

بيان أنّ هذه الكتب مملوءة من الاختلافات والأغلاط والتحريف

القسم الأول

بيان بعض الاختلافات

١- الاختلاف في أسماء أولاد بنيامين وفي عددهم :

ففي سفر أخبار الأيام الأول ٧/ ٦ : (لِبَنْيامِينَ بَالَعُ وباكَرُ ويَدِيعَئيلُ . ثلاثة) .

وفي سفر أخبار الأيام الأول ٨/ ١-٢ : (١) وبَنْيامِينُ وَلَدَ بالَعَ بِكْرَهُ وأشْبِيلَ الثانيَ وأخْرَخَ الثالثَ (٢) ونُوحَةَ الرابعَ ورَافا الخامسَ) .

وفي سفر التكوين ٤٦/ ٢١ : (وبنو بَنْيامِينَ بالَعُ وباكَرُ وأشْبِيلُ وجِيرا ونَعْمانُ وإيحِي ورُوشُ ومُفِّيمُ وحُفِّيمُ وأرْدُ) .

فأبناء بَنْيامِينَ حسب النص الأول : ثلاثةٌ ، وعلى حسب النص الثاني : خمسةٌ ، فاختلف النصان في أسمائهم وعددهم ، واتفقا في اسم بالَع فقط ، وهؤلاء الأبناء على حسب النص الثالث : عشرةٌ ، فاختلف مع النصين السابقين في الأسماء والعدد أيضاً ، واتفق مع النص الأول في اسم اثنين منهم ، واتفق مع النص الثاني في اسم اثنين منهم ، ولم تتفق النصوص الثلاثة إلاّ في اسم بالَع فقط .

وبما أنّ النصين الأول والثاني من كتاب واحد يلزم الاختلاف والتناقض في كلام مصنف واحد هو عزرا، ثم الاختلاف والتناقض بين ما كتب عزرا في سفر الأخبار وبين سفر التكوين، وقد تحيّرَ علماءُ أهلِ الكتاب في هذا الاختلاف والتناقض واضطروا فنسبوا الخطأ إلى عزرا فقالوا: إنّ أوراق النسب التي نقل عنها عزرا ناقصة، فلم يميّز بين الأبناء وبين أبناء الأبناء.

٢- الاختلاف في عدد المقاتلين في إسرائيل ويهوذا:

ففي سفر صموئيل الثاني ٢٤/ ٩: (فدفع يُوآبُ جُملةَ عَددِ الشَّعبِ إلى المَلِكِ فكان إسرائيلُ ثمانَ مِئةِ ألفِ رجلٍ ذي بأسٍ مُسْتلِّ السيفِ ورجالُ يهوذا خمسَ مِئةِ ألفِ رجلٍ).

وفي سفر أخبار الأيام الأول ٢١/ ٥: (فدفع يُوآبُ جُملةَ عَددِ الشَّعبِ إلى داودَ فكان كلُّ إسرائيلَ ألفَ ألفٍ ومِئَةَ ألفِ رجُلٍ مُسْتَلِّي السيفِ ويهوذا أربعَ مئةٍ وسبعين ألفَ رجلٍ مُسْتلِّي السيفِ).

فعدد المقاتلين حسب النص الأول في إسرائيل (٨٠٠,٠٠٠)، وفي يهوذا (٥٠٠,٠٠٠)، وعلى حسب النص الثاني عددهم في إسرائيل (١,١٠٠,٠٠٠)، وفي يهوذا (٤٧٠,٠٠٠).

فبيْن النصيْن اختلاف كبير في عدد المقاتلين من إسرائيل بمقدار ثلاث مئة ألف (٣٠٠,٠٠٠)، وفي عدد المقاتلين من يهوذا بمقدار ثلاثين ألفاً (٣٠,٠٠٠)، وقد اعترف آدم كلارك في تفسيره بأنّ تعيين النص الصحيح منهما عسير؛ لأنّ كتب التواريخ وقع فيها تحريفات كثيرة، وأنّ الاجتهاد في التطبيق عبث، والأحسن التسليم بالتحريف، لأنّ هذا الأمر لا قُدرة على إنكاره، ولأنّ

الناقلين لم يكونوا ذوي إلهام .

٣- الاختلاف في خبر جاد الرائي :

ففي سفر صموئيل الثاني ٢٤/ ١٣ : (فأتى جادُ إلى داودَ وأخبرهُ وقال له : أتأتي عليك سَبعُ سِنـي جُوعٍ في أرضك أمْ تهربُ ثلاثةَ أشهـرٍ أمام أعدائك وهم يتبعونك؟) .

وفي سفر أخبار الأيام الأول ٢١/ ١١ - ١٢ : (١١) فجاءَ جادُ إلى داودَ وقال لـه هكذا قال الربُّ : اقْبَلْ لنفسِكَ (١٢) إما ثلاثَ سنينَ جُوعٌ أو ثلاثةَ أشهرٍ هلاكٌ أمامَ مُضايقيكَ وسيفُ أعدائك يدْرِكُكَ) .

فبَيْنَ النصين اختلاف في مدة الجوع ، ففي الأول سبع سنين ، وفي الثاني ثلاث سنين ، وقد أقرّ مفسروهم أنّ النص الأول غلط . وقال آدم كلارك : إنّ نص سفر الأخبار صادق بلا ريب ، وهو موافق لما في اليونانية .

٤- الاختلاف في عمر المِلك أخزيا عندما مَلَكَ :

ففي سفر الملوك الثاني ٨/ ٢٦ : (كان أَخـزْيا ابنَ اثنتينِ وعشرين سنةً حينَ مَلَكَ ومَلَكَ سنةً واحدةً في أورشليم) .

وفي سفر أخبار الأيام الثاني ٢٢/ ٢ : (كان أَخَزْيا ابنَ اثنتينِ وأربعين سنةً حينَ مَلَكَ ومَلَكَ سنةً واحدةً في أورشليم) .

فبيْن النصين اختلاف بمقدار عشرين سنة ، ولا شك أنّ النص الثاني غلط ؛ لأنَّ أباه يهورام (على حسب ما في سفر أخبار الأيام الثاني ٢١/ ٢٠ و٢٢/ ١-٢) مات وهو ابن أربعين سنة ، وتولى أَخَزْيا المُلْك بعد موت أبيه مباشرة ، فلو لم يكن النص الثاني غلطاً يلزم أنْ يكون أَخَزْيا أكبر من أبيه

بسنتين، وهو ممتنع جداً، وقد أقرّ آدم كلارك وهورن وهنري وإسكات في تفاسيرهم بأنّ هذا الاختلاف وقع من غلط الكاتب .

٥- الاختلاف في عمر الملك يهوياكين عندما ملَك :

ففي سفر الملوك الثاني ٢٤/ ٨-٩ : (٨) كان يَهُوياكينُ ابنَ ثماني عشرةَ سنةً حينَ مَلَكَ ومَلَكَ ثلاثةَ أشهرٍ في أورشليم... (٩) وعَمِلَ الشرَّ في عَيْنَيِ الربِّ).

وفي سفر أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ٩ : (كان يَهُوياكينُ ابنَ ثماني سِنينَ حينَ مَلَكَ ومَلَكَ ثلاثةَ أشهرٍ وعشرةَ أيامٍ في أورشليم وعَمِلَ الشرَّ في عَيْنَيِ الربِّ) .

فبين النصين اختلاف بمقدار عشر سنين، وقد أقرّ مفسروهم أنّ الثاني غلط يقيناً؛ لأنّ مدة حكْمه كانت ثلاثة أشهر فقط، ثم ذهب إلى بابل أسيراً، وبقي في السجن وأزواجه معه. وهذا خلاف العادة أنْ يكون لابن ثماني سنين أزواج، وخلاف الشرع أنْ يقال لمثل هذا الصغير: إنه عَمِلَ الشرَّ في عيني الربِّ. ولذلك قال المحقِّق آدم كلارك: هذا الموضع من السفر محرف .

٦- الاختلاف في عدد الذين قتلهم أحد أبطال داود بالرمح دفعة واحدة :

ففي سفر صموئيل الثاني ٢٣/ ٨ : (هو هَزَّ رُمْحَهُ على ثمانِ مئةٍ قَتَلَهم دُفعةً واحدةً) .

وفي سفر أخبار الأيام الأول ١١/ ١١ : (هو هَزَّ رُمْحَهُ على ثلاثِ مئةٍ قَتَلَهم دُفعةً واحدةً) .

فبيْن النصين اختلاف بمقدار خمس مئة قتيل . قـال آدم كلارك والدكتور كني كات : إنّ في هذه الفقرة ثلاثة تحريفات جسيمة .

٧- الاختلاف في عـدد ما يؤخـذ من الطير والبهائم في سفينة نـوح عليه السلام :

ففي سفر التكوين ٦/ ١٩-٢٠ : (١٩) ومِنْ كلِّ حيٍّ مِنْ كلِّ ذي جَسَدٍ اثنين مِن كُلٍّ تُدْخِلُ إلى الفُلْكِ لاستبقائهـا معَكَ . تكُونُ ذَكَراً وأنثى (٢٠) من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كلِّ دباباتِ الأرضِ كأجناسها . اثنين من كلٍّ تُدخِلُ إليك لاستبقائها) .

وفي سفر التكـوين ٧/ ٨-٩ : (٨) ومن البهـائمِ الطاهرةِ والبهـائمِ التي ليست بطاهرةٍ ومن الطيورِ وكلِّ ما يَدِبُّ على الأرضِ (٩) دخل اثنانِ اثنانِ إلى نوحٍ إلى الفُلْكِ ذكراً وأنثى . كما أمر الله نوحاً) .

وفي سفر التكوين ٧/ ٢-٣ : (٢) من جميعِ البهـائمِ الطاهرةِ تأخذُ معَكَ سبعةً سبعةً ذكراً وأنثى . ومن البهائم التي ليست بطاهرةٍ اثنين ذكراً وأنثى (٣) ومن طيورِ السماءِ أيضـاً سبعةً سبعةً ذكراً وأنثى . لاستبقـاءِ نسْلٍ على وجهِ كلِّ الأرضِ) .

فهذه ثـلاثة نصوص في سفـر واحد، يُفهم من الأول والثـاني منها أنّ الله تعالى أمر نوحاً عليه السلام أنْ يـأخذ معه في السفينة من جميع البهائم والطيور وحشرات الأرض اثنين اثنين ذكراً وأنثـى، وأنّ نوحـاً عليه السـلام قد نفّـذ هذا الأمر .

بينما يفهم من النص الثـالث منها أنّ الله تعالى أمـر نوحاً عليـه السلام أنْ

يأخذ معه في السفينة من جميع البهائم الطاهرة فقط ومن جميع الطيور سبعةَ أزواجٍ سبعةَ أزواجٍ، أما البهائم التي ليست بطاهرة فيأخذ منها اثنين اثنين فقط .

فليس في النصين الأوَّل والثاني ذِكْر للسبعة، واتفقا بذِكْر الاثنين اثنين في الجميع، وفي النص الثالث قيَّد الاثنين بالبهائم غير الطاهرة ، ونص على السبعة في الطيور وباقي البهائم، وهو مناقض للنصين الأول والثاني ، وهذا اختلاف عظيم .

٨- الاختلاف في عدد الأسرى الذين أسرهم داود عليه السلام :

ففي سفر صموئيل الثاني ٨/ ٤ : (فأخذَ داودُ منه ألفاً وسَبْعَ مِئةِ فارسٍ وعشرين ألفَ راجلٍ) .

وفي سفر أخبار الأيام الأول ١٨/ ٤ : (وأخذَ داودُ منه ألفَ مركبةٍ وسبعةَ آلافِ فارسٍ وعشرين ألفَ راجلٍ) .

فاختلف النصان بزيادة (١٠٠٠) مركبة، و(٥٣٠٠) فارس في النص الثاني .

٩- الاختلاف في عدد الذين قتلهم داود عليه السلام من أرام :

ففي سفر صموئيل الثاني١٠/ ١٨ : (وقَتل داودُ من أرامَ سبعَ مئةِ مركبةٍ وأربعين ألفَ فارسٍ) .

وفي سفر أخبار الأيام الأول ١٩/ ١٨ : (وقَتل داودُ من أرامَ سبعةَ آلافِ مركبةٍ وأربعين ألفَ راجلٍ) .

فاختلف النصان بزيادة (٦٣٠٠) مركبة في النصِّ الثاني .

١٠- الاختلاف في عدد مذاود خيل سليمان عليه السلام :

ففي سفر الملوك الأول ٤/ ٢٦ : (وكـان لسليمانَ أربعونَ ألفَ مِذْوَدٍ لخيلِ مركباتِه واثناعَشَرَ ألفَ فارسٍ) .

وفي سفر أخبـار الأيام الثاني ٩/ ٢٥ : (وكان لسليمانَ أربعـةُ آلافِ مِذْوَدِ خيلٍ ومركباتٍ واثناعشَرَ ألفَ فارسٍ) .

فـاختلف النصـان بزيـادة (٣٦٠٠٠) مذود في النـص الأول، وقد قـال المفسر آدم كلارك : الأحسن أنْ نعترف بوقوع التحريف في العدد .

١١- الاختلاف في بيان نسب المسيح عليه السلام :

نسبُ المسيح عليه السلام مذكور في إنجيل متّى ١/ ١-١٧، وفي إنجيل لـوقا ٣/ ٢٣-٣٨، ومن قـابل بين سيـاق النسبين فيهما وجد ستـة اختلافـات عظيمة، هي :

أ- في إنجيل متّى ١/ ١٦ : أنّ رجل مريم والدة المسيح هو يوسف بن يعقوب، وفي إنجيل لوقا ٣/ ٢٣ : أنه يوسف بن هالي .

ب- في إنجيـل متّـى ١/ ٦ : أنّ المسيـح مــن نســل سليمان بـن داود عليهـم السلام، وفي إنجيل لوقا ٣/ ٣١ : أنه من نسل ناثان بن داود عليه السلام .

جـ- يُعلم من إنجيل متّى ١/ ٦-١١ : أنّ جميـع آباء المسيح من داود إلى سبي بابـل ملوك مشهورون، ويُعلم مـن إنجيل لوقـا ٣/ ٢٧-٣١ : أنهم ليسوا ملوكاً ولا مشهورين، غير داود عليه السلام وابنه ناثان .

د- في إنجيل متّى ١/ ١٢ : أنّ شألِتْيـل ابنُ يكنيا، وفي إنجيل لـوقا ٣/ ٢٧ : أنّ شألِتْيل ابنُ نيري .

هـ - في إنجيل متّى ١/ ١٣ : أنّ ابن زَرُبّابل اسمه : أبِيهُود ، وفي إنجيل لوقا ٣/ ٢٧ : أنّ ابن زَرُبّابل اسمه : رِيسَا .

والعجب أنّ أسماء أبناء زَرُبّابل مكتوبة في سفر أخبار الأيام الأول ٣/ ١٩ ، وليس فيهم أبِيهُود ولا رِيسا .

و - يُعلم من سياق النسب في إنجيل متّى ١/ ٦-١٧ : أنّ عدد الأجيال بين داود والمسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلاً ، ويُعلم من سياق نفس النسب في إنجيل لوقا ٣/ ٢٣-٣١ : أنّ عدد الأجيال بينهما واحد وأربعون جيلاً .

وقد تحيّر علماء النصارى والمحققون القدماء في هذا الاختلاف منذ اشتهار هذين الإنجيلين في القرن الميلادي الثالث ، ولم يستطيعوا إزالته ، وطمعوا في أنْ يزول هذا الاختلاف بمرور الزمان ، ولكنْ خاب أملهم ، ومازال الاختلاف في هذا النسب إلى الآن موجوداً ومحيِّراً للمتأخرين أيضاً .

١٢ - الاختلاف في عدد الذين شفاهم المسيح عليه السلام :

وردت قصة الأعميين في إنجيل متّى ٢٠/ ٢٩-٣٤ ، وأكتفي بنقل بعض فقراتها : (٢٩) وفيما هم خارجون من أريحا تَبِعه جَمعٌ كثير (٣٠) وإذا أعميانِ جالسانِ على الطريق ... (٣٤) فتحنَّنَ يسوعُ ولمس أعينَهما فلِلْوقتِ أَبصرتْ أعينُهما فتبِعاه) .

ووردت قصة المجنونين في إنجيل متّى ٨/ ٢٨-٣٤ ، وأكتفي بنقل أول فقراتها : (٢٨) ولمَّا جاء إلى العَبْرِ إلى كُورةِ الجِرْجَسِيّينَ استقبله مجنونانِ خارجانِ من القبور هائجانِ جدّاً ...) .

ففي هذين النصين من إنجيل متّى أنهما أعميان ومجنونان .

والقصة الأولى عينها وردت في إنجيل مرقس ١٠/ ٤٦-٥٢ ، ويُعلم منها أنّ الجالس على الطريق أعمى واحدٌ اسمه بارتيماوس .

والقصة الثانية عينها وردت في إنجيل مرقس ٥/ ١-٢٠ ، وفي إنجيل لوقا ٨/ ٢٦-٣٩، ويُعلم من هذين الموضعين أنّ الذي استقبله مجنون واحد .

١٣- الاختلاف في العصا الواردة في وصية المسيح لتلاميذه الاثني عشر:

ففي إنجيل متّى ١٠/ ٩-١٠ : (٩) لا تقتنوا ذهباً ولا فِضّةً ولا نُحاساً في مناطقكم[١] (١٠) ولا مِزْوداً للطريق ولا ثوبينِ ولا أحذيةً ولا عصاً) .

ومثلها في إنجيل لوقا ٩/ ٣: (وقال لهم: لا تحملوا شيئاً للطريق لا عصاً ولا مِزوداً ولا خبزاً ولا فضةً ولا يكونُ للواحد ثوبانِ) .

وفي إنجيل مرقس ٦/ ٨-٩ : (٨) وأوصاهم أنْ لا يَحْمِلوا شيئاً للطريق غيرَ عصاً فقط . لا مِزوداً ولا خبزاً ولا نحاساً في المِنْطَقَةِ (٩) بل يكونوا مشدودين بِنِعَالٍ ولا يَلْبَسوا ثوبين) .

فهذه ثلاثة نصوص يفيد الأول والثاني منها أنَّ عيسى عليه السلام لَمَّا أرسل الحواريين الاثني عشر منعهم من أنْ يحملوا أيَّ شيء معهم، حتى ولا عصاً للطريق .

بينما يفيد النص الثالث أنه عليه السلام سمح لهم فقط أنْ يأخذوا عصاً للطريق .

١٤- الاختلاف في شهادة المسيح لنفسه :

---

(١) جمع مِنْطقة وهي النِّطاق أي الزنّار الذي يُشَدّ على وسط الإنسان .

ففي إنجيل يوحنا ٥/ ٣١ قول المسيح : (إنْ كنتُ أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقًّا) .

وفي إنجيل يوحنا ٨/ ١٤ قول المسيح : (وإنْ كنتُ أشهد لنفسي فشهادتي حقٌّ) .

فالنص الأول يفيد عدم الأخذ بشهادة المسيح لنفسه ، والنص الثاني يفيد وجوب الأخذ بشهادة المسيح لنفسه .

١٥- الاختلاف في حامل الصليب إلى مكان الصَّلْب :

ففي إنجيل متّى ٢٧/ ٣٢ : (وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قَيْرَوانيّاً اسمه سِمْعانُ فسخّروه ليحْمِلَ صليبَه) .

وفي إنجيل لوقا ٢٣/ ٢٦ : (ولمّا مَضَوْا به أَمْسَكُوا سِمْعانَ رجلاً قَيْروانيّاً كان آتياً من الحقلِ ووضعوا عليه الصليب ليحملَهُ خلْفَ يسوع) .

وفي إنجيل يوحنا ١٩/ ١٧ : (فأخذوا يسوع ومضَوا به فخرج وهو حاملٌ صليبَه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجُمْجُمَةِ ويقال له بالعبرانية جُلْجُثَةُ) .

فهذه نصوص ثلاثة ، يفيد الأول والثاني منها عند متّى ولوقا أنّ الذي حمل الصليب هو سِمعانُ القَيْرواني ، ويفيد الثالث منها عند يوحنا أنّ الذي حمل الصليب هو المسيح نفسه .

١٦- هل المسيح صانع سلامٍ أم ضدّه؟

ففي إنجيل متّى ٥/ ٩ : (طوبى لصانعي السلامِ . لأنهم أبناءَ الله يُدْعَوْنَ) .

وفي إنجيل لوقا ٩/ ٥٦ : (لأنّ ابن الإنسان لم يأت ليُهْلِكَ أنفُسَ الناس

بل لِيُخلّصَ) .

وفي إنجيل متّى ١٠/ ٣٤ : (لا تظنّوا أني جئت لأُلقيَ سلاماً على الأرض . ما جئتُ لألقيَ سلاماً بل سيفاً) .

وفي إنجيل لـوقا ١٢/ ٤٩ و٥١ : (٤٩) جئتُ لأُلقيَ نـاراً على الأرضِ . فماذا أُريدُ لـو اضطرمتْ (٥١) أتظنون أني جئت لأُعْطِيَ سـلاماً على الأرض . كلاًّ أقول لكم بل انقساماً) .

والاختـلاف واضح ، ففي النصَّين الأول والثـاني مدح صـانعي السـلام بقوله : (طـوبى) ، وبيّن أنَّه ما جاء ليهلـك أنفس الناس بل ليخلِّصهم، وفي النصَّين الثالـث والرابع نفى عـن نفسه السلام، وأَثبـتَ ضدَّه، وبيّن أنـه جاء بالسيف ليُلقي النار والانقسام .

فيلزم من هذا أنّ عيسى عليه السـلام ما جاء ليخلِّص ، بل ليُهلِك ، وأنه لا يكون من الذين قيل في حقهم : طوبى لصانعي السلام .

القسم الثاني
بيان بعض الأغلاط

وهي غير الاختلافات السابقة، وذلك لأنّ الاختلافات تُستخرج بالمقابلة بين النُّسَخ وتراجمها وأصحاحاتها، أما الأغلاط فتعرف بعدم مطابقتها للواقع، أو للعقل، أو للعرف، أو للتاريخ، أو لعلم الرياضيات، أو لأيّ علم آخر حسب أقوال المحققين، كما سترى .

١ - الغلط في مدة إقامة بني إسرائيل في مصر:

ورد في سفر الخروج ١٢/ ٤٠-٤١ : (٤٠) وأمَّا إقامةُ بني إسرائيلَ التي أقاموها في مصرَ فكانت أربعَ مئةٍ وثلاثين سنةً (٤١) وكان عند نهايةِ أربعِ مئةٍ وثلاثين سنةً في ذلك اليوم عَيْنِهِ أنّ جميعَ أجنادِ الربِّ خرجتْ من أرضِ مصرَ) .

وهو غلط؛ لأنّ مدّة سكنى بني إسرائيل في مصر كانت مائتين وخمس عشرة (٢١٥) سنة فقط، وأما مدة سكناهم وسكنى آبائهم في أرض كنعان وأرض مصر فكانت أربع مئة وثلاثين (٤٣٠) سنة؛ لأنّ الزمان من دخول إبراهيم عليه السلام أرض كنعان (فلسطين) إلى ولادة ابنه إسحاق عليه السلام (٢٥) سنة، ومن ولادة إسحاق إلى ولادة يعقوب عليهما السلام (٦٠) سنة، وكان عمر يعقوب عليه السلام عندما دخل أرض مصر (١٣٠) سنة ، فيكون مجموع السنوات من دخول إبراهيم عليه السلام أرض كنعان إلى دخول حفيده يعقوب عليه السلام أرض مصر مائتين وخمس عشرة سنة .

٢٥+٦٠+١٣٠=٢١٥ سنة .

وكانت مدة إقامة بني إسرائيل في أرض مصر منذ دخلها يعقوب عليه

السلام إلى خروجهم مع موسى عليه السلام مائتين وخمس عشرة (٢١٥) سنة أيضاً، فيكون مجموع الإقامتين في أرض كنعان وأرض مصر أربع مئة وثلاثين (٤٣٠) سنة، وقد أقرَّ علماء أهل الكتاب من المفسرين والمؤرخين والمحقِّقين بهذا الغلط، وقالوا: إنّ عبارة نسخة التوراة السامرية التي تجمع بين الإقامتين صحيحة، وتزيل الغلط الواقع في غيرها.

ونص فقرة سفر الخروج ١٢/ ٤٠ في التوراة السامرية كما يلي: (وسُكْنى بني إسرائيل وآبائهم ما سكنوا في أرض كنعان وفي أرض مصر ثلاثين سنة وأربع مئة سنة). ونصها في التوراة اليونانية كمايلي: (فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل وآباؤهم وأجدادهم في أرض كنعان وأرض مصر أربعمائة وثلاثين سنة).

وهذا ما ذهب إليه صاحب الكتاب المعتمد عند محقِّقي النصارى والمسمى: (مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين)، فقد ذكر أنّ الزمان من إقامة يعقوب في مصر إلى ولادة المسيح (١٧٠٦) سنوات، ومن عبور بني إسرائيل البحر وغرق فرعون إلى ولادة المسيح (١٤٩١) سنة، فإذا طرحنا ١٧٠٦-١٤٩١=٢١٥ سنة، هي مدة إقامة بني إسرائيل في مصر من دخول يعقوب إليها إلى خروج موسى منها وغرق فرعون، فإذا عرفنا أنّ يعقوب عليه السلام هو الأبُ الرابع لموسى عليه السلام (لأنه موسى بن عمران بن قهات بن لاوي بن يعقوب) حصل اليقين والجزم بأنّ مدَّة إقامة بني إسرائيل في مصر يستحيل أنْ تكون أكثر من (٢١٥) سنة، وهذه هي المدَّة التي أجمع عليها المؤرخون والمفسرون والمحقِّقون من علماء أهل الكتاب، وغلّطوا ما وقع في النسخة العبرانية من أنّ مدة إقامة بني إسرائيل في مصر وحدها (٤٣٠) سنة،

ولذلك قال آدم كلارك في تفسيره : إنّ الكـل متّفقون على أنّ مضمون ما جاء في النسخة العبرانية في غـاية الإشكال ، وعلى أنّ السامـرية في حق أسفار مـوسى الخمسة أصحّ من غيرها ، وعلى أنّ التواريخ تؤيد ما جاء في السامرية .

وقال جامعو تفسير هنـري وإسكات : إنّ عبارة السامرية صـادقة وتزيل كل مُشكِلٍ وقع في المتن .

فظهـر أنّ علماء أهـل الكتـاب لا تـوجيه عنـدهـم لعبـارة سفـر الخروج ١٢/ ٤٠ التي في النسخة العبرانية سوى الاعتراف بأنها غلط .

٢- الغلط في عدد بني إسرائيل حينما خرجوا مع موسى من أرض مصر :

ففي سفر العدد ١/ ٤٤-٤٧ : (٤٤) هؤلاء هم المعـدودون الذين عدَّهم موسى وهارونُ ... (٤٥) فكان جميع المعدوديـن من بني إسرائيل حسَبَ بيوتِ آبائهم مِنِ ابنِ عشرين سنةً فصـاعداً كلُّ خارجٍ للحرب في إسرائيل (٤٦) كان جميع المعـدودين ســتَّ مئةِ ألـفٍ وثلاثـةَ آلافٍ وخمسَ مئةٍ وخمسين (٤٧) وأمَّـا اللاويُّونَ حَسَبَ سِبْطِ آبائهم فلم يُعَدّوا بينهم) .

يفهم مـن النصِّ السابـق أنَّ عدد القادريـن على القتال ممن هـم في سنِّ العشرين سنة فما فـوق من بني إسرائيل الخارجين من مصر مع مـوسى وهارون عليهما السلام كـان (٦٠٣٥٥٠) ، وأنَّ جميع أفراد سبـط اللاويين ذكوراً وإنـاثاً غير داخلين في هذا العـدد ، وكذلك جميع إنـاث بني إسرائيل ، وجميع الـذكور الذين هم دون سنِّ العشرين غير داخلين في هـذا العدد أيضاً ، فلو ضممنا إلى هذا العـدد جميع المتروكين والمتروكات لا يكون الكـلّ أقلَّ من مليـونين ونصف مليون نفس ، وهذا غير صحيح لعدَّة أمور:

أ - لأنه ورد في سفر التكويـن ٤٦/ ٢٧ وفي سفر الخروج ١/ ٥ وفي سفر التثنية ١٠/ ٢٢ أنّ جميع نفـوس بيت يعقوب التي جـاءت إلى مصر سبعون (٧٠) نفساً .

ب - لأنّ مدة إقـامة بني إسرائيـل في مصر كانـت مائتين وخمس عشرة (٢١٥) سنة فقط .

جـ- لأنّه ورد في سفـر الخروج ١/ ١٥-٢٢ أنّ بني إسرائيل قبل خـروجهم من مصر بمقدار ثمانين (٨٠) سنـة كان مـواليدهـم الذكـور يُقتلون وتُستحيـا الإناث .

فإذا عُـرفتْ هـذه الأمور الثـلاثة يجزم العقـل بالغلـط في العدد المذكـور (٦٠٣٥٥٠)، بـل لو قطعنـا النظر عـن قتـل مواليـدهـم الذكـور وفرضنـا أنَّ عددهم كان يتضاعف في كل خمس وعشرين سنة ، فإنَّ عدد (٧٠) سيتضاعف في مدة (٢١٥) سنة تسع مـرات ، فلا يبلغ عددهم أكثر مـن ستة وثلاثين ألفاً (٣٦٠٠٠)، فكيـف يكـون عدد المقـاتلين منهـم (٦٠٣٥٥٠)؟! وإذا كـان مقاتلوهم أكثر من نصف مليون فـوجب أنْ لا يقِلَّ عدد جميع بني إسرائيل عن مليونين ونصـف ، وهذا ممتنع جـدًّا لا يقبله العقل السليـم ، ولو لوحـظ القتل فامتنـاعه في العقل أظهر . وإلى إنكـار هذا العدد (٦٠٣٥٥٠) مال العـلاَّمة المحقِّق ابـن خلدون في مقدمة تـاريخه ؛ لأنّ الذي بين يعقوب وموسـى إنما هو ثلاثـة آباء أيْ أربعة أجيـال ، فهو على حسب مـا في سفر الخروج ٦/ ١٦-٢٠ وسفر العدد ٣/ ١٧-١٩ : (موسى بن عمران بن قهات بن لاوي بن يعقوب) ، ويبعد أنْ يتشعب النسل من سبعين نفساً في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد .

وهناك أمران أيضاً يؤيدان وقوع الغلط في هذا العدد :

أ - ورد في سفر الخروج ١٢/ ٣٨-٤٢ أنه خرج معهم من مصر غنم وبقر ومواش وافرة جدًّا، وأنَّهم عبروا البحر في ليلة واحدة، وأنهم كانوا يرتحلون كل يوم، وكان يكفي لارتحالهم الأمر اللساني الذي يصدر عن موسى مباشرة بدون واسطة. وقد نزل بنو إسرائيل بعد عبورهم البحر حول طور سيناء عند الاثنتي عشرة عيناً، ولو كان بنو إسرائيل بالعدد المذكور فيستحيل أنْ يعبروا البحر مع مواشيهم في ليلة واحدة، ويستحيل أنْ يرتحلوا كل يوم، ولا يكفي لارتحالهم الأمر اللساني الصادر من موسى، كما أنّ المكان حول طور سيناء لا يتسع لكثرتهم وكثرة مواشيهم .

ب - ورد في سفر الخروج ١/ ١٥-٢٢ أنه كان لبني إسرائيل في مصر قابلتان فقط لتوليد نسائهم، وإليهما صدر الأمر الفرعوني بقتل كل مولود ذكر من أبنائهم، فلو كان عدد بني إسرائيل بالقدر المذكور يستحيل أنْ تكفي قابلتان لتوليد نسائهم، ولوجب أنْ يكون بينهم مئات القوابل .

فالحقّ أنّ عدد بني إسرائيل كان بالقدر الذي يمكن تناسله من سبعين (٧٠) نفساً في مدة مائتين وخمس عشرة (٢١٥) سنة، وتكفيه قابلتان للتوليد، وتكفي ليلة واحدة لخروجهم مع مواشيهم من أرض مصر إلى أرض سيناء، وأنّ هذا العدد كان يكفيه الأمر اللساني من موسى عليه السلام لارتحالهم كل يوم، وأنّ المكان المحيط بطور سيناء يكفي لنزولهم مع مواشيهم، ونجزم بلا أدنى شكّ أنّ العدد المذكور في سفر العدد ١/ ٤٤-٤٧ (أيْ أنّ مقاتلي بني إسرائيل فقط كانوا ٦٠٣٥٥٠) غلط يقيناً .

٣- الغلط الذي يلزم منه نفي نبوّة داود عليه السلام:

ففي سفر التثنية ٢٣/ ٢: (لا يَدخل ابنُ زِنىً في جماعة الربِّ . حتى الجيلِ العاشرِ لا يَدخلْ منه أحدٌ في جماعة الربِّ) .

فهذا النص غلط؛ لأنه يلزم منه أنْ لا يدخل داود عليه السلام في جماعة الربِّ، ولا يكون نبيًّا؛ لأنّ فارَص هو ولد زنا، فقد زنى أبوه يهوذا بكنّته ثامار، فولدت له فارص من هذا الزنا، كما هو مذكور في سفر التكوين ٣٨/ ١٢-٣٠، وداود هو البطن التاسع بعد فارص، وإذا ابتدأنا بفارص فهو البطن العاشر؛ لأنّ نسب داود كما ورد في إنجيل متّى ١/ ١-٦، وفي إنجيل لوقا ٣/ ٣١-٣٣ كما يلي:

داود بن يسَّى بن عُوبِيد بن بُوعَز بن سَلْمُون بن نَحْشُون بن عمّيناداب بن أرَام بن حَصْرون بن فارَص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. ويُعَدّ داود رئيس جماعة الربِّ وأعلى من كل ملوك الأرض على حسب ما ورد في سفر المزامير ٨٩/ ٢٦-٢٧، والصواب أنّ فقرة سفر التثنية ٢٣/ ٢ غلط، وفي طبعة رجارد واطس في لندن سنة ١٨٢٥م، وطبعة كلكتا سنة ١٨٢٦م، زيد في نسب داود الوارد في إنجيل لوقا اسم يورام بين أرام وحصرون، كما يلي: (أرام بن يورام بن حصرون بن فارص)؛ ليكون داود هو البطن الحادي عشر، ولكنَّ المحرّفين بزيادة هذا الاسم نسوا أنْ يضيفوا اسم يورام في النسب الوارد في إنجيل متَّى من نفس الطبعتين، فافتضح أمرهم، ووقع الاختلاف في نسب داود بين الإنجيلين في الطبعتين المذكورتين، وبقي الاعتراض قائماً، وأيضاً لم يرد اسم يورام في طبعة سنة ١٨٤٤م ولا في طبعة سنة

١٨٦٥م، ولا في ما بعدهما، لا في إنجيل متَّى ولا في إنجيل لوقا، وبقي فيها كلها: (أرام بن حصرون)، والصواب أنّ فقرة سفر التثنية ٢٣/ ٢ غلط من أساسها، وأنّ قصَّة زنا يهوذا بن يعقوب بكنته ثامار مفتراة من أساسها أيضاً، وهذا الحكْم لا يمكن أنْ يكون من جانب الله تعالى، ولا من كتابة موسى عليه السلام، وقد حكم المفسر هارسلي بأنّ عبارة: (حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب) إلحاقية، أيْ من التحريف بالزيادة.

٣- الغلط في عدد المضروبين من أهل بيتشمس:

أكتفي بالفقرتين التاليتين من قصة التابوت المذكورة في سفر صموئيل الأول ٦/ ١٣ و ١٩: (١٣) وكان أهلُ بَيْتَشْمَسَ يحصِدون حَصَادَ الحِنْطَةِ في الوادي. فرفعوا أعينَهم ورأَوُا التابوتَ وفرحوا برؤيته (١٩) وضَرَب أهلَ بَيْتَشْمَسَ لأنَّهم نظروا إلى تابوت الربِّ. وضرَب من الشعب خمسين ألفَ رجلٍ وسبعين رجلاً. فناح الشعبُ لأنَّ الربَّ ضرب الشعبَ ضربةً عظيمةً).

ولا شكَّ أنَّ هذا الخبر غلط، فقد قال آدم كلارك بعد الطعن فيه: الغالب أنّ المتن العبري محرف، إما سقط منه بعض الألفاظ، وإما زيد فيه لفظ: (خمسون ألف) جهلاً أو قصداً؛ لأنه لا يمكن أنْ يكون أهل تلك القرية الصغيرة بهذا العدد، ولا يمكن أنْ يكون هذا العدد مشتغلاً بحصاد الزرع في وقت واحد، وأبعد منه أنْ يَرى دفعةً واحدةً خمسون ألفاً التابوتَ موضوعاً على حجر في وسط حقل.

وهذه العبارة وردت في النسخة اللاتينية: (سبعون رئيساً وخمسون ألفاً من العوام)، وفي النسخة اليونانية كالعبرية: (خمسون ألفاً وسبعون إنساناً)، وفي

الترجمة السُّريانية والعربية : (خمسة آلاف وسبعون إنساناً)، وعند المؤرخ يوسيفس : (سبعون إنساناً) فقط، وكتب بعض الأحبار أعداداً أخرى، فهذه الاختلافات وعدم الإمكان المذكور تعطينا اليقين التام أنّ التحريف وقع ههنا يقيناً، إما بزيادة شيء، وإما بإسقاط شيء .

واستبعد هنري وإسكات في تفسيرهما أنْ يذنب الناس بهذا المقدار ، ويُقتلون في القرية الصغيرة، وشكّكا في صدق هذه الحادثة .

فانظر إلى هؤلاء المفسرين كيف استبعدوا هذه الحادثة، وكذّبوا هذا الخبر ، وأقروا بالغلط، واعترفوا بالتحريف القصدي بالزيادة أو بالنقصان .

٤- الغلط في ارتفاع الرواق الذي بناه سليمان عليه السلام :

ففي سفر أخبار الأيام الثاني ٣/ ٤ : (والرُّواقُ الذي قُدّامَ الطولِ حسَبَ عَرْضِ البيتِ عشرون ذراعاً وارتفاعه مئةٌ وعشرون) .

وقد ورد في سفر الملوك الأول ٦/ ٢ أنّ ارتفاع البيت الذي بناه سليمان عليه السلام ثلاثون ذراعاً، فإذا كان ارتفاعه ثلاثين ذراعاً فكيف يكون ارتفاع الرواق مائة وعشرين ذراعاً؟!

وقد اعترف آدم كلارك في تفسيره بأنّ الغلط وقع في فقرة سفر أخبار الأيام الثاني ٣/ ٤، ولذلك حرف مترجمو الترجمة السريانية والعربية فأسقطوا لفظ المائة، وقالوا : ارتفاعه عشرون ذراعاً، وصُحِّح هذا الغلط في الطبعة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م؛ فوردت فيها الفقرة المذكورة كما يلي :

(والرواق الذي أمام البيت طوله كقدر عرض البيت عشرين ذراعاً وارتفاعه عشرين ذراعاً) .

٥- الغلط في عدد جيش أبيّا ويربعام :

ففي سفر أخبار الأيام الثاني ١٣/ ٣ و١٧ : (٣) وابتدأ أبِيّا في الحرب بجيشٍ من جبابرةِ القتالِ أربعِ مئةِ ألفِ رجلٍ مختارٍ ويَرْبُعام اصْطفّ لمحاربته بثمانِ مئةِ ألفِ رجلٍ مختارٍ جبابرةِ بأسٍ (١٧) وضربهم أبيّا وقومُه ضربةً عظيمةً فسقط قتلى من إسرائيل خمسُ مئةِ ألفِ رجلٍ مختارٍ) .

وقد أقرَّ مفسِّروهم بالغلط في هذه الأعداد الواقعة في هاتين الفقرتين؛ لأنها مخالفة للقياس بالنسبة لهؤلاء الملوك، فهم لم يبلغوا هذا العدد لِقِلّتهم في تلك الأيام، ولذلك غُيّرتْ في أكثر نُسخ الترجمة اللاتينية إلى : (أربعين ألفاً) في الموضع الأول، و (ثمانين ألفاً) في الموضع الثاني، و (خمسين ألفاً) في الموضع الثالث، ورضي المفسرون بهذا التغيير، وأيده هورن وآدم كلارك، وكان آدم كلارك يعلن كثيراً في تفسيره ويصرِّح بوقوع التحريف في كتب التواريخ .

٦- الغلط بخصوص الأكل من الشجرة، وبخصوص عمْر الإنسان :

ففي سفر التكوين ٢/ ١٧ : (وأما شجرةُ معرفةِ الخيرِ والشرِّ فلا تأكلْ منها لأنك يومَ تأكلُ منها موتًا تموت) .

وهذا غلط ؛ لأنَّ آدم عليه السلام أكل من الشجرة، ولم يمت في يوم الأكل، بل عاش بعد ذلك أكثر من تسع مئة سنة .

وفي سفر التكوين ٦/ ٣ : (فقال الربُّ لا يَدِينُ روحي في الإنسان إلى الأبدِ لِزَيَغَانِهِ هُوَ بَشَرٌ وتكونُ أيامُه مئةً وعشرين سنةً) .

وهذا أيضاً غلط ؛ لأنّ أعمار الذين كانوا في سالف الزمان طويلة جدًّا، فعلى حسب ما ورد في سفر التكوين ٥/ ١-٣١ : فقد عاش آدم (٩٣٠) سنة،

وعاش شيث (٩١٢) سنة، وعاش أنوش (٩٠٥) سنين، وعاش قينان (٩١٠) سنين، وعـاش مهللئيل (٨٩٥) سنـة، وعـاش يـارد (٩٦٢) سنـة، وعـاش أخنوخ (إدريس عليـه السلام) (٣٦٥) سنة، وعاش متوشـالح (٩٦٩) سنة، وعاش لامك (٧٧٧) سنـة، وعلى حسب ما ورد في سفر التكـوين ٩/ ٢٩ فإنَّ نوحاً عاش (٩٥٠) سنة.

وبهذا يظهر أنَّ تحديد عمر أولاد آدم بمائة وعشرين سنة غلط .

٧- الغلط في عدد الأجيال الواردة في نسب المسيح عليه السلام:

ورد سيـاق نسب المسيـح إلى إبـراهيم عليـه السـلام في إنجيل متَّـى ١/ ١-١٧، والفقرة السـابعة عشرة فيه كما يلي: (فجميعُ الأجيـالِ من إبراهيمَ إلى داودَ أربعةَ عشرَ جيـلاً . ومن داودَ إلى سَبْيِ بـابلَ أربعةَ عشرَ جيـلاً . ومن سَبْيِ بابلَ إلى المسيح أربعةَ عشرَ جيلاً) .

ويُعلم من هذه الفقـرة أنّ سلسلة نسب المسيح إلى إبـراهيم مشتملة على ثـلاثة أقسـام، كل قسم منهـا مشتمل على أربعة عشر جيـلاً، فيكون مجمـوع الأجيـال من المسيح إلى إبراهيـم اثنين وأربعين جيلاً، وهـو غلط صريح؛ لأنّ عدد الأجيال واحد وأربعون جيـلاً فقط، فالقسم الأول من إبراهيم إلى داود فيه أربعة عشر جيـلاً، والقسم الثاني من سليمان إلى يكنيـا فيه أربعـة عشر جيلاً، والقسم الثـالث من شألْتئيل إلى المسيح فيـه ثلاثـة عشر جيلاً، وكـان بورفـري يعترض على هذا الغلط في القرن الميلادي الثالث، ولم يجد له جواباً .

٨- الغلط في جَعل رفقاء لداود عند رئيس الكهنة:

ففي إنجيل متَّى ١٢/ ٣-٤ : (٣) فقال لهم: أمَا قرأتم ما فعله داود حين

جاع هو والذين معه (٤) كيف دخـل بيتَ الله وأكل خبز التَّقْدِمَةِ الذي لم يَحِلَّ أكْلُه له ولا للذين معه بل للكهنة فقط) . ومثلها في إنجيل لوقا ٦/ ٣-٤ .

وفي إنجيل مرقس ٢/ ٢٥-٢٦ : (٢٥) فقال لهم : أمَا قـرأتم قَطُّ ما فعله داود حين احتـاج وجاع هـو والذيـن معـه (٢٦) كيف دخـل بيتَ الله في أيـام أبِيأثَارَ رئيسِ الكهنـة وأكل خبز التَّقْدِمَةِ الذي لا يَحِلُّ أكْلُـه إلاّ للكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضاً) .

فقوله : (والذيـن معه) ، (ولا للذين معه) ، (وأعطى الذيـن كانوا معه) غلط ؛ لأنَّ داود عليه السلام كان منفرداً ، ولم يكن معه أحدٌ في هذا الوقت .

وقوله : (في أيـام أبِيأثَارَ رئيس الكهنـة) غلط كذلك ؛ لأنّ رئيـس الكهنة الذي فرَّ إليه داود هو أخيمالك ، وتُعرف هذه الأغلاط بالرجوع إلى أصل القصّة في سفـر صمـوئيـل الأول ٢١/ ١-٩ ، و٢٢/ ٩-٢٣ ، ولـذلـك كتـب مستر جوويل في كتابـه أنه غلط ، ووافقه عليه العلماء الآخرون ، والمختـار عندهم أنّ هذه الألفاظ إلحاقية ، أيْ من التحريف بالزيادة .

٩- الغلط في كتابة أحداث لم تقع عند حادثة الصلب :

ففـي إنجيـل متَّـى ٢٧/ ٥٠-٥٣ : (٥٠) فصرخ يسـوعُ أيضـاً بصـوتٍ عظيمٍ وأسْلَم الـروحَ (٥١) وإذا حجابُ الهيكلِ قد انشـقّ إلى اثنين مِن فوقُ إلى أسفلُ . والأرضُ تزلـزلتْ والصخورُ تشقَّقتْ (٥٢) والقبـورُ تفتحتْ وقام كثيرٌ من أجسـادِ القِدِّيسين الراقديـن (٥٣) وخرجوا مـن القبورِ بَعْدَ قيامتِـه ودخلوا المدينةَ المقدَّسةَ وظهروا لكثيرين) .

وقد ذُكِر انشقـاق حجاب الهيكل في إنجيل مـرقس ١٥/ ٣٨ وفي إنجيل

لوقا ٢٣/ ٤٥ ، ولم تُـذكَر فيهما الأمور الأخرى المذكورة في إنجيل متَّـى من تزلزل الأرض وتشقق الصخور وتفتح القبـور وقيام القديسين الميتين ودخـولهم المدينة المقدسة وظهـورهم لكثيرين، وهذه الأمور العظيمة لم يكتبها أحـد من مؤرخي ذلك الـزمـان غير متَّى ، ولا يُحتجّ هنـا بالنسيـان ؛ لأنّ الإنسـان مهما نسي فلن ينسى مثل هـذه العجائب العظيمـة جدًّا ، وبخاصَّـة لوقـا الذي كـان أحرص الناس في كتـابة الأمور العجيبة ، وكيف يُتصـور أنْ تُكتب الحالات التي ليست بعجائب، ولا تُكتب مثل هذه الأمور العجيبة جدًّا؟!

فهذه الحكـاية كـاذبة، ومع أنّ المحقِّـق نورتن متعصب لـلإنجيل ومحامٍ عنه، لكنه أورد عـدّة دلائل على بطلانها وقال: إنّ مثل هذه الحكـايات كانت رائجة في اليهود بعد خراب أورشليم ، فلعل أحداً كتبها في حاشية إنجيل متَّى ، ثم أدخلها الكاتب أو المترجم في المتن .

ويستفاد من كلام نورتن أنّ مترجم إنجيل متَّى كان حاطب ليل، لا يميِّز بين الرطْب واليـابس، فما رأى في المتن من الصحيح والغلط ترجمهما بـلا تدقيق في الروايات، فهل يجوز الاعتماد على ترجمة كهذه؟!

١٠- الغلط في اسم والد شالح :

ففي إنجيل لوقا ٣/ ٣٦ : (شَالَح بن قِينانَ بن أرْفَكْشادَ) .

فورود اسـم قينان بين شـالح وأرْفكْشاد غلط يقينـاً، ففي سفر التكـوين ١٠/ ٢٤ : (وأرْفكْشـادُ وَلَـدَ شَـالَحَ) ، وفيـه ١١/ ١٢-١٣ : (١٢) وعـاش أرْفَكْشادُ خمساً وثلاثين سنة وَوَلَدَ شَالَحَ (١٣) وعاش أرْفكْشادُ بعدما وَلَدَ شَالَحَ أربعَ مِئةٍ وثلاثَ سنين) .

واتفقتْ في هذا النص النسختان العبرانية والسامرية، ومثلهما عبارة سفر أخبـار الأيام الأول ١/ ١٨، ففيهـا كلها أنّ شـالح ابـن أرفكشاد لا ابن ابنـه، وبهذا ثبت أنّ مـا كتبه لـوقـا غلط، ولم يَرِد اسـم قينان إلاّ في الترجمة اليـونانيـة (السبعينيـة)، فـالاحتمال الراجـح أنْ يكون بعـض النصارى المحـرفين حـرف الترجمة اليونـانية في هذا الموضـع لكي تطابق الإنجيل، ولئـلاّ يُنسب الغلط إلى إنجيلهم.

القسم الثالث

إثبات التحريف اللفظي بالتبديل وبالزيادة وبالنقصان

١- التحريف في مدَّة أعمار الأكابر قبل الطوفان :

وردت مدة الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح في سفر التكوين ٥/ ١-٣٢، وهي الفقرات التي وردت فيها مدة أعمار الأكابر الذين بين آدم ونوح عليهما السلام، ومدة هذا الزمان على حسب نسخة التوراة السامرية (١٣٠٧) سنين، وعلى حسب نسخة التوراة العبرانية (١٦٥٦) سنة، وعلى حسب نسخة التوراة اليونانية (٢٢٦٢) سنة، ويلاحَظ فرق كبير في هذه المدة بين النسخ الثلاث بحيث لا تمكن المطابقة بينها، وقد اتفقت النسخ الثلاث على أنّ عمر آدم عندما مات كان (٩٣٠) سنة (سفر التكوين ٥/ ٥)، واتفقتْ كذلك على أنّ عمر نوح عندما حصل الطوفان كان (٦٠٠) سنة (سفر التكوين ٧/ ٦)، فإذا طرحنا من زمان الطوفان ١٣٠٧-٩٣٠ عمر آدم عندما مات =٣٧٧ سنة، فيكون آدم قد مات قبل حصول الطوفان بـ ٣٧٧ سنة .

فإذا طرحنا من عمر نوح عندما حصل الطوفان ٦٠٠-٣٧٧=٢٢٣ سنة، فيكون نوح قد عاش ٢٢٣ سنة في حياة آدم على حسب التوراة السامرية، وهذا باطل باتفاق المؤرخين، وتكذّبه النسختان العبرانية واليونانية؛ لأنّ مجموع عمر آدم عندما مات وعمر نوح عند الطوفان ٩٣٠+٦٠٠=١٥٣٠ سنة .

فعلى حسب التوراة العبرانية ١٦٥٦-١٥٣٠=١٢٦، أيْ ولد نوح بعد موت آدم بـ ١٢٦ سنة .

وعلى حسب التوراة اليـونانية ٢٢٦٢-١٥٣٠ = ٧٣٢ ، أيْ ولد نـوح بعد موت آدم بـ ٧٣٢ سنة .

ولأجْـل هذا الاختـلاف الفـاحش بين النسـخ الثـلاث فـإنّ يوسيفـوس -المؤرخ اليهودي المشهور والمقدّم عند كافة النصارى - لم يعتمد على نسخة من النسـخ المذكورة ، ورجَّـح أنَّ مـدَّة الزمـان مـن خلق آدم إلى الطـوفـان كانـت (٢٢٥٦) سنة .

٢- التحريف في مدة أعمار الأكابر بعد الطوفان :

وردت مدة الـزمان مـن طوفان نـوح إلى ولادة إبراهيـم في سفر التكـوين ١١/ ١٠-٢٦ ، وهي الفقـرات التي وردت فيها مـدة أعمار الأكابر الـذين بين نـوح وإبراهيـم عليهما السلام ، ومـدة هذا الـزمان على حسـب نسخة التـوراة العبرانية (٢٩٢) سنة ، وعلى حسب نسخة التوراة السامرية (٩٤٢) سنة ، وعلى حسب نسخة التوراة اليونانيـة (١٠٧٢) سنة ، ويلاحَظ فرق كبير في هذه المدة بين النسخ الثـلاث بحيث لا تمكن المطابقـة بينها . وقد اتفقت النسـخ الثلاث على أنّ نوحاً عاش بعد الطوفان (٣٥٠) سنة (سفر التكوين ٩/ ٢٨) .

فإذا طـرحنا مـن حياة نـوح بعد الطـوفان ٣٥٠-٢٩٢ مـدة الزمـان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم = ٥٨ سنة ، فيكون إبراهيم قد عاش ٥٨ سنة في حياة نـوح على حسب التـوراة العبرانيـة ، وهـذا باطـل بـاتفـاق المؤرخين ، وتكذّبـه النسختـان السـامـريـة واليـونـانيـة ، فعلى حسـب التـوراة السـامـريـة ٩٤٢-٣٥٠=٥٩٢ ، أيْ ولد إبراهيم بعد موت نوح بـ٥٩٢ سنة .

وعلى حسب التوراة اليونانيـة ١٠٧٢-٣٥٠=٧٢٢، أيْ ولد إبراهيم بعد

موت نوح بـ ٧٢٢ سنة .

ولأجْل هذا الاختلاف الفاحش بين النسخ الثلاث فإنّ المؤرخ يوسيفس اليهودي لم يعتمد على نسخة من النسخ المذكورة ، ورجّح أنّ مدَّة الزمان من طوفان نوح إلى ولادة إبراهيم (٩٩٣) سنة .

وقد نقل المفسران هنري وإسكات في تفسيرهما قول أكستاين : إنّ اليهود في سنة ١٣٠م قد حرفوا النسخة العبرانية في بيان زمان الأكابر الذين هم قبل زمن الطوفان وبعده؛ لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ، ولعناد النصارى الذين كانوا آنذاك يقدّمون النسخة اليونانية على النسخة العبرانية .

وذكر هورن في تفسيره أنّ المحقِّق هيلز أثبت بالأدلة القوية تحريف النسخة العبرانية ، وأنّ كني كات أثبت أنّ اليهود حرفوا نسختهم قصداً .

فانظر أنّ الملجأ الوحيد الذي لجأ إليه المفسرون والمحقِّقون هو الاعتراف بالتحريف القصدي في التواريخ بالزيادة فيها أحيانًا وبالنقص منها أحيانًا أخرى بدافع التعصُّب والهوى .

٣- التحريف في اسم الجبل المخصص لنَصْب الحجارة :

ففي سفر التثنية ٢٧/ ٤ في النسخة العبرانية : (حين تَعبرون الأردنّ تُقِيمون هذه الحجارةَ التي أنا أُوصِيكمْ بها اليومَ في جبل عِيبَالَ وتُكَلِّسُها بالكِلْسِ) .

وهذه الفقرة وردت في التوراة السامرية كما يلي : (ويكونُ عند عبوركم الأردنّ تُقِيمون الحجارةَ هذه التي أنا موصيكم اليومَ في جبل جِرزّيم وتشيّدها بشيد) .

ويفهم مـن سفـر التثنيـة ٢٧/ ١٢-١٣ و١١/ ٢٩ أنّ جِـرزّيم وعِيبـال جبلان متقابلان في مدينة نابلس بفلسطين، ونص فقرة سفر التثنية ١١/ ٢٩ : (وإذا جـاء بـك الـربُّ إلهك إلى الأرض التي أنـت داخلٌ إليهـا لكـيْ تمتلكَهـا فاجعلِ البَرَكَةَ على جبل جِرِزّيم واللعنةَ على جبل عِيبَالَ) .

ويوجد بيْن اليهود العبرانيين والسامريين سلفاً وخلفاً نزاع مشهور في اسم الجبل الذي أمـر موسى ببناء الحجـارة عليه وخصصه للبركة، وكل فـرقة منهما تدّعـي أنّ الفرقـة الأخرى حـرفت التوراة في هـذا الموضع بتبديـل اسم الجبل، ومازال النـزاع قائماً بين المحقِّقين والمفسرين من البروتستانت، فبعضهـم يدّعي صحَّة السـامرية في هذا الموضـع، وبعضهم يدّعي صحة العبرانيـة ، والراجح عند آدم كلارك وعند المحقِّق كني كات صحـة السامرية؛ لأنّ اليهود العبرانيين حرَّفوا هذا الموضع قصْدًا لأجْل عداوة السامرِيِّين الذين يقدِّسون جبل جِرزّيم، وهو جبل ذو عيون وحدائق ونباتات، فيكـون مناسباً لإسماع البركة، وأما جبل عِيبال فهـو أجرد يابس لا شيء عليه مـن هذه الأشياء، فيكون منـاسباً لإسماع اللعنة، وهذا اعتراف صريح من كبار محققيهم بـوقوع التحريف في هذا الموضع من النسخة العبرانية للتوراة .

٤- التحريف في اسم المملكة :

ففي سفر أخبـار الأيام الثاني ٢٨/ ١٩ من النسخة العبرانيـة: (لأنّ الربَّ ذلَّلَ يهوذا بسبـب آحـازَ مَلِكِ إسرائيل)، فلفـظ إسرائيل في هـذا النـص غلط يقيناً، وهـو من التحريف بالتبـديل؛ لأنّ آحاز ملكُ يهوذا (المملكة الجنـوبية وعـاصمتهـا أورشليم)، وليس ملك إسرائيـل (المملكـة الشمالية وعـاصمتهـا

نـابلس)، والصواب أنْ تـوضع كلمـة يهوذا مكان كلمـة إسرائيل، كما وقع في النسختين اليـونانيـة واللاتينيـة: أنّ الربَّ أذلَّ يهوذا بسبب آحـاز مَلِك يهوذا، فالنسخة العبرانية محرفة في هذا الموضع.

٥- التحيّر بين النفي والإثبات:

ففي المزمور ١٠٥/ ٢٨ من النسخة العبرانية: (ولم يَعْصُوا كلامَه).

ووردت هذه الفقرة في النسخة اليونانية: (وهم عصوا قوله).

ففي العبرانية نفْي العصيان، وفي اليونانيـة إثباته، فإحدى الفقرتين غلط يقيناً، وقد اعترف العلماء في هذا الموضع بالتحريف وتحيروا فيه، ولم يقدروا على الجزم بتعيينه، وذكر هنـري وإسكات في تفسيرهما أنّ المباحثة في هـذا الفرق قد طالت جدًّا، وظاهر أنّه نشأ إما لزيادة حرف أو لتركه.

٦- دليل على أنّ التوراة الحالية مكتوبة بعد موسى عليه السلام:

ففي سفر التكـوين ٣٦/ ٣١: (وهؤلاءِ همُ الملوكُ الـذين مَلَكُوا في أرض أدُومَ قَبْلَما مَلَكَ مَلِكٌ لبني إسرائيل). ثم شَرعتِ الفقـراتُ في ذكر أسماء ملوك أدوم الذين حكموا قبل أنْ يحكم طالـوت (شاول) أول ملوك بني إسرائيل، وقد خلفـه في الحكم داود عليه السـلام، فقبْلَ حكمهما كـان بنو إسرائيل في عهـد القضاة، وهـذه الفقرات مـن سفر التكـوين ٣٦/ ٣١-٣٩ هي عينها فقـرات سفـر أخبار الأيـام الأول ١/ ٤٣-٥٠، ومنـاسبتها لسفـر الأخبـار ظاهـرة ولا اعتراض؛ لأنها تـدلُّ على أنّ المتكلم بها مـوجـود بعـد زمـن قيـام سلطنـة بني إسرائيل في فلسطين، وكـان أول ملـوكهم طـالوت (شـاول)، وكـان هذا بعـد موسى عليه السلام بـ (٣٥٦) سنة، لكنْ لا مناسبـة بتاتاً لوجود هذه الفقرات

في سفر التكوين الذي هو أول أسفار التوراة، فكيف دخلت في المتن؟!

والصواب ما رجَّحه المفسر آدم كلارك أنّ هذه الفقرات ليست من كلام موسى قطعاً، وأنها كانت مكتوبة على حاشية سفر التكوين في بعض النسخ، فظنّ الناقل فيما بعد أنها جزءٌ من المتن فأدخلها فيه.

فانظر كيف اعترف هذا المفسر بأنّ هذه الفقرات التسع الخارجة عن التوراة قد أُلْحقت في المتن بإحدى نُسخها، ثم شاعت بعد ذلك ودخلت في جميع النسخ، وعلى اعترافه يلزم أنّ كتبهم كانت صالحة للتحريف بالزيادة.

٧- التحريف بزيادة عبارة (إلى هذا اليوم):

ففي سفر التثنية ٣/ ١٤: (يائِيرُ ابنُ مَنَسَّى أَخَذَ كلَّ كُورَةِ أرْجُوبَ إلى تُخْمِ الجَشُورِيِّينَ والمَعْكِيِّينَ وَدَعاها على اسمه باشَانَ حَوُّوثِ يائيرَ إلى هذا اليوم).

وهذه الفقرة كلها لا يمكن أنْ تكون من كلام موسى عليه السلام؛ لأنّ المتكلم بها لابدّ أنْ يكون متأخراً كثيراً عن زمان يائير بن مَنَسَّى كما يُشعر به قوله: (إلى هذا اليوم)، فإنّ مثل هذا اللفظ لا يستعمل إلاّ في الزمان الأبعد.

وقد نفى هورن في تفسيره أنْ تكون هاتان الفقرتان من كلام موسى عليه السلام، (أيْ التحريف الذي مرَّ في رقم ٦ ورقم ٧)؛ لأنَّ الفقرة الأولى الواردة في سفر التكوين ٣٦/ ٣١ دالَّة على أنّ الكاتب كان في زمانٍ بعد زمانِ قيام مملكة لليهود في فلسطين، والفقرة الثانية دالة على أنّ الكاتب كان في زمانٍ بعد زمان إقامة اليهود في فلسطين، وكلاهما بعد موسى، وهاتان الفقرتان في نظر هورن ليستا بلا فائدة فحسْب، بل هما ثِقلان على متن الكتاب، فلو كان مصنف سفر التثنية هو موسى عليه السلام لا يقول: (إلى هذا اليوم)، ورجّح

هورن أنّ هـذا اللفظ زاده أحد الكتّاب في الحاشيـة بعد عدَّة قرون مـن موسى ؛ ليُعلم أنّ الاسم الـذي سماها به يـائير بن مَنَسَّى هو مـازال اسمها إلى الآن ، ثم انتقل هـذا اللفظ من الحاشية إلى المتن في النسـخ المتأخرة ، ومن يشـكّ في هذا الذي رجحه هورن ، فليقابل النسخ اليونانية ، فسيجد أنّ الإلحاقات (الزيادات) التي توجد في متن بعض النسخ هي نفسها توجد في النسخ الأخرى مكتوبة على الحاشية ، فاعترف هـورن أنّ مثْل هذه الزيادات في الحواشي بعـد عدة قرون من موسى عليه السلام ، دخلت في المتون ، وصارت جزءاً من الكتاب ، ثم شاعت في جميع النسخ المتأخـرة ، وهذا يدل على صـلاحية كتبهم لتحـريف المحرفين ، ولذلك قال جامعو تفسير هنري وإسكات : إنّ مثْل هذه الجمل الإلحاقية التي ألحقهـا أحد الكتَّـاب بعـد مـوسى عليـه السلام لـو تُـركت لا يقع الفسـاد في المضمون .

والعبارة السابقـة كلها لا تصلح أنْ تكون من كلام مـوسى عليه السلام ، ومثلها تماماً فقرة سفر العدد ٣٢/ ٤١ : (وذهبَ يائِيرُ ابنُ مَنَسَّى وأخَذَ مَزارِعَها وَدَعاهُنَّ حَوُّوثَ يائِيرَ) .

وهنا تحريف آخـر: وهو أنّ والد يائير ليس مَنَسَّى ولكنـه سجوب ، ففي سفر أخبار الأيام الأول ٢/ ٢٢ : (وَسَجُوبُ وَلَـدَ يائِيرَ وكان له ثلاثٌ وعِشرونَ مدينةً في أرضِ جِلْعَادَ) .

فيلـزم الغلط والتحـريـف في اسم والـده : إمـا في عبـارة سفـريْ العـدد والتثنية ، وقد ثبت أنها إلحاقية بعد موسى ، وإما في عبارة سفر الأخبار .

ولذلك قـال مؤلفو قامـوس الكتاب المقدس المطبوع في أمـريكا وإنكلترا

والهند: إنّ بعض الجمل التي توجد في الأسفار الخمسة تدل صراحةً على أنها ليست من كلام موسى عليه السلام، وفيها بعض العبارات ليست على طريقته في الكلام، ولا على أسلوب محاورته، وإنهم لا يستطيعون أنْ يجزموا باسْم الشخص الذي أَلْحَقَ هذه الجمل والعبارات.

وقال جامعو تفسير هنري وإسكات بأنّ عبارة: (إلى هذا اليوم) وقعت في أكثر كتب العهد القديم. وحكَموا بأنّ كلّ عبارة تكون مثلها فهي إلحاقية ومزيدة بأيدي الكتَّاب، وضربوا أمثلة لزيادة هذه العبارة في ثمانية مواضع من كتاب يوشع، ويطول الحصر والاستقصاء في سائر كتب العهد القديم.

٨- التحريف بإضافة مقدمات لبعض الأبواب:

إنّ الذي يقرأ بداية سفر التثنية ١/ ١-٥ يجزم بأنّ هذه الفقرات الخمس ليست من كلام موسى عليه السلام؛ لأنّ الكاتب تكلم عن موسى بصيغة الغائب كقوله: (١) هذا هو الكلام الذي كَلَّمَ به موسى جميعَ إسرائيل... (٣) كَلّم موسى بني إسرائيل حَسَبَ كُلِّ ما أوْصاهُ الربُّ إليهم (٥) في عَبْرِ الأُردنّ في أرضِ موآبَ ابتدأ موسى يَشرحُ هذه الشريعة قائلاً).

وقد اعترف آدم كلارك بزيادة هذه الفقرات الخمس لتكون مقدمة لباقي سفر التثنية، وقال: إنّ الأصحاح(الباب) الرابع والثلاثين من سفر التثنية ليس من كلام موسى أيضاً؛ لأنّ كلامه تمّ على الأصحاح الثالث والثلاثين، ولا يجوز أنْ يقال: إنّ موسى كتب هذا الباب؛ لأنّ هذا الاحتمال بعيد من الصدق، وجزم آدم كلارك بأنّ هذا الباب الرابع والثلاثين كان أول أبواب كتاب يوشع، وقال كثير من المفسرين: إنّ هذا الباب كتبه المشايخ السبعون بعد مدة

من موت موسى، وكان هو أول أبواب كتاب يوشع ثم انتقل إلى سفر التثنية .

ولكن هـذا الجزم بلا دليـل، فقد قـال جامعـو تفسير هنري وإسكـات وتفسير دوالي ورجردمينت : إنّ الملحِق لهذا الباب إما يوشع أو صموئيل أو عزرا أو أحد آخر لا يُعلم اسمه بالجزم، وربما أُلحق بعد رجوع بني إسرائيل من سبي بابل .

فانظر إلى ما في أقوالهم من الشك وعدم الجزم بشيء .

وفيما يلي بعض الفقرات من الباب الرابع والثلاثين من سفر التثنية :

(١) وصَعِدَ مـوسى من عـــَربات مـوآبَ إلى جبل نَبُو ... فـأراهُ الربُّ جميعَ الأرضِ من جِلْعَادَ إلى دَانَ (٤) وقـال له الربّ ... (٥) فمات هناك موسى عبْدُ الربّ في أرضِ مُوآبَ حَسَبَ قولِ الربِّ (٦) ودَفَنَهُ في الجِواءِ في أرض موآبَ مُقابلَ بيتِ فَغُـورَ ولمْ يَعرفْ إنسانٌ قبرَه إلى هـذا اليوم (٧) وكان مـوسى ابنَ مِئَةٍ وعشرين سنـةً حين مات ... (٨) فبكى بنـو إسرائيلَ مـوسى ... (١٠) ولمْ يَقُمْ بَعدُ نبيٌّ في إسرائيل مِثْلُ موسى ...) .

فهل الكتاب السماوي المنزل على موسى عليه السلام يكون فيه موته ودفْنه والبكاء عليه واندثار قبره إلى هذا اليوم وعدم قيام نبيٍّ مثله؟!

ونحن المسلمين نجزم أنّ الباب الرابع والثـلاثين من سفر التثنية الذي به خُتِمَتْ الأسفار الخمسة ليس من كلام مـوسى قطعاً، ولا نقف عند هذا الجزم فحسْبُ، بل نجـزم أنّ جميع الأسفار الخمسة المنسـوبة إلى موسى عليـه السلام ليست من كتـابته قطعـاً، ونسبتها إليه لا تجوز، فهـذه الأغلاط والاختـلافات والتحريفات دلائل بيّنة لنـا على ذلك؛ لأنّ الكتاب الموحى به إلى النبي لا يجوز

أنْ تقع فيـه مثل هذه الأمـور، ويعدّ ذلك طعناً في النبـيِّ ونبوته، وبعـض أهل الكتاب استدلوا بمثل هذه الأمور على مثل ما قلنا، وجزموا بمثل ما جزمنا به .

٩- التحريف للانتصار لعقيدة التثليث :

ففي رسالة يوحنـا الأولى ٥/ ٧ - ٨ : (٧) فإنّ الذين يَشهدون [في السماء هم ثلاثةٌ الآبُ والكلمـةُ والروحُ القُدُسُ وهؤلاءِ الثلاثةُ هـمْ واحدٌ (٨) والذين يَشْهدون في الأرضِ] همْ ثلاثةٌ الروحُ والماءُ والدّمُ والثلاثةُ همْ في الواحد) .

وقد كان أصل العبارة على ما قال محقِّقـوهم هكذا : (فإنّ الذين يَشهدون هم ثـلاثةٌ الروحُ والماءُ والـدّمُ والثلاثةُ هـمْ في الواحـد)، وهذا نصّ طبعـة سنة ١٨٦٥م . أي بدون الزيادة التي بين القوسين المعقوفتين .

أمـا نصّ طبعـة سنة ١٨٢٥م و ١٨٢٦م فهكـذا : (لأنّ الشهـود الذيـن يشهدون ثلاثةٌ وهُمْ الروحُ والماءُ والدّمُ وهؤلاء الثلاثة تتحد في واحد) .

والنصّان متقاربان، فزاد معتقـدو التثليث في المتن فيما بين أصل العبارةِ العبـارةَ التاليـة : [في السماءِ هم ثـلاثـةٌ الآبُ والكلمةُ والـروحُ القُدُسُ وهـؤلاءِ الثلاثةُ همْ واحدٌ والذين يشهدون في الأرض] فهذه العبارة التي هي مستند أهل التثليث إلحاقية يقيناً، أيْ من التحريف بـالزيادة، وقد قال كثير من المحققين المتعصبين بـأنها إلحاقية واجبـة الإخراج، مثـل كـريسباخ وشـولز وهـورن وآدم كلارك وجامعو تفسير هنري وإسْكات .

وأمّـا العالم أكستـايـن الذي هـو أعلم علماء النصـارى في القـرن الرابـع الميلادي، والذي هو إلى الآن عمدة أهل التثليث، وكان يناظر فرقة إيرين التي تنكر التثليـث، فقد كتب عشر رسائل في شرح رسـالة يوحنـا الأولى، ولم ينقل

هذه العبارة في رسالة من رسائله العشر، ولم يستدل بها على منكري التثليث، وراح يرتكب التكلُّف البعيد، فكتب في الحاشية أنّ المراد بالماء: الآب، وبالدم: الابن، وبالروح: الروح القدس، ولو كانت هذه العبارة الإلحاقية موجودة في عهده، لتمسك بها ولَنقلها في رسائله للاستدلال بها ضدّ المنكرين للتثليث، ولكنْ يظهر أنّ معتقدي التثليث بعد أكستاين استفادوا من هذا التكلف البعيد والتفسير الغريب، فاخترعوا هذه العبارة التي هي مفيدة لعقيدتهم الباطلة، وأدخلوها في رسالة يوحنا الأولى، وجعلوها جزءاً من المتن.

وفي المناظرة الكبرى التي تمت في الهند سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م بين الشيخ رحمت الله الكيرانوي وبين القسيسيْن الدكتور فندر وشريكه فرنج أقرّ القسيسان بأنَّ هذه العبارة محرَّفة، وسلَّما بالتحريف في سبعة مواضع أخرى.

وقد كتب هورن اثنتي عشرة ورقة في تحقيق هذه العبارة، فقام بتلخيصها جامعو تفسير هنري وإسكات، وفي تلخيصهم ذكروا أدلة الذين يثبتون أنّ هذه العبارة كاذبة كما يلي:

١- أنّ هذه العبارة لا توجد في نسخة من النسخ اليونانية المكتوبة قبل القرن السادس عشر الميلادي.

٢- أنّ هذه العبارة لا توجد في النسخ المطبوعة التي طبعت بالجدّ والتحقيق التام في الزمان الأول.

٣- أنّ هذه العبارة لا توجد في أكثر النسخ القديمة اللاتينية، ولا توجد أيضاً في ترجمة من التراجم القديمة غير الترجمة اللاتينية.

٤- أنّ هذه العبارة لم يتمسك بها أحد من القدماء ولا مؤرّخو الكنيسة.

٥- أنّ هذه العبارة أسقطها من المتن أئمة فـرقة البروتستانت ومصلحو دينهم، وبعضهم وضع عليها علامة الشك .

وبهذا يظهر لك جليّـاً أنّ النصارى كانوا يحرِّفـون كتبهم قصداً إذا رأَوْا في التحـريف مصلحـة لهم أو انتصاراً لعقيـدتهم، والعجب أنّ بـاب التحـريف الذي كان واسعـاً قبل اختراع المطابع، مازال مفتوحاً وما انسـدّ بعد اختراعها، فهذا لوثر الإمام الأول لفرقة البروتستانت والرئيس الأقدم ترجم الكتب المقدسة باللسان الجرمني ليستفيد منها أتباعُه، وطُبعت هذه الترجمة مراراً في حياته، ولم يكتب هذه العبارة في تـرجمته ولا ظهرت في الطبعات المتكررة أثنـاء حياته، وفي آخر حياته أعاد طباعتها سنة ١٥٤٦م، فأوصى في مقدمة هذه الطبعة: (أنْ لا يحرف أحد تـرجمتي)، لكن هـذه الوصيـة لمّا كانت مخالفـة لعادة أهـل الكتاب عموماً ولعـادة النصارى خصوصاً، لم يلتزموا بها وعملـوا بعكسها، فلم يمض على موتـه ثلاثـون سنة حتى قام أهـل مدينة فـرانكفورت بألمانيـا سنة ١٥٧٤م بطباعـة ترجمة لـوثر، فأدخلـوا فيها هـذه العبارة الجعليـة الكاذبة، ثـم أعيدت طباعتهـا بعد ذلك عدة مـرات، فأسقطوها من الطبعـات اللاحقة خـوفاً من طعن الخلْق عليهم، ثم قام أهل مـدينة وتنبرغ بألمانيا بإعادة طباعـة ترجمة لوثر سنة ١٥٩٦م و ١٥٩٩م فأدخلوا فيها هذه العبـارة، ومثلهم كذلك أهل مدينة هامبورغ، حيث طبعوا ترجمة لوثـر سنة ١٥٩٦م فأدخلوا فيها هذه العبارة، ثم خاف أهل مـدينة وتنبرغ من اختـلاف الطبعات للترجمة الواحـدة أنْ يجرّ ذلك طعن الخلْق عليهم، فأعادوا طباعتها مرة أخرى فأسقطوا منها هذه العبارة، ثم ما رضي النصارى البروتستانت بهذا التردُّد بيْن الإدخال والإسقاط، فأجمعوا على

إدخالها في ترجمة لوثر في جميع الطبعات اللاحقة على خلاف وصية إمامهم، فمن كانت هذه عادتهم بعد انتشار المطابع، فكيف يرجى منهم عدم التحريف في النسخ القليلة المحصورة بأيدي أناس معدودين قبل ظهور المطابع؟!

وقد كتب الفيلسوف المشهور إسحاق نيوتن رسالة حجمها بقدر خمسين صفحة أثبت فيها أنّ هذه العبارة وعبارات أخرى جعلية محرفة.

وهذه العبارة الجعلية المحرفة وردت في طبعتي سنة ١٨٦٥م و١٩٨٣م بين قوسين هلالين كبيرين كما يلي: فإنّ الذين يَشهدون (في السماء هُمْ ثلاثةٌ الآبُ والكلمةُ والروحُ القدُسُ وهؤلاءِ الثلاثةُ هُمْ واحدٌ والذين يَشهدون في الأرض) همْ ثلاثةٌ الروحُ والماءُ والدمُ والثلاثةُ همْ في الواحد.

وقد قال الطابعون والمصححون لهاتين الطبعتين في الصفحة الأولى منهما: إنّ الكلمات والعبارات التي ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها جعلوها بين قوسين هلالين.

وهذه العبارة لم تَرِدْ في طبعة العهد الجديد للآتين التي نشرتها دار المشرق في بيروت في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٨٢م، وكذلك لم ترد في طبعة مطابع الحرية في بيروت سنة ١٩٨٣م بإشراف جان عون.

١٠- التحريف لإظهار أنّ عيسى ابنُ الله:

ففي سفر أعمال الرسل ٨/ ٣٧: (فقال فِيلُبُّس إنْ كنتَ تُؤمِنُ مِنْ كلِّ قلبك يجوز. فأجاب وقال أنا أُومِنُ أنّ يسوعَ المسيحَ هو ابنُ الله).

فهذه الفقرة: (أنّ يسوعَ المسيحَ هو ابنُ الله) إلحاقية زادها أحد من أهل

التثليث، واتفق كريسباخ وشولز على أنها إلحاقية جعلية كاذبة .

١١- التحريف في حادثة زنا رأوبين بُسرّيّة أبيه :

ففي سفر التكوين ٣٥/ ٢٢ من النسخة العبرانية هكذا : (وحَدَثَ إذْ كان إسرائيلُ ساكناً في تلكَ الأرضِ أنّ رَأُوبَيْنَ ذَهَبَ واضطجع مع بِلْهَة سُرِّيَّةِ أبيه . وسمِعَ إسْرَائيلُ) .

ولا شكَّ أنّ في هذه الفقرة تحريفاً بالنقصان، واليهود معترفون بسقوط عبارة ههنا، قال جامعو تفسير هنري وإسكات : إنّ اليهود يسلِّمون أنّ شيئاً سقط من هذه الفقرة، وتتمته من الترجمة اليونانية هكذا : (وكان قبيحاً في نظره) .

فلماذا أسقط اليهود العبرانيون هذه العبارة من نسختهم؟ !

١١- التحريف في حادثة سرقة الصواع :

ففي سفر التكوين ٤٤/ ٥ من النسخة العبرانية هكذا : (ألَيْسَ هذا هو الذي يَشْرَبُ سَيّدي فيه) .

ولا شكّ أنّ في هذه الفقرة تحريفاً بالنقصان، وقد أقرّ المفسر هارسلي بالنقصان ههنا، وأمَرَ بزيادته على حسب ما في الترجمة اليونانية لتصبح الفقرة كما يلي : (لِمَ سَرَقْتمْ صُوَاعي . أليسَ هذا هو الذي يَشربُ سيّدي فيه) .

١٢- التحريف بإسقاط اسم مريم ابنة عمران أخت موسى :

ففي سفر الخروج ٦/ ٢٠ من النسخة العبرانية هكذا : (وأخَذَ عَمْرَامُ يُوكَابَدَ عَمَّتَهُ زوجةً له فوَلَدَتْ له هارونَ وموسى) .

ولا شكّ أنّ في هذه الفقرة تحريفاً بالنقصان يظهر من النسخة السامرية

والترجمة اليونانية هكذا: (فَوَلَدَتْ له هارونَ وموسى ومريمَ أختهما).

قال آدم كلارك: إنّ كبار المحقِّقين يعتقدون أنّ هذا اللفظ: (ومريم أختهما) كان موجوداً في المتن العبري.

ومعنى كلامه أنّ هذا اللفظ أسقطه اليهود العبرانيون، إمَّا عنادًا للسامريِّين المعتمدين على التوراة السامريَّة، وإمَّا عنادًا للنصارى المعتمدين على التوراة اليونانيَّة.

وشيء آخر يفهم هنا، وهو أنّ عمران بن قهات بن لاوي قد تزوج يوكابد بنت لاوي، فهي عمته أخت أبيه قهات، وقد ورد لفظ العمّة في التوراة السامرية والعبرانية، وفي التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨١١م و١٨٦٥م و١٩٧٠-١٩٨٣م، وفي التراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٩م و ١٨٤٥م و١٨٥٦م، وفي التراجم الهندية المطبوعة سنة ١٨٢٢م و١٨٢٩م و١٨٤٢م.
وبما أنّ نكاح العمّة حرام في التوراة كما في سفر الأحبار (اللاويين) ١٨/ ١٢ و ٢٠/ ١٩، فلمّا طُبعت الترجمة العربية في عهد البابا أربانوس الثامن (المتوفى سنة ١٦٤٤م) حُرِّف لفظ العمة بابنة العم كما يلي: (فتزوج عمران يوكابد ابنة عمّه)، فهذه الفقرة وردت بلفظ ابنة العم في الطبعات العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥م و١٦٧١م و١٨٤٤م و١٨٤٨م، فلزمهم التحريف بالتبديل في بعض الطبعات.

١٣- التحريف في الزبور إما بالزيادة وإما بالنقصان:

وقعت فقرات بين الفقرتين الثالثة والرابعة من المزمور الرابع عشر، وهذه الفقرات توجد في الترجمة اللاتينية والترجمة العربية ونسخة واتيكانوس إحدى

نسخ الترجمة اليـونانية، ونصّها كما يلي: (فحلقـومُهم قبرٌ مفتوحٌ وهـم يَغدرون بـألسنتهم وسـمٌّ الثعابين تحت شِفـاهِهم وأفـواهُهم مملـوءةٌ من اللّعْـنِ والمرورةِ وأقدامُهـم مسرعةٌ لسفْـكِ الدّمِ والتهلكةُ والشقـاءُ في طُرقِهم ولم يَعـرفوا طـريقَ السلامة وخوفُ اللهِ ليس بموجودٍ أمام أعْيُنِهم) .

وهذه الفقـرات لا توجـد في النسخة العبرانيـة، ولكنها تـوجد في رسـالة بـولس إلى أهـل رومية ٣/ ١٣-١٨، فـإمَّا أنّ اليهـود أسقطوهـا من نسختهـم العبرانية عنادًا للنصارى الذين كانوا يعتمدون على نسخة التوراة اليونانية، وهذا هو التحريف بالنقصان، وإمَّـا أنّ النصارى زادوها في التراجم المذكورة انتصاراً لبولس، وهذا هو التحريف بالزيادة، فالتحريف لازم قطعاً لأحد الفريقين .

١٤- التحريف في إنجيل لوقا بالنقصان :

ففي إنجيل لوقا ٢١/ ٣٢-٣٤: (٣٢) الحقَّ أقولُ لكم إنه لا يمضي هذا الجيـلُ حتى يكـونَ الكلُّ (٣٣) السماءُ والأرضُ تـزولانِ ولكنّ كـلامي لا يـزول (٣٤) فاحْتَرِزوا لأنفسِكم لئلاَّ تَثْقُلَ قلوبُكم)، قـال هورن: إنّ فقرة تامة مابين الفقرتين (٣٣) و (٣٤) قد أُسقطت من إنجيل لوقا، وإنّ المحقِّقين والمفسرين كلهم قد أغمضوا عيونهم عن هذا النقصان العظيم الواقع في متن إنجيل لوقا، حتى قام المحقق هيلـز بالتنبيه عليه، وتجاسر هورن فأمر بـزيادة هذه الفقرة في إنجيل لوقا بالرجوع إلى إنجيل متَّى وإنجيل مرقس؛ ليكون موافقاً لهما .

وفيما يلي نقـل هذه الفقـرة مع الفقـرات السـابقة لها؛ ليظهـر التحريـف القصدي في إنجيل لوقا بإسقاط هذه الفقرة منه :

ففي إنجيـل متَّى ٢٤/ ٣٤-٣٦: (٣٤) الحقَّ أقـولُ لكم لا يَمضي هـذا

الجيلُ حتى يكـونَ هذا كلُّهُ (٣٥) السماءُ والأرضُ تزولانِ ولكنّ كـلامي لا يزولُ (٣٦) وأما ذلك اليومُ وتلْكَ الساعةُ فلا يَعلمُ بهما أحدٌ ولا ملائِكةُ السماوات إلاّ أبي وحدَه).

وفي إنجيل مرقس ١٣/ ٣٠-٣٢: (٣٠) الحقَّ أقـولُ لكم لا يَمضي هذا الجيلُ حتى يكـونَ هذا كله (٣١) السماءُ والأرضُ تزولان ولكنّ كـلامي لا يزول (٣٢) وأمّا ذلك اليـومُ وتلك الساعةُ فـلا يَعلَمُ بهما أحدٌ ولا الملائكةُ الـذين في السماء ولا الابنُ إلاّ الآبُ).

فعلى اعتراف هورن وهيلـز أنّ الفقرة الواردة في إنجيـل متَّى ٢٤/ ٣٦ وفي إنجيل مرقس ١٣/ ٣٢ ساقطة من إنجيل لوقا ويجب زيادتها فيه.

١٥ - التحريف لعناد اليهود والنصارى بعضهم بعضاً:

ففي إنجيل متَّـى ٢/ ٢٣: (وأتى وسَكَنَ في مدينة يُقـال لها ناصِرَةُ. لكيْ يَتِمَّ ما قِيلَ بالأنبياء إنه سيُدْعى ناصِريّاً).

فقولـه: (لكي يَتِمَّ ما قِيـلَ بالأنبياء إنه سيُـدْعى ناصِريّاً) مـن الأغلاط المشهورة في هذا الإنجيل؛ لأنه لا يوجد هذا القول في كتاب من الكتب المعروفة المنسوبـة للأنبياء، فـإما أنْ يكون النصارى أدخلـوا هذا القول في كتبهـم عنادًا لليهود، وهو من التحريف بالزيـادة، وإما أنْ يكون اليهود أسقطوا هذا القول من كتبهم عنادًا للنصارى، وهو من التحريف بالنقصان.

والمحقِّق كريزاستم وعلماء الكاثوليك يعتقدون أنّ هذا القول كان في كتب الأنبياء، لكـنّ هذه الكتب انمحت وضيّعهـا اليهود لغفلتهم وعدم ديـانتهم، فمـزّقوا بعضهـا، وأحرقـوا بعضها؛ لأنهم لمّا رأوا أنّ الحواريين يتمسكـون بهذه

الكتب في إثبات عقائد ملّتهم، ضيّعوها قصداً لإنكار نبوَّة المسيح عليه السلام، ويُعلم هذا من إعدامهم كتباً نقل عنها متّى.

وقد قال جستن في مناظرته لطريفون اليهودي: إنّ اليهود حرفوا كتباً كثيرة وأخرجوها من العهد العتيق؛ ليظهر أنّ العهد الجديد مخالف للعهد القديم.

وهذا يدلّ على أنّ التحريف في سالف الزمان كان سهلاً، ألا ترى كيف انمحت عن صفحة العالَم كتب كثيرة بإعدامهم لها لعناد بعضهم بعضاً؟! وأيّ تحريف بالنقصان أكثر من أنْ تضيّع فرقهم الكتبَ السماوية قصداً للأغراض النفسانية.

وإذا كان اليهود قد حرّفوا كتبهم لإنكار رسالة عيسى عليه السلام، وكذلك النصارى حرّفوا كتبهم لإثبات التثليث وألوهية عيسى وبنوته لله، فلا يُستبعد منهم تحريف نصوص البشارات الدالّة على رسالة محمد ﷺ، بل هم أشدّ اهتماماً بهذا الأمر من غيره؛ لأنهم حرّفوا ويحرّفون كل عبارة نافعة للمسلمين.

مغالطات نصرانية والرد عليها

المغالطة الأولى : يـزعـم النصـارى لتغليط الجاهلين بحقيقـة كتبهم أنّ المسلمين فقط هم الذين يدّعون أنّ كتب العهدين محرفة .

وللردّ على هذه المغالطة تكون الشواهد في ثلاثة مسالك :

المسلك الأول : في نقل أقوال المخالفين للنصارى :

أ – العـالِم الوثنـي سلسوس كتـب في القرن الثـاني للميـلاد كتـاباً في الـردّ على النصارى ، ونقل العـالِم الجرمني أكهارن عن كتـاب سلسوس مـايلي : بدّل المسيحيون أنـاجيلهم ثلاث مرات أو أربع مـرات بل أزيد من هذا تبـديلاً كأنّ مضامينها بدّلت .

فهذا المشرك الـوثني أخبر أنّ النصارى بـدّلوا أنـاجيلهم إلى عهده أكثـر من أربع مرات .

ب – القسّ والمصلـح الأمريكـي بـاركر المتـوفى سنـة ١٨٦٠م – وهـو في نظـر النصارى ملحـد – قال : إنّ اختلاف العبـارات في كتب النصارى ثـلاثون ألفاً ، وهذا العدد هو على تحقيق ميَّل .

ج – عمل أحد الملاحدة جدولاً للأسفـار المنسوبة إلى عيسى ومريم والحواريين والتي يرفضها النصارى الآن ، فكان عددها أربعة وسبعين سفراً . ثم قال : كيف نعـرف أنّ الكتب الإلهامية هي المسلَّمـة الآن ضمن العهـد الجديد أو هذه المرفوضة؟ ! و إذا لاحظنا أنّ هذه الكتب المسلَّمة أيضاً قبل إيجاد المطابع كانت قابلة للإلحاق والتبديل يقع الإشكال .

المسلك الثاني: في نقل أقوال الفرق النصرانية القديمة التي يعدّها النصارى الآن من المبتدعين :

أ - **الفرقة الأبيونية :** ظهرت هذه الفرقة في القرن الميلادي الأول وكانت معاصرة لبولس ، فأنكرت عليه إنكاراً شديداً وعدّته مرتدّاً ، وكانت تسلّم من كتب العهد القديم بالتوراة فقط ، وتسلّم من كتب العهد الجديد بإنجيل متّى فقط ، لكنّ نسخته التي عند هذه الفرقة مخالفة لنسخة الإنجيل المنسوب إلى متّى الآن التي يسلّم بها أتباع بولس ، ولم يكن البابان الأولان موجودَيْن في إنجيلها ؛ لأنها تعتقد أنّ هذين البابين ومواضع أخرى كثيرة محرّفة ، وكانت تنكر ألوهية المسيح وتعتقد أنّه إنسان فقط .

ب - **الفرقة المارسيونية :** من فرق النصارى القديمة أيضاً ، وكانت تنكر جميع كتب العهد القديم وتقول : إنها ليست إلهامية ، وتنكر جميع كتب العهد الجديد إلاّ إنجيل لوقا وعشر رسائل من رسائل بولس ، وهذه الرسائل العشر المسلّمة عندها مخالفة للرسائل الموجودة الآن ، وأمّا إنجيل لوقا فكانت هذه الفرقة تنكر البابين الأولين منه ، وتنكر مواضع أخرى كثيرة منه ، ذكر منها لاردنر في تفسيره أربعة عشر موضعاً .

وذكر (بل) في تاريخه أنّ هذه الفرقة المارسيونية تعتقد أنه يوجد إلهان ، أحدهما خالق الخير ، وثانيهما خالق الشرّ ، وتقول : إنّ التوراة وسائر كتب العهد العتيق من عند إله الشرّ ؛ لأنها مخالفة للعهد الجديد .

جـ- **فرقة ماني كيز :** أعظم علماء هذه الفرقة هو فاستس الذي عاش في القرن الرابع الميلادي ، وقد نقل لاردنر في تفسيره عن أكستاين مايلي :

قال فاستس: أنا أنكر الأشياء التي ألْحقها في العهد الجديد آباؤكم وأجدادُكم بالمكر، وعيّبوا صورته الحسنة وأفضليّته؛ لأنّ هذا الأمر محقّق: أنّ هذا العهد الجديد ما صنّفه المسيح ولا الحواريون، بل صنّفه رجل مجهول الاسم، ونسبه إلى الحواريين ورفقاء الحواريين خوفاً عن أنْ لا يعتبر النّاسُ تحريره ظانّين أنه غير واقف على الحالات التي كتبها، وآذى المريدين لعيسى إيذاءً بليغاً بأنْ ألّفَ الكتب التي توجد فيها الأغلاط والتناقضات.

فزعيم هذه الفرقة كان ينادي بعدة أشياء أبرزها:

١- أنّ النصارى أدخلوا في العهد الجديد أشياء خارجة عنه.

٢- أنّ هذا العهد الجديد المعروف الآن ليس من كتابة المسيح ولا الحواريين ولا تابعيهم، وإنما هو من كتابة رجل مجهول الاسم.

٣- أنّ هذا العهد الجديد وقعت فيه الأغلاط والتناقضات.

وقال لاردنر في تفسيره: اتفق المؤرخون على أنّ فرقة ماني كيز كلّها لم تكن تسلّم بكتب العهد العتيق في كل وقت، وكانت تعتقد أنّ الشيطان كلّم موسى وخدع أنبياء اليهود، وتصِفهم بأنهم سُرّاق ولصوص.

فظهر من المسلكين السابقين أنّ المخالفين للنصارى، وكذلك الفرق النصرانية القديمة التي يَعدّها نصارى اليوم من المبتدعين، كانوا ينادون بأعلى نداء من القرون الأولى بوقوع التحريف في كتب العهدين ا لقديم والجديد.

المسلك الثالث: في نقل أقوال المفسّرين والمؤرخين المتعصبين للنصرانية، والمقبولين عند كافة النصارى :

أ - قال آدم كلارك في تفسيره : أكثر البيانات التي كتبها المؤرخون للربِّ (يقصد عيسى) غير صحيحة ؛ لأنهم كتبوا الأشياء التي لم تقع بأنها وقعت يقيناً، وغلِطوا في الحالات الأخر عمداً أو سهواً، وهذا الأمر محقق أنّ الأناجيل الكثيرة الكاذبة، كانت رائجة في القرون المسيحية الأولى، وبلغت هذه الأناجيل أكثر من سبعين إنجيلاً، وكان فابري سيوس قد جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاثة مجلدات .

ب - نُسبت إلى موسى عليه السلام غير الكتب الخمسة -(التكوين والخروج والأحبار والعدد والتثنية) والمشهورة الآن بالتوراة- ستةُ كتب هي :

١ - كتاب المشاهدات . ٢- كتاب التكوين الصغير .

٣- كتاب المعراج . ٤- كتاب الأسرار

٥- كتاب تستمنت (العهد أو الميثاق). ٦- كتاب الإقرار .

قال هورن : المظنون أنّ هذه الكتب الجعلية اختُرِعت في ابتداء الملّة المسيحية، أيْ في القرن الميلادي الأول .

جـ - قال المؤرخ موشيم : تعلّم يهود مصر قبل المسيح مقولة مشهورة عند الفلاسفة هي : أنّ الكذب والخداع لأجْل أنْ يزداد الصدق وعبادة الله ليسا بجائزيْن فقط، بل قابلان للتحسين، وعملوا بهذه المقولة كما يظهر هذا جزماً من كثير من الكتب القديمة، وانتقل وباء هذه المقولة السيئة إلى النصارى كما يظهر هذا الأمر من الكتب الكثيرة التي نسبوها إلى الكبار

كذباً .

فإذا كان الكـذب والخداع من المستحبات الـدينية عند اليهـود قبل المسيح وعند النصارى بعده، فهل يقف الـجَعْل والتحريف والكذب عند حدّ؟!

د - قال لاردنر في تفسيره: حُكِم على الأناجيل المقدّسة لأجْل جهالة مصنّفيها بأنها ليست حسنـة بأمر السلطان أنـاسطيثوس (الذي حكـم ما بين سنتي ٤٩١ - ٥١٨م) فصُححت مرة أخرى، فلو كان لـلأناجيل إسناد ثابت في عهد ذلك السلطان ما أمر بتصحيحهـا، ولكنْ لأنّ مصنفيها كانوا مجهولين أمر بتصحيحها، والمصححون إنما صححوا الأغلاط والتناقضات على قدر الإمكان، فثبـت التحريف فيها يقينـاً من جميع الوجـوه، وثبت أنها فاقدة الإسناد.

هـ - أكستاين وهيلز وقدماء النصـارى كانوا يقولون: إنّ اليهود في سنة ١٣٠م حـرّفوا التـوراة العبرانية قصـداً لعناد النصـارى الذين كـانوا يعتمـدون على الترجمة اليونـانية، ولتصير هذه الترجمة غير معتبرة، وأثبت كني كـات بأدلّة قـوية لا جـواب عليهـا بأنّ اليهـود حـرفوا تـوراتهم العبرانيـة لأجل عـداوة السامريين الذين كان لهم توراة خاصة بهم غير توراة العبرانيين .

و - قال المفسّر هارسلي: لا ريـب في أنّ المتن المقدّس قد حرّف، وهـذا ظاهر من اختـلاف النسخ وتناقض العبـارات، وهذا الأمر قـريب من اليقين أنّ العبارات القبيحة جدّاً دخلـت في المتن المطبوع، وأنّ المتن العبري في النقول التي كانت عند الناس كان في أشنع حالةِ التحريف .

ز - قال واتسن: إنّ أوريجن كان يشكو من الاختـلافات، وينسبها إلى أسباب

مختلفة، مثل غفلة الكاتبين وشرارتهم وعدم مبالاتهم، ولمّا أراد جيروم ترجمة العهد الجديد قابل النسخ التي كانت عنده فوجد اختلافاً عظيماً .

وقال آدم كلارك في تفسيره : كانت ترجمات كثيرة باللغة اللاتينية من المترجمين المختلفين موجودة قبل جيروم، وكان بعضها في غاية درجة التحريف، وبعض مواضعها مناقضة للمواضع الأخرى، كما صرّح به جيروم.

ح - الراهب فيلبس كوادنولس كتب كتاباً للرد على بعض المسلمين سمّاه (الخيالات) وطبعه سنة ١٦٤٩م، وقال فيه: يوجد التحريف كثيراً في كتب العهد القديم، ونحن النصارى حافظْنا على هذه الكتب لنلزم اليهود بالتحريف، ونحن لا نسلّم أباطيلهم .

ط - وصل عرضحال (معروض) من فرقة البروتستانت إلى السلطان جيمس الأول (المتوفى سنة ١٦٢٥م) يقولون فيه: إنّ الزبورات (المزامير) التي هي داخلة في كتاب صلاتنا مخالفة للنصّ العبري بالزيادة والنقصان والتبديل في مائتي (٢٠٠) موضع تخميناً .

ي - قال المؤرخ الإنكليزي مستر توماس كارلايل (المتوفى سنة ١٨٨١م) : المترجمون الإنكليزيون أفسدوا المطْلَب، وأخفوا الحقَّ، وخدعوا الجهال، ومطلب الإنجيل الذي كان مستقيماً جعلوه معوجّاً، وعندهم الظلْمة أحب من النور ، والكذب أحق من الصدق .

ك - مستر بروتن كان كبير المسؤولين عن مجلس الترجمة الجديدة في بريطانيا، فقال للقسيسين: إنّ الترجمة السائدة في إنكلترة مملوءة من الأغلاط، وإنّ

ترجمتكم الإنكليزية المشهورة حَـرَّفت عبارات كتب العهد القديم في ثمانمائة وثمانية وأربعين (٨٤٨) موضعاً، وصارت سببـاً لردّ كتب العهد الجديد من قِبل أناس غير محصورين .

أسباب وقوع اختلاف العبارة في كتب العهدين

قال هورن في تفسيره: لوقوع اختلاف العبارة أربعة أسباب:

السبب الأول: (غفلة الكاتب وسهوه)، وهو يُتصور على وجوه:

١- أنّ الذي كان يُملي العبارة على الكاتب حرّف في الإملاء فألقى ما ألقى، أو أنّ الكاتب لم يفهم قوله حين أملاه عليه فكتب ما كتب.

٢- أنّ الحروف العبرانية واليونانية بعضها متشابهة، فكتب أحدها بدل الآخر.

٣- أنّ الكاتب ظنّ الإعراب خطّاً، أو ظنّ الخط الذي كان يكتب عليه جزءاً من الحرف، أو أنّ الكاتب لم يفهم أصل المطلب فأصلح العبارة باجتهاده وغلط.

٤- أنّ الكاتب انتقل من موضع إلى موضع آخر سهواً، فلمّا تنبّه لم يمحُ ما كتب، وبدأ الكتابة مرّة أخرى من الموضع الذي تركه، فبقي ما كتبه من قبل بلا محو.

٥- أنّ الكاتب نسي شيئاً، فبعدما كتب شيئاً آخر تنبّه فكتب العبارة المتروكة بعده مباشرة، فانتقلت العبارة من موضعها الصحيح إلى موضع آخر.

٦- أنّ نظر الكاتب أثناء الكتابة أخطأ ووقع على سطر آخر، فسقطت عبارة أو عبارات ولم يَعلم بها.

٧- أنّ الكاتب غلط في فهم بعض الألفاظ فكتبها على حسب فهمه، فوقع في الغلط.

٨- أنّ جهل الكاتبين وغفلتهم سبب عظيم لوقوع اختلاف العبارة، بأنهم فهموا عبارة الحاشية أو التفسير جزءاً من المتن فأدخلوها فيه.

السبب الثاني : (نقصان النسخة المنقول عنها) وهو يُتصور على وجوه :

١ - انمحاء إعراب الحروف .

٢- أنّ الإعراب الـذي كان في صفحةٍ ظهـر في صفحة أخرى وامتـزج بحروف الصفحة الأخرى ، ففهمه الكاتب جزءاً منها ، فكتبه كما فهم .

٣- أنّ الفقرة المتروكـة كانت مكتوبة على الحاشيـة بلا علامة تـدل على موضع نقصانها ، فلم يَعلم الكاتبُ الثاني أين مـوضع نقصانها الذي تُكتب فيه ، فاجتهد فغلط في موضعها .

السبب الثالث : (التصحيح الخيالي والإصلاح) وهو يُتصور على وجوه :

١ - أنّ الكـاتب فهِـم العبـارة الصحيحـة أنها نـاقصـة ، أو أنـه غلـط في فهم المطلب ، أو أنه ظن أنّ العبارة غلط ولم تكن غلطاً .

٢- أنّ بعض المحققين لم يكتفـوا على إصلاح الغلط ، بل بـدّلوا العبـارات غير الفصيحة بعبارات فصيحة ، وأسقطوا الفضول من الكلام والألفاظ المترادفة التي لم يـظهر لهم فرق فيها .

٣- أنهم سوّوا الفقرات المتقـابلة باعتبار المعـاني ، فجعلوها متساويـة ، فالزائد نقصـــوه إلى القليل ، أو القليـل زادوه ، وهـذا التصرف وقـع في الأنـاجيـل خصوصاً ، ولأجْل ذلك كثر الإلحاق في رسائل بولس ؛ لتكون العبارات التي نقلها عن العهـد القديم مطابقـة للترجمة اليونانيـة . وهذا هو أكثر الـوجوه وقوعاً .

٤- أنّ بعض المحققين جعل عبارات العهد الجديد مطابقة للترجمة اللاتينية .

السبب الرابع : (التحريف القصدي) :

وهـذا التحـريـف صـدر من المتشـدديـن في الـدين وصـدر أيضـاً من المبتدعين، وأعظـم المحرفين المبتدعين هـو مارسيون، وأمّـا المتشددون فكـانوا يحرفون قصـداً لتأييد مسألـة مقبولة، أو لـدفع الاعتراضات الواردة، ثـم تُرجَّح هذه التحريفات بعدهم. وضرب هـورن أمثلة كثيرة لهذه التحريفات القصدية الصادرة عن المتشددين الذين هم عند قومهم من أهل الديانة والدين .

إذا ثبـت أنّ عبـارات الحاشيـة والتفسير دخلت في المتـن بسبب جهـل الكاتبين وغفلتهم، وأنّ الكاتبين أصلحوا العبارات التي ظنوا أنها غلط، وأنهم بـدّلوا العبـارات غير الفصيحة، وأسقطـوا ألفـاظاً فضـولاً أو مترادفة، وسـوّوا الفقرات المتقـابلة وخصوصـاً في الأناجيل، وأنّ بعض المحققين جعلـوا العهد الجديد مطابقاً للترجمة اللاتينية، وأنّ المبتدعين حـرّفوا قصداً، وأنّ أهل الديانة والديـن من المتشددين في ملّتهـم كانوا يحرفـون قصداً لتأييـد المسائل أو لـدفع الاعتراضات، وأنّ هذه التحريفات القصديـة كانت تُرجَّح بعدهم، فأيّ وجه من وجوه التحريـف لم يفعلوه؟! وأيّ باب من أبواب التحريـف لم يدخلوه؟! وأيّ استبعاد لو قلنا: إنّ النصارى عبّاد الصليب حـرّفوا قصداً بعد ظهور دين الإسـلام العبـارات التي كـانت نـافعـة للمسلمين، ثم رُجّح هـذا التحـريف بعدهم؟! بل إنّ هـذا التحريف الذي هو ضدّ المسلمين أشـدّ اهتماماً عندهم من التحريف الذي هو ضدّ بعضهم بعضاً، وترجيحه عندهم أولى وأشدّ .

المغالطة الثانية : يزعم النصارى أنّ المسيح عليه السلام شهد بحقّيّة كتب العهد العتيق، ولو كانت محرفة ما شهد بها، بل كان عليه أنْ يُلزم اليهود بالتحريف.

يقال في الردّ على هذه المغالطة : إنّه لمّا لم يثبت التواتر اللفظي لكتاب من كتب العهدين العتيق والجديد، ولا يوجد لها سند متصل إلى مصنفيها، وثبت وقوع جميع أنواع التحريف في هذه الكتب، وثبت أنّ المتشددين من أهل الدين والديانة كانوا يحرفون قصْداً لتأييد المسائل أو لدفع الاعتراضات الواردة، فصارت هذه الكتب جميعها مشكوكة عندنا، ولا يجوز الاحتجاج علينا ببعض فقراتها؛ لاحتمال أنْ تكون هذه الفقرات إلحاقية، أدخلها المتشددون من النصارى في القرن الثاني أو في القرن الثالث ضدّ الفرقة الأبيونية والفرقة المارسيونية وفرقة ماني كيز، ثم رُجّحت هذه التحريفات بعدهم لكونها مؤيدة لمسائلهم، كما فعلوا ضدّ فرقة إيرين، وكانت الفرق الثلاث المذكورة تنكر كتب العهد العتيق إمّا كلّها أو أكثرها.

ثم لو قطعنا النظر عن كون هذه الفقرات إلحاقية، فلا يثبت منها سند هذه الكتب؛ لأنها لم يُبيَّن فيها أعداد هذه الكتب ولا أسماؤها، فكيف يُعلم أنّ كتب العهد العتيق تسعة وثلاثون (كما هي الآن عند البروتستانت)، أو ستة وأربعون (كما هي الآن عند الكاثوليك)؟!

والمؤرخ اليهودي يوسيفس -الذي هو متعصب جدّاً وعاش بعد المسيح عليه السلام، والنصارى يحترمونه ويقبلون كتبه- كتب في تاريخه يقول : نحن اليهود ليس عندنا ألوف من الكتب يناقض بعضها بعضاً، بل عندنا

اثنان وعشرون كتاباً منها خمسة لموسى .

فبيّن غير أسفار موسى الخمسة سبعة عشر كتاباً من ملحَقات التوراة ، والحال أنّ هذه الملحَقات للتوراة عند البروتستانت أربعة وثلاثون كتاباً ، وعند الكاثوليك واحد وأربعون كتاباً ، فأيُّ كتاب من هذه الكتب الملحَقات يكون داخلاً في السبعة عشر؟! وأيُّ كتاب منها يكون خارجاً عنها؟!

وقد مرّ أنّ المحقِّق كريزاستم وعلماء الكاثوليك يعترفون أنّ اليهود ضيعوا كتباً بسبب غفلتهم وعدم ديانتهم ، فمزّقوا بعضها ، وأحرقوا بعضها الآخر ، فيجوز أنْ تكون هذه الكتب المضيَّعة داخلة ضمن السبعة عشر ، وقد اعترف المحققون بفقدان عشرين كتاباً ورد ذكرها وليس لها وجود الآن .

قال طامس إنكلس : اتفق العالَمَ على أنّ الكتب المفقودة من الكتب المقدسة ليست بأقلّ من عشرين .

وثبت بشهادة يوسيفس أنّ خمسة كتب منسوبة إلى موسى عليه السلام ، ولكن لا يُعلم أنّ هذه الكتب الخمسة التي كانت في عهد يوسيفس هي هذه الخمسة المتداولة الآن أم غيرها؟!

والظاهر أنها غيرها لما مرّ أنّ يوسيفس لم يكن يعتمد في تاريخه على الأسفار الحالية .

ثم لو سلّمنا أنّ هذه الكتب من العهد القديم التي كانت متداولة في عهد المسيح ، وشهد المسيح والحواريون لها ، فمقتضى هذه الشهادة أنّ هذه الكتب كانت موجودة عند اليهود في ذلك الوقت ، سواء كانت من تصنيف الأشخاص المنسوبة إليهم أو لم تكن ، وسواء كانت الحالات المندرجة فيها

صادقة أو بعضها صادقة وبعضها كاذبة، ولا يفهم من هذه الشهادة أنّ كلّ كتاب منها هو من تصنيف الشخص المنسوب إليه، ولا أنّ كل حالٍ من الحالات المذكورة فيها صادقة قطعاً، ولو نقل المسيح والحواريون من هذه الكتب شيئاً، فلا يلزم من مجرد النقل صدق الكتاب المنقول منه بحيث أنه لا يحتاج إلى تحقيق، نعم لو أنّ المسيح صرّح في كل جزء من أجزاء هذا الكتاب وفي كل حكْم من أحكامه أنه من عند الله وثبت تصريح المسيح بالتواتر فيكون هذا الكتاب صادقاً قطعاً، وما سواه يكون مشكوكاً يحتاج إلى تحقيق. ولكنْ لم يثبت هذا التصريح من المسيح عليه السلام بخصوص أيِّ كتاب من كتب العهد القديم.

والمحقِّق بيلي ذكر في كتابه أنّ المسيح قال بأنّ التوراة من عند الله، وقوله ذلك لا يعني أنّ العهد العتيق كله أو كلّ فقرة منه صحيحة، ولا أنّ كل كتاب منه أصْليّ، ولا أنّ تحقيق مؤلفيه واجب، نعم لقد كان الحواريون واليهود المعاصرون للمسيح يرجعون إليها ويستعملونها، فيثبت من هذا الرجوع والاستعمال أنها كانت مشهورة ومسلّمة في ذلك الوقت، ولا يلزم من نقل فقرة في العهد الجديد عن العهد العتيق صدق تلك الفقرة بحيث لا تحتاج إلى تحقيق.

ثم لو فرضنا أنّ المسيح شهد لكتب العهد القديم فشهادة المسيح لا تنافي التحريف الواقع بعدها، فكما حرّف اليهود قبل المسيح حرّفوا بعده أيضاً، وقد مرّ أنّ مذهب الجمهور من العلماء والمحققين والمفسّرين والمؤرخين أنّ اليهود حرّفوا قصداً بعد المسيح سنة ١٣٠م عنادًا للنصارى، فشهادة المسيح لا تنفي أنْ يكون التحريف قد وقع بعدها في هذه الكتب.

المغالطة الثالثة: يزعم النصارى أنّ وقوع التحريف مستبعد؛ لأنّ نُسخ الكتب المقدسة كانت منتشرة شرقاً وغرباً فلا يمكن لأحد تحريفها .

وللردّ على هذه المغالطة فيما يلي إيراد أمور يزول بها استبعاد وقوع التحريف في كتبهم :

١ - أنّ موسى عليه السلام كتب نسخة التوراة وسلّمها إلى الأحبار، وأوصاهم بالمحافظة عليها بوضعها داخل صندوق الشهادة، أيْ التابوت الذي صنعه موسى، فكانت توراة موسى موضوعة في الصندوق، وكانت الطبقة الأولى محافظة عليها، فلما انقرضت هذه الطبقة تغيّر حال بني إسرائيل، فكانوا يرتدّون تارة ويُسْلمون أخرى، وبقي حالهم هكذا إلى سلطنة داود وسليمان عليهما السلام، فحسنت حالهم، واستقامت عقيدتهم، أمّا التوراة الموضوعة في التابوت فضاعت قبل عهد سليمان بسبب الارتدادات الكثيرة، ولا يُعلم جزماً متى ضاعت؛ لأنّ سليمان عليه السلام عندما فتح الصندوق لم يجدْ فيه سوى اللوحيْن اللذيْن كانت الأحكام (الوصايا) العشرة فقط مكتوبة فيهما، كما هو مصرّح به في سفر الملوك الأول ٨/ ٩ . ثم وقع الارتداد العظيم في آخر حكم سليمان على ما تشهد به كتبهم المقدسة (ولا شك أنه إفك مفترى على سليمان)، فيقولون إنّ سليمان ارتدّ في آخر عمره وعبد الأصنام وبنى لها المعابد الكثيرة إرضاءً لأزواجه (سفر الملوك الأول ١١/ ١-١١)، فإذا صار سليمان في آخر عمره مرتدّاً وثنيّاً بشهادتهم القبيحة، فما بقي له غرض بالتوراة .

وبعد موت سليمان عليه السلام سنة ٩٣١ ق . م وقع الارتداد الأعظم بأنْ انقسم أسباط بني إسرائيل، فصارت المملكة الواحدة مملكتين، وصار

يربعـام بن نابـاط ملكاً على عشرة أسباط في شمال فلسطين، وسميـت مملكته بمملكة إسرائيل، وعاصمتهـا تِرْصَة قرب شكيم (نابلـس)، وصار رحبعام بن سليمان ملكاً على سبطين في جنوب فلسطين، وسميـت مملكته بمملكة يهوذا، وعاصمتها أورشليم (القدس)، وقـد شاع الكفر والارتداد في المملكتين، وكان في مملكـة إسرائيل أسرع وأشـدّ؛ لأنّ يربعـام بعـدما تـولى الحكم ارتـدّ ونصب عجول الذهب وأمـر بعبادتها، فارتدّت معه الأسبـاط العشرة وعبدوا الأصنام، ومن بقي منهـم على التوحيـد هاجـر إلى مملكة يهوذا، وقـد تعـاقب على حكم مملكـة إسرائيل تسعـة عشر (١٩) ملكـاً، ولم يتغير حـالهم، فهـؤلاء الأسبـاط العشرة من عهد أول ملوكهم إلى آخرهم كانوا كـافرين بالله، عابدين للأصنام، نابذين للتـوراة، فأبادهم الله بأنْ سلّط عليهم الأشّوريين بقيـادة سرجون الثاني سنـة ٧٢٢ ق.م، فـأسروا وقتلـوا القسم الأكبر منهم، وفـرّقـوا قسماً آخـر في الممالـك، ولم يبق منهـم في هـذه المملكـة إلاّ شرذمة قليلـة، فجلبـوا الـوثنيين وأسكنـوهم في مملكـة إسرائيل، فـاختلطت هـذه الشرذمة الإسرائيليـة القليلـة بالوثنيين اختلاطـاً شديداً، فتزاوجوا وتوالدوا، فسميـت أولادهـم بالسامريين، فمن عهد يربعام أول ملوك المملكة الإسرائيلية وإلى انـدثارها بعد مدة تزيد عن قرنين من الزمان ما كان لهؤلاء الأسباط العشرة غرض بالتوراة، وكان وجود نُسخ التوراة في هذه المملكة كوجود العنقاء، يُسمع بها ولا أصل لها.

أمّـا مملكة يهوذا التي تضـمّ سبطين من أسباط بنـي إسرائيل فجلس على سرير الحكْم فيها بعـد موت سليمان عليه السلام عشرون ملكـاً، وكان المرتدّون من هـؤلاء الملـوك أكثر من المؤمنين الموحـدين، فمن عهـد رحبعـام بن سليمان

شاعت عبادة الأصنام، ووُضعت تحت كل شجرة وعُبدت، فسلّط الله عليه شيشق ملك مصر، فغزا مملكة يهوذا، ونهب جميع أثاث الهيكل وأثاث بيت السلطان، ثم سلّط الله على آسا ثالثِ ملوكها بعشا بن أخيّا ثالثَ ملوك مملكة إسرائيل، وكان بعشا وثنيّاً مرتدّاً، فجاء إلى القدس ونهب الهيكل وبيت السلطان نهباً شديداً، وفي عهد أخَزْيا سادسِ ملوك يهوذا بُنيت المذابح للبعل في كل جانب من مدينة أورشليم (القدس)، حتى سدّت أبواب بيت المقدس، ثم في عهد منسّى ملِكِها الرابع عشر اشتدّ الكفر حتى صار أكثر أهل المملكة وثنيين، فبنى مذابح الأوثان في فِناء بيت المقدس، ووضع الوثنَ الذي كان يعبده في بيت المقدس، وهكذا كان حال الكفر والارتداد في عهد ابنه آمون.

ولما تولّى الحكْم يُوشِيّا بن آمون سنة ٦٣٨ ق.م تاب إلى الله توبة نصوحاً، وأمر أركان دولته بنشر الملّة الموسوية، وهدم رسوم الكفر والوثنية في غاية الجدّ والاجتهاد، واتخذ الكاهنَ حِلْقِيّا مرشداً له، وعيّن الكاتبَ شافان لجمع الضرائب من الشعب لإصلاح الهيكل، وكان بحاجة شديدة إلى التوراة، ولكنه مع ذلك ما رأى أحدٌ ولا سمع بوجود نسخة التوراة إلى سنة ٦٢١ ق.م، أيْ بعد سبعة عشر عاماً من حكمه، ثم في العام الثامن عشر ادّعى مرشدُه الكاهن حِلْقِيّا أنّه وجد مخطوطة لسفر التثنية ومجموعة من الشرائع في بيت المقدس، عندما كان يحسب الفضّة الواردة إلى الهيكل، فأعطى هذا السفر لشافان فقرأه على الملك يُوشِيّا، فلمّا سمع يُوشِيّا مضمونه شق ثيابه حزنًا على عصيان بني إسرائيل، (سفر الملوك الثاني ٢٢/ ١-١١ وسفر أخبار الأيام الثاني ٣٤/ ١-١٩).

ولكن هذه النسخة لا اعتماد عليها ولا على قول حِلْقِيّا؛ لأنّ الهيكل نُهب مرتين قبل عهد الملك أَخَزْيا، وفي عهده جُعل بيتاً للأصنام، وكان سدنتها يدخلون البيت كل يوم، ففي خلال أكثر من قرنين من الزمان، (منذ بداية حكم أَخَزْيا سنة ٨٤٣ ق.م إلى سنة ٦٢١ ق.م التي هي العام السابع عشر لحكم يُوشِيّا) ما سمع أحدٌ اسم التوراة ولا رآها، علماً أنّ يُوشِيّا وأركانَ دولته وجميع رعيته كانوا في غاية الاجتهاد لإحياء شريعة موسى، وكان الكهنة يدخلون كل يوم إلى الهيكل، فالعجب أنْ يكون سفر التثنية في الهيكل ولا يراه أحد طيلة سبعة عشر عاماً، والحقّ أنّ هذا السفر اخترعه الكاهن حِلْقِيّا؛ فإنّه لمّا رأى أنّ المِلك يُوشِيّا وأركانَ دولته متوجهون بشدة إلى اتّباع شريعة موسى، قام بجمع هذا السفر من الروايات اللسانية غير المدوّنة التي كان يتناقلها الأحبار، أو وصلت إليه من أفواه الناس سواء كانت صادقة أو كاذبة، وكان طيلة سبعة عشر عاماً في جمعها وتأليفها، فبعدما أتمّ جمعها نسبها إلى موسى، وادّعى أنه وجد هذا السفر في الهيكل، ومثل هذا الافتراء والكذب لترويج الملّة كان من المستحبات الدينية عند متأخري اليهود وقدماء النصارى.

وبقطع النظر عمّا فعله حِلْقِيّا، فإنّ سفر الشريعة الذي سلّمه للملك يُوشِيّا سنة ٦٢٠ق.م في العام الثامن عشر من حكمه، بقي العمل به طيلة حياته، أيْ لمدة ثلاثة عشر عاماً، ولمّا مات يُوشِيّا سنة ٦٠٨ ق.م جلس ابنه يهوآحاز على سرير الملك، فارتدّ وأشاع الكفر في المملكة، فسلّط الله عليه (نخو) ملك مصر، فأسره وأجلس مكانه أخاه يهوياقيم بن يُوشِيّا، وكان أيضاً مرتدّاً وثنيّاً كأخيه، وبعد موته جلس على سرير الملك ابنه يهوياكين بن

يهوياقيم، وكان أيضاً مرتدّاً وثنيّاً كأبيه وعمّه، فسلّط الله عليه بختنصر (نبوخذنصر) ملك بابل، فأسره مع جمّ غفير من بني إسرائيل، ونهب الهيكل والقدس وكنْز بيت الملك، وأجلس مكانه على السرير عمّه صِدْقِيّا بن يُوشِيّا، وكان مرتدّاً وثنيّاً كأخويه، فحكم أحد عشر عاماً كان خلالها ذليلاً لنبوخذ نصر ، وفي سنة ٥٨٧ ق.م جاء نبوخذ نصر فقبض على صِدْقِيّا وقتل أولاده أمام عينيه، ثم قلع عينيه وربطه بالسلاسل وأرسله مع سائر بني إسرائيل أسرى إلى بابل، وأشعل النار في الهيكل وفي بيوت الملك وجميع بيوت أورشليم، فدمّرها تدميراً كليّاً وهدم أسوارها، وقضى نهائيًّا على مملكة يهوذا سنة ٥٨٧ق.م، أيْ بعد أنْ قضى سرجون الثاني الأشّوري على مملكة إسرائيل بـ ١٣٥ سنة.

إذن يكون تواتر التوراة في اليهود منقطعاً قبل زمان يُوشِيّا (٦٣٨-٦٠٨ ق.م)، والسفر الذي وُجد في عهده لا اعتماد عليه ولا يثبت به التواتر، وما عُمِل به إلاّ ثلاثة عشر عاماً، وبعدها اندثر ولم يُعلم حاله، والظاهر أنه لمّا رجع الكفر والارتداد والوثنية في أولاد يُوشِيّا زال هذا السفر قبل حادثة بختنصر، ولو فُرض بقاؤه قبلها فزواله في حادثة بختنصر أمر مقطوع به؛ لأنّ جميع كتب العهد العتيق التي كانت مصنّفة قبل هذه الحادثة انعدمت عن صفحة العالَم رأساً، وهذا الأمر مسلّم عند أهل الكتاب، لذلك يضطرون للقول: إنّ عزرا كتب العهد العتيق مرّة أخرى في بابل .

وذكر كتّاب قاموس الكتاب المقدس أنه مما لاشكّ فيه أنّ معظم الأسفار المقدسة أُتلفت أو فُقدت في عصر الارتداد والاضطهاد وبخاصة في مدة حكم

منسّى الطويل (٥٥سنة ما بين ٦٩٣-٦٣٩ ق.م)، ورجّحوا أنّ مخطوطة نسخة الشريعة التي عثر عليها حِلْقِيّا قد عُبث بها عند تدنيس الهيكل .

٢- لمّا كتب عزرا كتب العهد القديم مرّة أخرى -على زعمهم- وقعت حادثة أخرى مروّعة، جاء ذكرها في كتاب المكابيين الأول وفي تاريخ يوسيفس وفي كتب أخرى، وهي أنّه لمّا فتح أنطيوخس الرابع (أنتيوكس ابيفانيس) أورشليم، أراد أنْ يمحق الديانة اليهودية، فأحرق جميع نسخ كتب العهد القديم التي حصلت له من أيِّ مكان بعدما قطّعها، وأمر بقتل كلّ مَن توجد عنده نسخة من نسخ كتب العهد القديم أو مَن يؤدّي رسم الشريعة، وكان يفعل هذا الأمر في كل شهر ولمدة ثلاث سنوات ونصف، وكانت هذه الحادثة حوالي سنة ١٦١ق.م، فقُتِل خَلْقٌ كثير من اليهود، وأُعدِمتْ فيها جميع النسخ التي كتبها عزرا، ولذلك قال جان ملنر: اتفق أهل العلم على أنّ نسخة التوراة ونسخ كتب العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بختنصر، ولمّا ظهرت نقولها بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضاً في حادثة أنتيوكس، ثم وقعت على اليهود بعد حادثة أنتيوكس حوادث أخرى انعدمت فيها نقول عزرا ونسخ لا تحصى، ومنها حادثة تيطس الرومي سنة ٧٠م، وهي مكتوبة بالتفصيل في تاريخ يوسيفس وتواريخ أخرى، وقد أَهلَك في هذه الحادثة من اليهود في القدس ونواحيها مليون ومائة ألف (١٠١٠٠٠٠ را) بالسيف والصلب والنار والجوع، وأسر سبعة وتسعين ألْفًا (٩٧٠٠٠) ، وباعهم في الأقاليم المختلفة، وأهلك جموعاً كثيرة في أقطار أرض فلسطين وسوريا، فلو أنّ شيئاً من كتب العهد القديم نجا من إحراق أنتيوكس، فمن المحقق أنه أُحرق وأُعدم في هذه

الحادثة . [انظر رقم (١) في حال التوراة ص ٢٠].

٣- أنّ قدماء النصارى لم يكونوا معترفين بالنسخة العبرانية من العهد القديم، وكانوا يعتقدون أنها محرّفة، وكانوا يستعملون الترجمة اليونانية إلى آخر القرن الميلادي الثاني، وأمّا في معابد اليهود فكانت الترجمة اليونانية مستعملة إلى نهاية القرن الميلادي الأول، وكانت نسخ العبرانية قليلة جدًّا عند الطرفين، وقد أعدم اليهودُ بأمر محفل الشورى نُسخاً كُتبت في القرنين السابع والثامن الميلادي؛ لأنها كانت تخالف النسخ المعتمدة عندهم مخالفة كبيرة، ولذلك لم تصِل إلى أيدي المصححين أية نسخة مكتوبة في هذين القرنين، فإذا أَعدموا النسخ المخالفة لنُسَخهم، وأبقوا النسخ التي يرضون بها صار لهم مجال واسع للتحريف .

٤- الحوادث التي مرّت على النصارى في القرون الثلاثة الأولى كانت سبباً لقلّة النسخ عندهم، ولسهولة التحريف فيها؛ لأنّ تواريخهم تشهد بأنهم طيلة هذه القرون الثلاثة ابتُلوا بأنواع المحن والبلايا، فقد وقعت عليهم اضطهادات عظيمة كانت كافية لضياع الإنجيل الصحيح وسائر أسفارهم المقدَّسة، وأبرزها عشرة اضطهادات كما يلي :

الأول: في عهد السلطان نيرون سنة ٦٤م، وكان مشهوراً بالظلم والقسوة، حتى إنه أحرق مدينة روما وألقى تبعة ذلك على النصارى فاضطهدهم بعنف، وكان الإقرار بالنصرانية يعدّ جُرْماً عظيماً، فقتل بطرس وزوجته وأناساً كثيرين، وكان هذا القتل في العاصمة وفي سائر الولايات مستمراً إلى نهاية حياة هذا السلطان سنة ٦٨م .

والثاني: في عهد السلطان دومشيان (دوميتيانوس)، الذي صار إمبراطور روما عام ٨١م، (وهو أخو تيطس الذي ذبح اليهود سنة ٧٠م)، وكان طاغية جبّاراً، وعدوّاً للنصارى مثل نيرون، فأجلى يوحنا الحواري، وأمر بالقتل العامّ، وأسرف في قتل الكبراء ومصادرة أموالهم، ونكّل بالنصارى تنكيلاً عظيماً فاق ما فعله أسلافه، وكاد أنْ يستأصل النصرانية، وبقي الحال هكذا إلى أن قُتِل سنة ٩٦م.

والثالث: في عهد السلطان تراجان (ترايانوس)، الذي صار امبراطور روما عام ٩٨م، فقد بدأ اضطهاده العنيف للنصارى سنة ١٠١م، واشتدّ جدّاً سنة ١٠٨م حيث أمر بقتل كلّ مَن بقي من ذرية داود، فقام الضباط بالتفتيش، وبقتل كل من وجدوه منهم، وأعدم كثيرين من الأساقفة بالصلب أو بالضرب أو بالإغراق في البحر، وبقي الحال هكذا طيلة حياته إلى أنْ فجأه الموت سنة ١١٧م.

والرابع: في عهد السلطان مرقس أنتيونينُس (أنطيونينوس ماركوس)، الذي صار إمبراطور روما عام ١٦١م، وكان فيلسوفاً رواقيّاً ووثنيّاً متعصباً، بدأ اضطهاده للنصارى عام ١٦١م ولمدة تزيد على عشر سنين، حتى بلغ القتل شرقاً وغرباً، وكان يطلب من الأساقفة أنْ يكونوا مع جملة سدنة الأوثان، ومن أبى يجلسونه على كرسي حديد تحته نار، ثم يمزق لحمه بكلاليب من حديد.

والخامس: في عهد السلطان سويرس (سيفيروس)، الذي صار امبراطور روما عام ١٩٣م، وابتدأ اضطهاده للنصارى عام ٢٠٢م، فأمر بالقتل في كل ناحية، وكان القتل على أشدّه في مصر وقرطاجة وفرنسا حيث قتل

الألوف في غاية الشدّة، فظنّ النصارى أنّ هذا الزمان هو زمان الدجال .

والسادس: في عهد السلطان مكسيمن (ماكسيمينيوس)، الذي صار امبراطور روما سنة ٢٣٥م، فأحيا رسوم الوثنية، وبدأ اضطهاده للنصارى عام ٢٣٧م، فأصدر أمره بقتل جميع العلماء؛ لأنّه ظنّ أنّه إذا قتل العلماء جعل العوامّ مطيعين له في غاية السهولة، ثم أمر بقتل كل نصراني بلا فحص ولا محاكمة، فكثيراً ما كان يُطرح منهم في جبّ واحد خمسون أو ستون قتيلاً معاً، ثم همّ بقتل جميع سكان روما ، فقتله أحد الجند سنة ٢٣٨م .

والسابع: في عهد السلطان دي شس (دنيس)، الذي بدأ اضطهاده للنصارى سنة ٢٥٣م، وقد أراد هذا السلطان استئصال الملة النصرانية، فأصدر أوامره بذلك إلى حكام الولايات، ونفّذ الولاة أوامره بقسوة فبحثوا عن النصارى وقتلوهم في كل مكان بعد التعذيب الشديد، وكان ظلمه وقهره شديداً في مصر وأفريقيا وإيطاليا والمشرق (آسيا الصغرى وبلاد الشام)، حتى ارتدّ في زمنه كثيرون من النصرانية إلى الوثنية .

والثامن: في عهد السلطان ولريان (والريانوس) (فالريان)، الذي بدأ اضطهاده للنصارى سنة ٢٥٧م، عندما أصدر أمره الشديد بقتل جميع الأساقفة وخدّام الدين، وإذلال الأعزّة ومصادرة أموالهم، وسلْب حليّ نسائهم، وإجلائهن من الأوطان، ومن بقي منهم بعد ذلك نصرانيّاً ورفض تقديم قربانٍ للإله جوبيتر يُقتل أو يحرق أو يلقى للنمور تفترسه، فقُتِل بضعة ألوف، وأُخذ الباقون عبيداً مقيّدين بالسلاسل لاستعمالهم في أمور الدولة .

والتاسع: في عهد السلطان أريلين، الذي بدأ اضطهاده للنصارى بأوامر

مشددة ضدّهم سنة ٢٧٤م، لكن لم يُقتل فيه كثير؛ لأنّ السلطان قُتل .

والعاشر: في عهد السلطان ديوكليشين (دقلديانوس)، الذي صار امبراطور روما عام ٢٨٤م، وبدأ اضطهاده للنصارى سنة ٢٨٦م بقتل (٦٦٠٠) من النصارى، وكانت ذروته سنة ٣٠٢م، واستمر إلى سنة ٣١٣م، ففي سنة ٣٠٢م أحرق بلدة فريجيا كلها دفعة واحدة بحيث لم يبق فيها أحد من النصارى، وأراد هذا السلطان أنْ يمحو الكتب المقدسة من الوجود، واجتهد في هذا الأمر اجتهاداً عظيماً، فأصدر أمره في شهر آذار (مارس) سنة ٣٠٣م بهدم جميع الكنائس وإحراق الكتب، وعدم اجتماع النصارى للعبادة، فنفّذ الولاة أمره بصرامة شديدة، فهُدّمت الكنائس في كل مكان، وأُحرق كل كتاب عثروا عليه بالجدّ التامّ، وعُذّب عذاباً شديداً كلُّ من ظُنّ أنه أخفى كتاباً، وامتنع النصارى عن الاجتماع للعبادة، قال يوسي بيس : إنه رأى بعينيه تهديم الكنائس وإحراق الكتب المقدسة في الأسواق .

وأصدر أمره لعامله على مصر أنْ يجبر الأقباط على عبادة الأصنام، وأنْ يذبح بالسيف كلَّ من يأبى، فقتل منهم (٨٠٠,٠٠٠)، فسمي عصره بعصر الشهداء، وكان يقتل من النصارى في كل يوم ما بين ٣٠-٨٠ نفساً .

واستمر اضطهاده للنصارى عشر سنين حتّى ملأ الأرض قتلاً شرقاً وغرباً، فهذا الاضطهاد أعنف من كل الاضطهادات السابقة وأطولها أمداً .

فهذه الوقائع العظيمة والبلايا الجسيمة التي يكتبونها في تواريخهم، لا يُتصور فيها كثرة النسخ وانتشارها شرقاً وغرباً كما يزعمون، بل لا يُتصور فيها إمكانية المحافظة على سلامة النسخ الموجودة بين أيديهم ولا تصحيحها ولا

تحقيقها؛ لأنّ النسخ الصحيحة تضيع في مثل هذه الأحداث، ويكون للمحرفين مجال كبير للتحريف المناسب لأهوائهم.

وبسبب الحوادث المذكورة وغيرها فُقدت الأسانيد المتصلة لكتب العهدين، وصار الموجود باسْم كتب العهدين جعلياً مختلَقاً، فلا يوجد عند اليهود ولا عند النصارى سند متصل لكتاب من كتبهم، وقد طلب الشيخ رحمت الله في مناظرته للقسيسيْن فندر وفرنج السندَ المتصل لأيٍّ كتاب من كتبهم، فاعتذرا بأنّ سبب فقدان الإسناد هو وقوع المصائب والفتن على النصارى إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة (٣١٣م).

وبهذا ثبت أنه لا يوجد دليل قطعيّ على أنّ النسخ الموجودة بين أيديهم قد كُتبت في قرن معيّن، وليس مكتوباً في آخر أسفارها أنّ كاتبه فرغ من كتابته في سنة معيّنة كما هو الحال في نهاية الكتب الإسلامية غالباً، فأهل الكتاب يقولون رجماً بالغيب وبالظن الذي نشأ لهم من بعض القرائن أنها لعلها كُتبت في قرن كذا أو قرن كذا، ومجرد الظن والتخمين لا يتمّ دليلاً على المخالف.

ونحن المسلمين لا نقول إنّ كتب أهل الكتاب لم تحرَّف قبل زمان محمد ﷺ وأنها حُرّفت بعد زمانه فقط، بل إنّ إجماع المسلمين كلهم على أنّ كتب أهل الكتاب حُرّفت وفَقَدت إسنادها قبل زمانه ﷺ، وأنّ التحريف في كثير من المواضع وقع فيها بعد زمانه أيضاً، وكثرة النُّسَخ لا تنفع في ردّ التحريف، بل إنّ وجود نسخ كثيرة قديمة يكون نافعاً لدعوى التحريف، باعتبار أنّ اشتمال هذه النسخ على الكتب الجعلية المكذوبة، واختلافها عن بعضها اختلافاً شديداً، من أعظم الأدلة الدالّة على تحريف أسلافهم لكتبهم المقدسة، ولا يلزم من

القِدمِ الصحّةُ .

وبهذا ثبت والحمد لله وقوع التحريف بجميع أنواعه في كتب أهل الكتاب ، وأنهم لا يملكون السند المتصل لأيّ كتاب منها ، وأنهم يقولون ما يقولون بالظن والتخمين ، وإنّ الظن لا يغني من الحق شيئاً .

الفصل الرابع

إثبات وقوع النسْخ في كتب العهدين

النّسْخ : مصدر نَسَخَ يَنْسَخُ نَسْخاً، ويأتي في اللغة بمعنيين :

١- الإبطال والإزالـة ، يقال : نَسَخَتِ الشمسُ الظلَّ ، ونَسَخَـتِ الريحُ الأثَرَ، ونَسَخَ الحاكمُ الحُكْمَ .

ومنه قـوله تعالى في سـورة البقرة آيـة ١٠٦ : ﴿ مَانَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ ﴾ وقوله تعالى في سورة الحج آيـة ٥٢ : ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أيْ يزيله ويُبطله فلا يُبقي له أثراً .

٢- النقل والتحـويل ، يقـال : نَسَـخَ الكتابَ : أيْ نقلـه وكتبـه حـرفـاً بحـرف ، ونَسَختِ النحلُ العسلَ : أيْ حـوّلتْه من مكـان إلى آخر، ومنـه قولـه تعالى في سورة الجاثية آية ٢٩ : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ .

والنَّسْخُ في الاصطلاح الإسلامي : بيـانُ مدّة انتهاء الحكْم العملي الجامع للشروط ، ويُعرَّف أيضاً بأنه : رفْعُ الحكْم الشرعي بدليل شرعي متأخّر .

والنسخ عنـدنا نحـن المسلمين لا يطرأ على القصص والأخبـار، ولا على الأمور العقلية القطعية مثل : أنّ الله موجـود وأنه واحد، ولا على العقائد مثل : وجوب الإيمان وحرمة الكفر والشرك ، ولا على الأحكام المؤبدة ، كقوله تعالى في سورة النور آية ٤ : ﴿ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗا ﴾ ، ولا على الأحكام المؤقّتة قبل وقتها المعيّن ، ولا على الأدعية . وإنما يطرأ النّسْخُ على الأحكام العملية المحتملة

للوجود والعدم، وأنْ تكون غير مؤبّدة ولا مؤقّتة، وتسمّى الأحكام المطْلَقَة.

ولا يقصد المسلمـون بالنسْخ المصطلح عندهـم ما يقصده اليهـود الذين يُجوّزون البَدَاءَ على الله تعالى؛ لأنّ معنى البـداء : ظهور الشيء بعد خفائه، أيْ أنّ الله أمر بشيء أو نهى عن شيء دون أنْ يَعلم عاقبة الأمـر والنهي، ثم بدا له رأي فنسخ الحكْم الأول، وهذا فيه لزوم الجهـل على الله - والعياذ بالله من هذه العقيدة الفاسدة وتعـالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً - لكنّ معنى النسخ المصطلح عند المسلمين أنّ الله تعـالى كان يعلم أنّ هـذا الحكْم من الأمر أو النهـي يكون بـاقياً على المكلَّفين بـه إلى وقت معيّن في علم الله ثـم ينسخه الله، أيْ إذا جـاء الـوقت المعيّن في علم الله يُعطـي الله المكلّفين حكْماً آخر يظهـر منـه للمكلَّفين الزيادة على الحكم الأول أو النقصان منه أو رفعـه نهائيّاً، فهذا الحكم الآخر هو في الحقيقة بيان انتهاء العمل بـالحكم الأول، ولكننا نحن المكلّفين لأننا لم نكن نعلم بالحكم الآخر ولا بوقت وروده، ولأنّ الحكم الأول لم يكن مؤقّتاً وكنّا نظن دوامـه، فعنـد ورود الحكم الآخـر نظنّ لقصـور علْمنـا أنّ هـذا تبـديل وتغيير للحكم الأول، ولكنْ هو بالنسبة إلى الله ليس تبـديلاً ولا تغييراً، وإنما هو بيان انتهاء العمل بـالحكم الأول، وفي هذا حِكم ومصالح للعبـاد يعلمها الله سواء ظهـرت لنـا أو لم تظهـر ؛ لأنّ جميع الأحكـام التي يشرعهـا الله لعبـاده فيهـا مصلحتهم، إمّا في جلب منفعة أو تكميلهـا، وإمَّا في درء مفسدة أو تقليلها، والحِكم والمصالح تكون نظراً إلى حال المكلَّفين والزمان والمكان، وهذا لا يعلمه أحدٌ إلا الله سبحـانه، لذلك كـان نسْخ الأحكام حقًّا لله وحـده، وليس البَدَاء من هذا القبيل، وهـو ممتنع في حق الله سبحانـه؛ لأنّ علم الله أزليّ أبديّ يعلم

الأشياء قبل وقوعها، أمّا البَدَاء فجائز في حقّنا نحن البشر .

وبعد بيان معنى النسخ المصطلح عندنا نحن المسلمين نقول : ليس هناك قصة من القصص الموجودة في كتب العهدين القديم والجديد منسوخة عندنا، لكن بعضها كاذب قطعاً، مثل :

١ - أنّ لوطاً عليه السلام زنى بابنتيه ، وحملتا منه بهذا الزنا : (سفر التكوين ١٩/ ٣٠-٣٨).

٢- أنّ يهوذا بن يعقوب عليه السلام زنى بثامار زوجة ابنه، وحملت منه بهذا الزنا توأمين - فارص وزارح : (سفر التكوين ٣٨/ ١٢-٣٠)، وأنّ الأنبياء داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من أولاد ولد الزنا فارص : (إنجيل متّى ١/ ٣-١٦) .

٣- أنّ داود عليه السلام زنى بامرأة أوريّا، وحملت منه بهذا الزنا، ثم أَهلك زوجها بالمكر، وأخذها زوجة له : (سفر صموئيل الثاني ١١/ ٢-٢٧) .

٤ - أنّ سليمان عليه السلام ارتدّ في آخر عمره وعبد الأصنام، وبنى المعابد لها : (سفر الملوك الأول ١١/ ١-١٣) .

٥- أنّ هارون عليه السلام صنع العجل لبني إسرائيل وعبده، وأمرهم بعبادته : (سفر الخروج ٣٢/ ١-٦) .

فنقول في هذه القصص وأمثالها : إنها كاذبة مفتراة على أنبياء الله تعالى، وباطلة يقيناً، ولا نقول إنها منسوخة .

وبهذا المعنى المصطلح عندنا للنسخ لا يكون الزبور ناسخاً للتوراة ولا يكون منسوخاً بالإنجيل؛ لأنّ الزبور أدعية، والأدعية لا تُنسخ، وإنما مُنِعنا

عن استعمال الزبـور والكتب الأخرى التي في العهدين القـديم والجديد؛ لأنها كلها مشكوكة يقيناً، وفاقدة لأسانيدها المتصلة، وثبت وقوع التحريف اللفظيّ فيها بجميع أقسامه.

أمّا الأحكام المطْلقة الصـالحة للنسْخ فنعترف أنّ بعض الأحكام في التوراة هي صالحة للنسخ، ونَسخـت الشريعةُ الإسلاميةُ بعضَهـا، ولا نقول: إنّ كلَّ حكم وارد في التوراة منسوخ، فبعض أحكام التوراة لم تُنسخ مثل: حرمة اليمين الكـاذبة والقتل والـزنا واللـواط والسرقة وشهـادة الزور والخيـانة في مـال الجار وعرضه ونكاح المحـارم وعقوق الوالدين، فهذه الأحكام مازالت حـرمتها باقية في شريعة الإسلام ولم تُنسَخ.

وقـد يكون الحكـم الناسـخ في شريعة نبـي لاحق، والحكم المنسـوخ في شريعة نبي سابق، وقد يكون الحكْمان الناسخ والمنسوخ في شريعة النبي نفسه، والأمثلة من كتب العهدين العتيق والجديد غير محصورة، وفيما يلي بعض الأمثلة على وجود الحكم النـاسخ في شريعة نبي لاحق والحكم المنسـوخ في شريعة نبي سابق، وبعض هذه الأمثلة يكون إيرادها من قبيل الإلزام فقط:

١- الزواج بـالأخت كان جـائزاً في شريعة آدم عليـه السلام، وقـد تزوج أولاده بأخواتهم، ثم نُسخ وصار محرّماً في شريعة موسى عليه السلام:

ففي سفر الأحبار (الـلاويين) ١٨/ ٩: (عورةَ أُختِكَ بنتِ أبيكَ أو بنتِ أُمِّكَ المولودةِ في البيتِ أو المولودةِ خارجاً لا تَكْشِفْ عَوْرتَها).

وفي سفر الأحبار (اللاويين) ٢٠/ ١٧: (وإذا أخَـذَ رجلٌ أخْتَهُ بنتَ أبيه أو بنت أمِّهِ ورأى عورتَها ورأتْ هي عورتَه فذلك عارٌ. يُقْطَعَانِ أمامَ أعْيُنِ بَني

شَعبِهما . قد كَشَفَ عورَةَ أختِه . يَحمِلُ ذَنْبَهُ) .

وفي سفر التثنيـة ٢٧/ ٢٢ : (ملعونٌ مَـنْ يَضطجعُ مَعَ أختِهِ بنـتِ أبيهِ أو بنتِ أمِّهِ) .

فلو لم يكن الزواج بالأخت في شريعـة آدم جائزاً، للزم من هذه النصوص أنْ يكـون أولاد آدم كلهم زنـاة وواجبي القتـل وملعونين، والصـواب أنـه كـان جائزاً، ثم نُسخ وحرِّم في شريعة موسى عليه السلام .

٢- جميع الحيوانات كانت حلالاً في شريعة نوح :

ففي سفـر التكوين ٩/ ٣ : (كُلُّ دَابَّـةٍ حَيَّةٍ تكونُ لكـم طعاماً كـالعُشْبِ الأخضَرِ دَفَعْتُ إليكم الجميعَ) .

فجميع الحيوانات في شريعة نوحٍ عليه السلام كانت حلالاً كالبقولات، ونَسخت شريعـةُ موسـى حِلّيَّةَ بعضهـا فصـارت حرامـاً، كما في سفر الأحبـار (الـلاويين) ١١/ ٤-٨، وسفر التثنيـة ١٤/ ٧-٨، وفيما يلي نصّ فقرتيْ سفـر التثنية : (٧) إلاّ هـذهِ فلا تأكلوهـا ممّا يجْترُّ وممـا يَشُقُّ الظِلْفَ المنْقَسِمَ . الجَمَلُ والأرْنَبُ والْـوَبْرُ لأنّها تَجْتَرُّ لكنّهـا لا تَشُقُّ ظِلْفاً فَهِيَ نَجِسَـةٌ لكمْ(٨) والخِنْـزِيرُ لأنَّـهُ يَشُقُّ الظِّلْفَ لكنَّـه لا يَجْتَرُّ فَهُـوَ نَجِسٌ لكـمْ . فمِنْ لـحْمِها لا تأكُلـوا وجُثَثَها لا تَلْمِسُوا) .

٣- الجمْعُ بين الأختين كان جـائزاً في شريعة يعقوب عليه السـلام، وقد جمع يعقوب بين الأختين (لَيْئَـة وراحيل) كما في سفر التكـوين ٢٩/ ١٥-٣٥، ثمّ نَسخـت شريعـةُ مـوسى عليـه السـلام حِلّيتَـه، وصـار الجمع بين الأختين حرامـاً، ففي سفر الأحبار (الـلاويين) ١٨/ ١٨ : (ولا تَأْخُذِ امـرأةً على أخْتِها

لِلضِّرِّ لِتَكْشِفَ عَوْرَتَها مَعَها في حياتِها) .

فلو لم يكن هـذا الجمع بين الأختين جائزاً في شريعة يعقوب يلـزم منه أنْ يكون أولاده أولاد الزنا والعياذ بالله، وأكثر أنبياء بني إسرائيل من ذرية أولاده .

٤- الزواج بالمطلَّقة : في شريعة موسى عليه السلام يجوز أنْ يطلق الرجل امرأتَه لأيّ سبب، وبعد خروجها من بيته يجوز لأيّ رجل آخر أنْ يتزوجها، كما ورد في سفر التثنية ٢٤/ ١-٤، وفي شريعة عيسى عليه السلام لا يجوز الطلاق إلّا بسبب الزنـا، ولا يجوز لرجل آخر أنْ يتـزوج هذه المطلَّقة، والزواج بـالمطلَّقة بمنـزلة الـزنـا، ففي إنجيل متّـى ٥/ ٣١-٣٢ : (٣١) وقِيلَ مَنْ طلَّق امـرأتَـهُ فَلْيُعْطِها كِتـابَ طَلاقٍ (٣٢) وأمّـا أنا فـأقولُ لكم إنّ مَنْ طَلَّـقَ امرأتَـهُ إلاّ لِعِلَّةِ الزِّنَى يَجْعَلُها تَزْني . ومَنْ يَتَزَوّجُ مطلَّقةً فإنّه يَزْني) .

وفي إنجيل متّى ١٩/ ٨-٩ جـواب عيسى للفرّيسيّين : (٨) قـال لهم إنّ موسى مِنْ أجْلِ قَسَاوَةِ قلوبِكُمْ أذِنَ لكـم أنْ تُطلِّقُوا نِساءكم . ولكنْ من البَدْءِ لم يكنْ هكذا (٩) وأقولُ لكم إنّ مَنْ طَلَّقَ امرأتـه إلاّ بِسَبَبِ الزّنا وتزوّجَ بأخرى يَزْني . والذي يَتَزَوَّجُ بمطلَّقَةٍ يَزني) .

فثبت مـن هـذا النصّ أنّ النسْخ وقـع مـرتين، ويفهم ذلـك من الفقـرة الثامنة، أيْ كان الطلاق قبل موسى حراماً، ثم نُسخت حرمته وأبيح في شريعة موسـى، ثم نُسختْ الإباحـة وصار حـراماً في شريعة عيسـى، بل هو بمنـزلة الزنا .

٥- نسْخ جميع أحكام التوراة :

توراة مـوسى عليـه السلام فيها جميـع أحكام شريعـة بني إسرائيل، وكلّ

أنبيـائهم مـأمـورون بـالعمل بأحكـامهـا، ومنهـا أحكـام الحلال والحرام من الحيوانات، فيما يحلّ أكله أو يحرم منها، وعيسى عليه السلام من بني إسرائيل، وتابع لشريعة مـوسى عليه السلام، وليس بناسخ لها، فقـد ورد على لسانه كما في إنجيل متّـى ٥/ ١٧-١٨ : (١٧) لا تظنّـوا أنّي جئتُ لأنْقُضَ النّـامـوسَ أوِ الأنبياءَ . مـا جئتُ لأنْقُضَ بل لأكَمِّلَ (١٨) فإنّي الحقَّ أقـولُ لكم إلى أنْ تزولَ السماءُ والأرْضُ لا يَزولُ حَـرْفٌ واحدٌ أوْ نُقْطَةٌ واحـدةٌ من النّامـوسِ حتى يَكُونَ الكُلُّ) .

وقد تمسّك الدكتور القسيس فندر بهاتين ا لفقرتين في الصفحة (٢٤) من كتابه (ميـزان الحق) على أنّ أحكام التوراة لا تُنْسَخ، ونفى أنْ يكـون المسيح قد نسخ شيئاً من أحكام التوراة؛ لأنه ما جاء لينقضها بل ليكمّلها .

ولكن جميع المحرمات في التوراة أصبحت حلالاً بفتوى بولس، ولا يوجد في شريعته شيء حـرام إلاّ للنجسين، فالأشياء الطاهـرة هي للنجسين نجسة، والأشيـاء النجسة هي للطـاهرين طـاهرة، وهـذه من أعجب الفتـاوى، ففي رسالة بولس إلى أهل روميـة ١٤/ ١٤ : (إني عالِمٌ ومُتيَقِّنٌ في الربِّ يَسُوعَ أنْ ليسَ شيءٌ نَجِساً بذاتِهِ إلاّ مَنْ يَحْسِبُ شَيْئاً نَجِساً فله هُوَ نَجِسٌ) .

وفي رسالـة بولس إلى تِيطُسَ ١/ ١٥ : (كُلُّ شيءٍ طـاهِرٌ للطّاهِـرِينَ وأمّا لِلنَّجِسِينَ وغَيرِ المؤمنينَ فليـسَ شيءٌ طـاهــراً بـل قَــدْ تَنَجَّسَ ذِهْنُهُـمْ أيضـاً وضميرُهم) .

ويُفهم مـن النصين السابقين أنّ مـوسـى وسـائر أنبياء بنـي إسرائيل إلى عيسى عليهم السلام وأتباعهم لم يكونوا طاهرين، فلم تحصل لهم هذه الإباحة

العـامّة لجميـع المحرمـات، ولم يستطع عيسـى عليه السـلام أنْ ينسخ شريعـة موسى، ولمّا كان أتباع بولس طاهـرين حصلت لهم هذه الإباحة العامة لجميع المحرمات والمطعومات النجسة، وصار كل شيء طاهراً وحلالاً لهم، واستطاع رئيسهم بـولس أنْ ينسخ شريعة مـوسى كلها، واجتهـد كثيراً في إشاعـة حكم الإباحـة العامّة، وفي إقناع أتبـاعه بأنّ أحكام التـوراة كلها صارت منسـوخة، ولـذلك كتب إلى تيمـوثاوس في رسـالتـه الأولى ١/ ١-٧: (١) إنّه في الأزمنـة الأخيرةِ يَرْتدُّ قوْمٌ عن الإيمانِ تابِعينَ أرواحـاً مُضِلَّةً وتعاليمَ شياطينَ (٣) وآمِرينَ أنْ يُمتنَعَ عن أطْعِمَـةٍ قد خَلَقها اللهُ لِتُتَنَـاوَلَ بالشّكْرِ مـن المؤمنينَ وعَارِفي الحقِّ (٤) لأنَّ كُلَّ خَليقَـةِ اللهِ جيّـدةٌ ولا يُرْفَـضُ شيءٌ إذا أخِذَ مَـعَ الشّكْرِ (٥) لأنّـهُ يُقَـدَّسُ بِكَلِمَةِ اللهِ والصَّـلاةِ (٦) إنْ فَكّرْتَ الإخْـوَةَ بهذا تَكُونُ خـادماً صـالحاً ليسـوعَ المسيحِ مُتَرَبّيـاً بكـلامِ الإيمانِ والتعليمِ الحسَنِ الـذي تَتَبَّعْتَـهُ (٧) وأمّـا الخُرافاتُ الدَّنِسَةُ العَجائِزيَّةُ فارْفُضْها).

٦- نسْخ الأعياد الإسرائيلية والسبت:

وردت أحكـام الأعيـاد والسبـت مفصّلـة في سفـر الأحبـار (الـلاويين) ٢٣/ ١-٤٤، وورد في الفقرات ١٤ و٢١ و٣١ و٤١ أنها فريضة دَهريّة في جميع أجيال بني إسرائيل وفي جميع مساكنهم.

وكان تعظيم السبـت حكْماً أبديّاً في شريعـة موسى، وكلُّ من عمـل فيه عمـلاً يُقتل، وتكرر تعظيم السبـت في مواضع مـن كتب العهد العتيق منهـا: سفر التكوين ٢/ ٢-٣، وسفر الخروج ٢٠/ ٨-١١، و٢٣/ ١٢، و ٣٤/ ٢١، وسفـر الأحبـار (اللاويين) ١٩/ ٣، و ٢٣/ ٣، وسفـر التثنيـة ٥/ ١٢-١٥،

وسفـر إرميـا ١٧/ ١٩-٢٧، وسفـر إشعيـاء ٥٦/ ١-٨ ، و ٥٨/ ١٣-١٤ ، وسفر نحميا ٩/ ١٤ ، وسفر حزقيال ٢٠/ ١٢-٢٤ .

وأمّـا قتـل كل مـن عمـل عمـلاً يـوم السبت فقـد ورد في سفـر الخروج ٣١/ ١٢-١٧ ، و ٣٥/ ١-٣ ، وفي زمـان موسـى عليـه السـلام وجدوا رجـلاً يحتطب يوم السبـت فأخرجوه خارج المَحَلّـة ورجموه بالحجارة فمات، كما ورد في سفر العدد ١٥/ ٣٢-٣٦ .

وقد نسخ بولس جميع أحكام الأعياد بما فيها حكم تعظيم السبت، فقال في رسالته إلى أهـل كولوسّي ٢/ ١٦ : (فلا يَحكُمْ عليكُـمْ أحدٌ في أكْلٍ أوْ شُربٍ أوْ مِنْ جِهَةِ عِيدٍ أوْ هِلالٍ أوْ سَبْتٍ) .

ونُقل في تفسير دوالي ورجردمينت عـن اثنين من العلماء المفسرين قولهما : كانت الأعياد في اليهود على ثلاثة أقسام : في كل سنةٍ سنة، وفي كل شهرٍ شهر، وفي كل أسبـوعٍ أسبوع، فنُسِختْ هـذه الأعياد كلّهـا، بل ونُسِخ يـوم السبت أيضاً، وأقيم سبتُ النصارى مقامه، أيْ يوم الأحد بدل يوم السبت .

٧- نسْخ حكم الختان :

حُكـم الختان كـان في شريعة إبـراهيم عليـه السلام حُكْماً أبـديّاً كما هـو مصرّح به في سفر التكوين ١٧/ ٩-١٤ ، وأكتفي بنقل بعض الفقرات :

(١٢) ابنَ ثمانيةِ أيّـام يُخْتَنُ منكم كُلُّ ذَكَرٍ في أجْيالكـم (١٣) فَيكُونُ عَهْدِي في لحْمِكُمْ عَهْداً أبديّاً) .

وبقي هذا الحكم مستمراً في أولاد إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، وبقي كذلـك في شريعة موسى عليـه السلام، ففي سفر الأحبـار (اللاّويين) ١٢/ ٣ بخصوص المولود الذكَر: (وفي اليومِ الثامِنِ يُخْتَنُ لحْمُ غُرْلَتِهِ) .

وقد خُتن عيسى عليه السلام، ففي إنجيل لوقا ٢/ ٢١ : (ولمّا تَمَّتْ ثَمانيةُ أيّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ).

وفي عبادة النصارى إلى هذا الحين صلاة معيّنة يؤدونها في يوم ختان عيسى تذكرة لهذا اليوم، وبقي حكم الختان في عهده عليه السلام ولم ينسخه، ولكن بولس شدّد تشديداً بليغاً في نسخ هذا الحكم كما يظهر من رسالته إلى أهل رومية ٢/ ٢٥-٢٩، ورسالته إلى أهل غلاطيّة ٢/ ٣-٥، و ٥/ ١-٦، و٦/ ١١-١٦، ورسالته إلى أهل فيلبّي ٣/ ٣، ورسالته إلى أهل كولوسّي ٢/ ١١، وأكتفي بنقل فقرتين من رسالته إلى أهل غَلاطيَّةَ ٥/ ٢ و٦ : (٢) ها أنا بُولُسُ أَقولُ لكمْ إنّه إنِ اخْتَتَنْتُمْ لا يَنْفَعُكُمُ المسيحُ شيئاً(٦) لأنَّهُ في المسيحِ يَسُوعَ لا الخِتانُ يَنْفَعُ شَيْئاً ولا الغُرْلَةُ).

والنصارى تركوا هذا الحكم الذي هو حكم أبديّ ولم ينقضه عيسى عليه السلام، وصدّقوا أنّ بولس نسخه لهم.

٨ - قِيمة التوراة في نظر بولس :

ورد قول بولس في الرسالة إلى العبرانيين ٧/ ١٨ : (فإنَّهُ يَصِيرُ إِبْطالُ الوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِها وَعَدمِ نَفْعِها).

ونصّ هذه الفقرة في طبعتيْ سنة ١٨٢٥م و١٨٢٦م كما يلي : (لأنَّ نَسْخَ ما تَقَدَّمَ مِنَ الحُكْمِ قَدْ عَرَضَ لِما فيهِ مِنَ الضَّعْفِ وعَدَمِ الفائدة).

ونصّ هذه الفقرة أيضاً في طبعات سنة ١٦٧١م و١٨٢٣م و١٨٤٤م كما يلي : (وإنما كان رَذَالةُ الوصِيَّةِ الأولى لِضَعْفها وأنّهُ لم يكنْ فيها مَنْفَعَة).

ونصّها في طبعة سنة ١٨٨٢م كما يلي : (إذنْ نَرفُض الوصيّة السابقة لِضَعْفِها

وعدمِ نفعِها).

وفي الـرسالـة العبرانية ٨/ ٧و١٣ : (٧) فإنّـهُ لـو كانَ ذلكَ الأوَّلُ بـلا عَيْبٍ لَـمَـا طُلِـبَ موضِعٌ لثانٍ فإذْ قال جـديداً عَتَّقَ الأوَّلَ. وأمّا ما عَتَـقَ وشَاخَ فَهُوَ قريبٌ من الاضْمِحْلالِ).

ونصّ هـاتين الفقرتين في طبعتيْ سنـة ١٨٢٣م و١٨٤٤م كما يلي : (٧) ولو أنّ الأوّلَ كان بلا لومٍ لم يُطلَبْ للثاني موضع (١٣) وإذا قال جديداً فعتَّق الأول والذي عتق وشاخ فهو قريب من الفساد).

ونصّها في طبعتيْ سنـة ١٨٢٥م و١٨٢٦م كما يلي : (٧) فلـو كـان العهـد الأول غير معترَضٍ عليه لم يوجد للثاني موضـع (١٣) فبقوله عهداً جديداً صَيَّرَ الأوّلَ عتيقاً والشيء العتيق والبالي قريب من الفناء).

وفي الرسالة إلى العبرانيين ١٠/ ٩ : (يَنْزِعُ الأوّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ الثّاني).

ونص هذه الفقرة في طبعتيْ سنة ١٨٢٥م و١٨٢٦م كما يلي : (فأَنسخُ الأوّلَ حتى يثبت الثاني).

ففي الفقـرات السابقة أطلـق بولسُ على التـوراة أنها ضعيفةٌ وعديمـةُ النفعِ وعـديمةُ الفـائدةِ ورذيلـةٌ ومعابـةٌ وعتيقـةٌ وشاخـتْ وقريبـةٌ من الاضمحـلال ومرفـوضةٌ وملومةٌ وقَـريبةٌ من الفساد ومُعْتَرَضٌ عليهـا وباليةٌ وقريبـة من الفناء ومنزوعةٌ ومنسوخةٌ.

نُقل في تفسير دوالي ورجـردمينت قول بـايل : هذا ظـاهر جـدّاً أنّ الله تعالى يريد أنْ ينسخ العتيق الأنقص بالرسالةِ الجديدةِ الحسنى، فلذلك يُرفع المذهب الرسـومي اليهودي ويقـوم المذهب النصراني مقامه، وفيـه إشعار بكـون ذبائح

اليهود غير كافيـة، ولذا تحمّل المسيح على نفسـه الموت ليَجْبُر نقصانها، ونُسخ بفعل أحدهما استعمال الآخر.

فظهر من الأمثلة السابقة مايلي:

١ - أنّ وجـود بعـض الأحـكام المنسوخـة في شرائع سابقة والأحكام الناسخـة في شرائـع لاحقـة ليـس مختـصاً بشريعــة الإسلام، بل وُجِـد في الشرائع السابقة أيضاً.

٢ - أنّ جميـع أحكام التوراة العمليـة أبدية كانت أو غير أبديـة وجميع الفرائض والمحرمـات نسخها بولــس حسب ما ورد في رسـائله، وجعـل أتباعه غير مطالَبين بها.

٣ - أنّ لفظ النّسْخ أيضـاً وُجد في كلام بولـس بالنسبة إلى التوراة وأحكـامها، وورد في كلام المفسّرين والمحققين منهم.

٤ - أنّ بولس ادّعى أنّ الشيء العتيق البالي قـريب من الفناء والفساد وضعيف وعديـم النفع وعـديم الفائدة ورذيـل ومعاب ومضمحـل ومرفـوض وملوم ومعترض عليـه ومنزوع ومنسـوخ، إذن لا استبعـاد في نسـخ شريعة أهـل الكتاب بشريعة الإسلام، بل هذا الأمر ضروري على وفق كلام بولس؛ لأنّ شريعة أهل الكتاب تعدّ قديمة بـالنسبة إلى شريعة الإسلام الجديدة، كيف لا يكون ذلك ضروريّـاً ورسولهم بولس والمفسّرون أطلقوا على التـوراة ألفاظاً غير ملائمة، مع أنهم يقولون إنها كلام الله؟!

إذن نسْخُ أحكـام التوراة والإنجيل بأحكـام القرآن أمرٌ لاشك فيـه، وثبت نظائره فيمن سبقنـا، وإذا نُسِخت أحكامهما نُسِخ العمل بهما بالعمـل بالقرآن

الكريم.

وفيما يلي إيراد أمثلة أخرى على وجود الحكْم الناسخ والمنسوخ في شريعة النبي نفسه، أيْ في الشريعة الواحدة، وبعض هذه الأمثلة يكون إيرادها من قبيل الإلزام أيضاً:

١ - نسْخ الأمر بالذبح:

ورد في سفر التكوين ٢٢/ ١-١٤ أنّ الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسحاق عليه السلام (والصواب أنه إسماعيل عليه السلام)، فلما استجابا للأمر نسخ الله تعالى هذا الحكم قبل العمل به، وفدى الذبيح بكبش من السماء.

٢ - أُمِر حَزْقِيال ثم نُسخ الأمر قبل العمل به:

ففي سفر حَزْقِيال ٤/ ١٠و١٢و١٤و١٥: (١٠) وطَعَامُكَ الذي تأْكُلُهُ يَكونُ بالوَزْنِ. كُلَّ يَوْمٍ عِشْرِينَ شاقِلاً. مِنْ وَقْتٍ إلى وَقْتٍ تأْكُلُهُ (١٢) وتأْكُلُ كَعْكاً مِنَ الشَّعِيرِ. على الخُرْءِ الذي يَخْرُجُ مِن الإنسانِ تَخْبِزُهُ أَمَامَ عُيونِهِمْ (١٤) فقُلْتُ آهِ ياسيّدُ الربُّ ها نَفْسِي لَمْ تَتَنَجَّسْ ومِنْ صِبَايَ إلى الآنَ لَمْ آكُلْ مَيْتَةً أوْ فَرِيسَةً ولا دَخَلَ فَمِي لَحْمٌ نَجِسٌ (١٥) فقالَ لي انْظُرْ. قدْ جَعَلْتُ لكَ خِثْيَ البَقَرِ بَدَلَ خُرْءِ الإنسانِ فَتَصْنَعُ خُبْزَكَ عليهِ).

يظهر من هذا النص أنّ الله تعالى أمَرَ حزقيال أنْ يكون الخبز مخبوزاً على رجيع الناس، فلما استغاث حزقيال عليه السلام نسخ الله تعالى هذا الحكم قبل العمل به، وأمر أنْ يكون الخبز مخبوزاً على زبل البقر.

٣ - نسْخ الأمر بالذبح في المذبح المخصص:

ورد في سفر الأحبار (اللاويين) ١٧/ ١-٦ أنّ الله تعالى أمر موسى وبني إسرائيل أنْ تُذبح الذبائح التي تكون من البقر أو الغنم أو المعز في المذبح المخصص لذلك القريب من خيمة الاجتماع -وتسمّى (قبة الزمان) (قبة العهد) (قبة الشهادة)- لتكون الذبائح قرباناً للربّ، والإنسان الذي يَذبح خارج المذبح المخصص يُهلك من شعبه، أيْ يُقتل.

ثم نُسخ هذا الحكم بما في سفر التثنية ١٢/ ١٥-٢٢، وصار يجوز لهم الذبح في كل مكان وعدم الاقتصار على المذبح المخصص، قال هورن في تفسيره بعد أنْ نقل الفقرات المشار إليها من سفر الأحبار وسفر التثنية: في هذين الموضعين تناقض في الظاهر، لكنْ إذا لوحظ أنّ الشريعة الموسوية كانت تزاد وتنقص على وفق حال بني إسرائيل، وكانت قابلة للتبديل، فالتوجيه في غاية السهولة، فقد نسخ موسى في السنة الأربعين من التيه قبل دخولهم فلسطين حكم سفر الأحبار بحكم سفر التثنية نسخاً صريحاً، فيجوز لهم بعد دخول فلسطين أنْ يذبحوا البقر والغنم والمعز في أيِّ موضع شاؤوا ويأكلوا.

فاعترف بوقوع النسْخ في شريعة موسى، وأنها كانت تزاد وتنقص على وفق حال بني إسرائيل، فالعجب أنّ أهل الكتاب يعترضون على وقوع النسْخ والزيادة والنقصان في شريعة أخرى، ويقولون: إنّ النسْخ مستلزم لجهل الله، ولكن هذا المحذور لا يلزم من النسْخ الذي يقول به المسلمون، والذي هو حقٌّ لله وحده، وإنما يلزم من عقيدة البَدَاء التي يصرّحون بها في كتبهم، وصرّح بها بولس في رسائله أيضاً.

٤ - الحكْم في عمْر اللاويّ (الحبر) المخصص للخدمة:

ورد في سفر العدد ٤/ ٣و٢٣و٣٠و٣٥و٣٩و٤٣و٤٦ أنّ الحبر اللاويّ المخصص للخدمة في خيمة الاجتماع لا يكون عمره أنقص من ثلاثين سنة ولا يزيد عن خمسين: (مِن ابنِ ثلاثينَ سَنَةً فصاعِداً إلى ابنِ خمسينَ سَنَةً).

وورد في سفر العدد ٨/ ٢٤و٢٥ أنّ عمْر الحبر اللاويّ المخصص للخدمة لا يكون أنقص من خمس وعشرين سنة ولا يزيد عن خمسين: (هذا ما للاّويّين مِنِ ابنِ خمسٍ وعشرينَ سنةً فصاعداً).

فإمّا أنْ يكون هذا الفرق من التناقض والاختلاف الواقع بالتحريف، وإمّا أنْ يكون هذا الحكم الثاني ناسخاً للأول. فيجب الإقرار بأحد الأمرين.

٥ - الزيادة في عمْر حَزَقِيّا:

ورد في سفر الملوك الثاني ٢٠/ ١-٦ أنّ الله تعالى أمر النبي إشعياء بن آموص أنْ يذهب إلى حَزَقِيّا ملك مملكة يهوذا فيخبره بانتهاء أجله لكي يوصي على بيته، فأقبل الملك حَزَقِيّا بوجهه إلى الحائط وصلّى وبكى بكاءً عظيماً، فلمّا خرج النبي إشعياء نسخ الله تعالى هذا الحكم بعد تبليغه، وأوحى إليه قبل أنْ يصِل إلى وسط الدار أنْ يرجع إلى حَزَقِيّا ويقول له: إنّ الله قد سمع صلاتك، ورأى دموعك، وشفاك، وزاد في عمرك خمس عشرة سنة.

فالحكم المنسوخ والناسخ بُلِّغا بواسطة النبي إشعياء بوحي الله إليه.

٦ - الرسالة العيسوية بين الخصوص والعموم:

ورد في إنجيل متّى ١٠/ ٥-٦: (٥) هؤلاءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وأَوْصاهم قائلاً: إلى طَريقِ أُمَمٍ لا تَمْضُوا وإلى مَدِينةٍ للسّامِرِيّينَ لا تَدْخُلوا (٦) بَلِ اذْهَبُوا بالحَرِيّ إلى خِرافِ بيتِ إسْرائيلَ الضّالَّة).

وفي إنجيل متّى ١٥/ ٢٤: (فَأَجَابَ وقالَ: لَمْ أُرْسَلْ إلاّ إلى خِرافِ بَيْتِ إسْرائيلَ الضَّالَّةِ).

ففي هذين النصّين خصّص عيسى عليه السلام رسالته ببني إسرائيل.

وورد في إنجيل مرقس ١٦/ ١٥ أنّ عيسى عليه السلام قال للحواريين: (اذهَبُوا إلى العالَمِ أجْمَعَ واكْرِزُوا بالإنجيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّها).

ويزعم النصارى أنّ هذا النص دالّ على عموم الرسالة، فيكون هذا النص ناسخاً للخصوصية، وصار الحكم الأول منسوخاً. أيْ إنّ المسيح أوّلاً خصص رسالته ببني إسرائيل فقط، ثم نسخ التخصيص وأمر بدعوة العالم أجمع، فإنْ أقرّوا بالنسْخ حصل ما أردنا من إمكانية وقوع النسْخ في كتبهم وأنّ كتبهم غير ممنوعة من النسْخ، بل هو واقع فيها أيضاً، وإنْ لم يقرّوا بالنسْخ حصل ما أردنا من وجود التناقض والتحريف في أناجيلهم، والصواب أنّ عبارة إنجيل مرقس لم يقلْها المسيح عليه السلام.

وفي هذه الأمثلة كفاية، ولم يبق شكٌّ في وقوع النسْخ بكلا قسميه في كتب أهل الكتاب، وظهر أنّ ما يدّعونه من امتناع وقوع النسْخ في كتبهم باطل لا ريب فيه، ثم كيف يدّعون هذه الدعوى والحال أنّ مصالح العباد تختلف باختلاف الزمان والمكان والمكلَّفين، فبعض الأحكام يكون مقدوراً للمكلَّفين في بعض الأوقات ولا يكون مقدوراً لهم في وقت آخر، وبعض الأحكام يكون مناسباً للعِباد في زمان ولا يكون مناسباً لهم في زمان آخر، والعباد لا يعلمون مصلحتهم الحقيقية أين تقع، ولكن الله الذي خلقهم هو أعلم بها منهم، وبناءً عليه فلا يجوز لأهل الكتاب بتأويلاتهم الفاسدة وظنونهم الكاذبة أنْ ينكروا وقوع النسْخ من جانب الله العليم الخبير.

الباب الثاني

إبطال التثليث

وهو مشتمل على مقدمة وثلاثة فصول :

المقـــــدمة : بيان أمور تفيد الناظر بصيرة في الفصول .

الفصل الأول : إبطال التثليث بالبراهين العقلية .

الفصل الثاني : إبطال التثليث بأقوال المسيح عليه السلام .

الفصل الثالث : إبطال الأدلة النقلية على ألوهية المسيح عليه السلام .

المقدمة

بيان أمورٍ تفيد الناظر بصيرة في الفصول

الأمر الأول : أنّ كتب العهد القديم ناطقة بأنّ الله واحد أحد، منزه عن الصاحبة والولد، حيّ لا يموت، قادر يفعل ما يشاء، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته. وهذا الأمر لشهرته وكثرته في تلك الكتب غير محتاج إلى نقل الشواهد.

الأمر الثاني : أنّ عبادة غير الله حرام، وحرّمتها التوراة في فقرات كثيرة، منها سفر الخروج ٢٠/ ٣ و ٤ و ٥ و ٢٣، و٣٤/ ١٤ و١٧، وسفر التثنية ١٣/ ١-١١، و١٧/ ٢-٧، وصرّحت التوراة بوجوب قتل من دعا إلى عبادة غير الله ولو كان هذا الداعي نبيّاً ذا معجزات عظيمة، وكذلك صرحت التوراة بوجوب رجم كل من عبد غير الله أو رغّب في عبادة غير الله، سواء كان هذا العابد رجلاً أو امرأةً، وسواء كان المرغِّب من الأقرباء أو الأصدقاء.

الأمر الثالث : وردت في التوراة فقرات تفيد التنزيه لله تعالى وأنه ليس له شبيه، ففي سفر التثنية ٤/ ١٢ و١٥ : (١٢) فَكَلَّمَكُمُ الربُّ مِنْ وَسَطِ النّار وأنتم سامِعونَ صَوْتَ كلامٍ ولكنْ لمْ تَرَوْا صورةً بلْ صوتاً (١٥) فاحْتَفِظوا جدّاً لأنفُسِكمْ. فإنّكم لم تَرَوْا صورةً مّا يومَ كَلَّمَكُمُ الربُّ في حُورِيبَ مِنْ وَسَطِ النّار).

ووردت في العهد الجديد فقرات تفيد أنّ رؤية الله ممتنعة في الدنيا، ففي إنجيل يوحنا ١/ ١٨ : (اللهُ لَمْ يَرَهُ أحدٌ قَطُّ) .

وفي رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٦/ ١٦ : (لَمْ يَرَهُ أَحدٌ من الناس ولا يَقْدِرُ أنْ يَراهُ) .

وفي رسالة يوحنا الأولى ٤/ ١٢ : (اللهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحدٌ قَطٌّ) .

فثبت من الفقـرات السابقة أنّ الله تعالى ليس لـه شبيه، وأنّ رؤية الله في الدنيا غير واقعة، وأنّ من كان مرئيّاً لا يكون إلهاً قَطّ ولو أُطلق عليه في كلام الله أو الأنبيـاء أو الحواريين لفظ (الله) أو (ربّ)؛ لأنّـه لا يجوز الأخـذ بالفقـرات المخالفة للبرهـان العقلي وترك الفقرات السابقـة التي مضمونها مطابـق للبرهان العقلي، فقد ورد في مواضع غير محصورة من كتـب العهدين إطلاق لفظ (إله) على المَلَك وعلى مـوسى وعلى قضـاة بني إسرائيل وعلى الإنسـان الكامـل، بل وعلى آحاد الناس وعلى الشيطان الرجيـم، وذلك لأنه يكون لإطـلاق مثل هذا اللفظ على غير الله تعـالى وجه منـاسب لكـل محل، ويدلّ سَـوْق الكلام على ذلك الـوجه بحيث لا يشتبـه على الناظر في بـادي الرأي، فلا يجوز لعـاقل أنْ يستدلّ بإطلاق هذا اللفظ على بعـض بني آدم أنه إله أو ابن الله، وينبذ وراءه جميع البراهين العقلية القطعية وكذلك البراهين النقلية الصحيحة .

الأمر الرابع : عقيدة التثليـث لم يأت بها نبـيٌّ من الأنبيـاء، ولا نزلـتْ في كتاب من الكتب السماوية، وعـدم ورودها في التوراة غير محتاج إلى بيان؛ لأنّ من طالع التوراة الحالية لا يجد فيهـا ذِكراً صريحاً ولا إشارة أو تلميحاً لهذا الأمر، وعلماء اليهود من عهـد موسى عليه السـلام إلى هذا الزمان لا يعترفـون بعقيدة التثليث، ولا يرضون بنسبتها إلى كتبهم، فلو كانت عقيدة التثليث حقّاً لوجب على موسى وسائر أنبياء بني إسرائيل -وآخرهم عيسى عليه السلام- أنْ يبيّنوها حقّ التبيين، فقـد كانـوا مأموريـن بالعمل بجميـع أحكام التـوراة في الشريعة والعقيدة، وأهل التثليث يعتقدون أنّ عقيدتهم هذه هي مدار النجاة ولا يمكن نجاة أحد بـدونها نبيّاً كان أو غير نبيّ، فكيـف فارق أنبياءُ بني إسرائيـل كلهم الدنيا دون أنْ يبيّنوا هـذه العقيدة بياناً واضحاً وصريحاً؟! وهم في نفـس الوقت بيّنوا أموراً وأحكاماً أقلَّ أهميّة مـن هذه العقيدة، وكرّروا البيان لبعض الأحكام مرّة بعد أخرى، وأكّـدوا على المحافظة عليها والعمل بها تأكيـداً بليغاً، وأوجبوا

القتل على تارك بعضها، فالعجب كل العجب أنّ عيسى عليه السلام الذي هو خاتم أنبياء بني إسرائيل والذي هو أحد أركان الثالوث عند النصارى عرج إلى السماء دون أنْ يبين لأتباعه هذه العقيدة بكلام واضح غير محتاج إلى التأويل، كأنْ يقول مثلاً: إنّ الله ثلاثة أقانيم: الآب والابن والروح القدس، وإنّ أقنوم الابن -الإله الثاني- متعلق بي بالعلاقة الفلانية، أو بعلاقة فهمها خارج عن إدراك عقولكم، أو أنْ يقول أيَّ كلام آخر صريح في بيان هذه العقيدة.

والصواب أنّ أهل التثليث ليس في أيديهم أيُّ دليل على عقيدتهم، وأنهم يأتون بتأويلات بعيدة لأقوال ظاهرة لا تحتمل التأويل.

وإنّ صاحب كتاب (ميزان الحق) الدكتور القسيس فندر سأل سؤالاً في كتابه المسمى (مفتاح الأسرار) وهو: لِمَ لَمْ يبينْ المسيحُ ألوهيته ببيان واضح؟ ولِمَ لَمْ يقل باختصار: إني أنا الله؟ ثم أجاب نفسه على هذا السؤال بقوله: إنّه ما كان أحد يقْدر على فهم هذه العلاقة والوحدانية قبل قيامه من الأموات وعروجه إلى السماء، فلو قال صراحة: إني أنا الله، لفهموا أنّه إله بحسب الجسم الإنساني، وهذا باطل، وهناك أمور كثيرة قال في حقها لتلاميذه كما في إنجيل يوحنا ١٦ / ١٢: (إنَّ لي أُموراً كثيرةً أيضاً لأقولَ لكمْ ولكنْ لا تَسْتَطيعونَ أنْ تَحْتَمِلوا الآن). ولذلك فإنّ علماء اليهود أرادوا مراراً أنْ يأخذوه ويرجموه، وهو ما كان يبين لهم ألوهيته بين أيديهم إلاّ على طريق الألغاز.

ففي الردّ على جواب الدكتور فندر نقول أولاً: إنّ هذا جواب ضعيف غاية الضعف؛ لأنّ زعمه عدم قدرة أحدٍ أنْ يفهم عقيدة التثليث وعقيدة ألوهية المسيح قبل قيامه وعروجه فلأنّ بإمكان المسيح أنْ يقول لأتباعه ولليهود: إنّ علاقة الاتحاد التي بين جسمي وبين الأقنوم الثاني (أقنوم الابن) فهمها خارج عن وسعكم، فاتركوا البحث فيها واعتقدوا بأني إله، وأني لست إلهاً باعتبار الجسم بل بعلاقة الاتحاد التي فهمها خارج عن إدراك عقولكم.

ولكن العجب أيضاً أنّ عدم القدرة على فهم عـلاقة الاتحاد المذكور باقية بعد عروج المسيح أيضاً، وإلى الآن لا يستطيع عالم من علماء النصارى أنْ يبين كيفية هذه العلاقة، وكتبهم مليئة بالاعترافات في عدة مواضع أنّ هذا الأمر من الأسرار الخارجة عن إدراك العقل، ومن أراد التأكد فليرجع إلى قاموس الكتاب المقـدس الذي اشترك في تأليفـه أكثر مـن عشرين عالماً لاهـوتيًّـا من علمائهم، ولينظر بنفسه كيف تخبطوا تخبطاً واضحاً في شرح كلمة: تثليث.

ونقول ثانياً: لماذا خاف المسيحُ من اليهود فلم يبين لهم ألوهيّته إلاّ بطريق الألغاز؟! وأنتم تزعمـون أنّ المسيح ما جاء إلاّ ليكون كفارة لـذنوب الخلق بأنْ يصلبه اليهود، وأنه كان يعلم يقيناً أنهم يصلبونه، فأيُّ محلٍّ للخوف من اليهود في بيـان هذه العقيـدة الضروريـة للنجـاة؟! وكيف يخاف الإلـه العظيم خـالق السماوات والأرضين من أذلّ أقـوام الـدنيا والحال أنّ بعـض الأنبياء بيّنـوا الحقَّ لبنـي إسرائيل دون خــوف منهم، فـأوذي بعضهم إيــذاءً شــديـداً، وقُتـل بعضهم؟!

ثم إنّ المسيـح عليـه السـلام شـدّد في الإنكـــار على الكتبـة والفـرّيسيين ووصفهم بأنهم مراؤون وقـادة عميان وجهّال وحيّات وأفاعٍ، وأظهـر قبائحهم على رؤوس الأشهـــاد حتى شكـــا بعضهـم بـأنـك تشتمنـــا (إنجيـل متّـى ٢٣/ ١٣-٣٧، وإنجيل لوقا ١١/ ٣٧-٥٤)، فالمسيح الذي بيّن لعلماء اليهود بعضَ مخالفاتهم وعنّفهم عليهـا تعنيفاً شديداً، ووصفَهم بأوصـافٍ قاسية دون خوف منهم، كيـف يظنُّ به أنْ يحمله الخوف منهم على أنْ يترك بيـان العقيدة الضروريـة للنجاة؟! حـاشـا وكلاّ أنْ يكـون جنـابه الشريف عنـد هـذا الظن الفاسد.

الفصل الأول
إبطال التثليث بالبرهان العقلي

النصارى يعتقدون أنّ التثليث حقيقيّ والتوحيد حقيقيّ، ولكنْ إذا وُجد التثليث الحقيقي وُجدت الكثرة الحقيقية أيضاً، وإذا ثبت التثليث والكثرة الحقيقيان انتفى التوحيد الحقيقي ولا يمكن ثبوته، وإلاّ يلزم اجتماع الضدّيْن الحقيقيين، وهو محال، ويلزم تعدد واجبي الوجود، وهو محال أيضاً، فالقائل بالتثليث لا يمكن أنْ يكون موحّداً لله توحيداً حقيقيّاً ؛ لأنّ الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح وليس هو مجموع آحاد، أمّا الثلاثة فلها ثُلُث صحيح هو واحد، وهي مجموع آحاد ثلاثة، فالواحد الحقيقي جزء الثلاثة، فلو اجتمعا في محل واحد يلزم منه كون الجزء كُلاًّ والكلّ جزءاً، ويلزم منه أيضاً كون الواحد ثلث نفسه وهو ثلاثة أمثال الثلاثة، والثلاثة ثلث الواحد وهي ثلاثة أمثال نفسها. وكلها لوازم يرفضها العقل بالبداهة.

وبناء على ذلك فإنّ التثليث الحقيقي ممتنع في ذات الله تعالى، فلو وجد قول في كتب النصارى يدلّ على التثليث بحسب الظاهر فيجب تأويله ليطابق العقل والنقل، فإنّ العقل والنقل يدلاّن على امتناع التثليث في ذات الله تعالى.

وقد قام جرجيس صال (سيل) بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنكليزية وطبعت هذه الترجمة سنة ١٨٣٦م، وكان قد وصّى قومه بوصايا منها قوله: لا تعلّموا المسلمين المسائل التي هي مخالفة للعقل؛ لأنهم ليسوا حمقى حتى نغلب عليهم في هذه المسائل، كعبادة الصنم والعشاء الرباني؛

لأنهم يَعْثرون كثيراً من هـذه المسائل، وكلّ كنيسة فيها هـذه المسائل لا تقْدر أنْ تجذبهم إليها.

فـانظر كيـف اعترف هذا القسيس بـأنّ في دينه مسـائل مخالفـة للعقل، والصواب أنّ أهل الـدين الذي فيه مثل هـذه المسائل مشركون يقيناً، وقـد قال علماء الإسلام: لا نرى مذهباً في الدنيا أشدّ ركاكة وبُعداً عن العقل من مذهب النصارى، ولا نرى في الدنيا مقالة أشدّ فساداً وأظهر بطلاناً من مقالتهم.

الفصل الثاني

إبطال التثليث بأقوال المسيح عليه السلام

القول الأول : ورد في إنجيل يوحنا ١٧ / ٣ قول عيسى عليه السلام مخاطباً الله تعالى : (وهـذه هي الحيـاةُ الابدِيّـةُ أنْ يَعْرفـوكَ أنتَ الإلـهَ الحقيقيَّ وحْـدَكَ ويسوعَ المسيحَ الذي أَرْسَلْتَهُ) .

فقد بيّن عيسـى عليه السلام أنّ الحيـاة الأبديـة تُنال بالإيمان بتـوحيد الله تعالى وبرسالـة رسوله عيسى ، ولم يقل : إنّ الحياة الأبديـة تُنال بالإيمان بتثليث الأقانيم الإلهية ، ولا بـالإيمان بأنّ عيسى إله وابن الله ، ولمّا كان قـول عيسى هنا في خطاب الله تعالى فلا احتمال هنا لخوفه مـن اليهود ، فلو كان اعتقاد التثليث وألوهيـة عيسى مدار النجاة لبيّنـه ، ولكن مدار النجـاة والحياة الأبدية بـاعتقاد التوحيـد الحقيقي لله وبأنّ المسيـح رسولـه ، والاعتقاد بعكس ذلـك هو الهلاك الأبديّ والضلال المبين ؛ لأنّ كـون الله واحداً ضدٌّ لكونه ثلاثـة ، وكون المسيح رسولاً ضدّ لكونه إلهاً ، والمرسِل غير الرسول المرسَل .

القول الثاني : ورد في إنجيل مـرقس ١٢/ ٢٨-٣٤ : (٢٨) فجـاءَ واحدٌ من الكتبَةِ وسَمِعهم يتحـاورونَ فلمّا رأى أنّه أَجابهم حَسَناً سأَلَه أَيّـةُ وصيّةٍ هي أوّلُ الكلِّ (٢٩) فأجابه يسوعُ إنّ أوّلَ كلِّ الوصايا هي اسمعْ يا إسرائيلُ . الربُّ إلهُنا ربٌّ واحـدٌ (٣٠) وتحبُّ الربَّ إلهَكَ من كلِّ قلْبِـكَ ومن كلِّ نفسِـكَ ومن كلِّ فِكْرِكَ ومـن كلِّ قُدْرتِكَ . هذه هـي الوصيةُ الأُولى(٣١) وثانيـةٌ مثْلُها هي

تحبُّ قـرِيبَك كَنَفْسِكَ. ليـسَ وصيّةٌ أُخـرى أَعظمَ مـن هاتيْن(٣٢) فقـال لـه الكاتبُ جيّداً يا معلّمُ بالحقِ قلتَ لأنّـهُ الله واحدٌ وليسَ آخَرُ سِواهُ(٣٣) وَمَحبَّتُهُ مِنْ كلِّ القلبِ ومِنْ كلِّ الفَهْمِ ومنْ كلِّ النفْسِ ومنْ كـلِّ القُدْرةِ ومَحبَّةُ القريبِ كالنَّفْسِ هي أَفْضَلُ مِنْ جميعِ المُحْرَقاتِ والذبائحِ(٣٤) فلمّا رآهُ يَسوعُ أنّه أَجَابَ بعقْلٍ قال له لسْتَ بعيداً عن مَلكُوتِ الله).

وهذه الفقرات وردت في إنجيل متّى ٢٢/ ٣٤-٤٠، وأكتفي بنقل الفقرة (٤٠) وهي قول عيسى عليـه السلام: (بهاتيْن الوصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النامـوسُ كلُّهُ والأنبياءُ).

فقد أكّدت الفقرات السابقة على أنّ أول الوصايا الموصى بها في التوراة وفي سائر كتب الأنبيـاء والتى هي مدار النجـاة الاعتقاد بأنّ الله واحـد لا إله غيره، ولو كان اعتقاد التثليث وألوهية المسيح حقّاً لكان مبيَّناً في التوراة وفي جميع كتب الأنبياء، ولقال عيسى في جواب السائل: إنّ أول الوصايا هي الاعتقاد بأنّ الله واحد ذو أقـانيم ثلاثة، وأني الإله الثـاني وابن الله، وبما أنّ عيسى لم يقل ذلك ولم تَرِدْ إشارةٌ لـه لا في التوراة ولا في كتب الأنبياء ثبت أنّ النجاة تكـون باعتقاد التوحيد الحقيقي لله المناقض لاعتقاد التثليث ولاعتقاد الشريك والولد.

وكتب العهد القديم مليئة بالنصوص المصرّحة بتوحيد الله تعالى، وعلى سبيل المثـال انظـر (سفـر التثنيـة ٤/ ٣٥و ٣٩، و ٦/ ٤-٥، وسفـر إشعيـاء ٤٥/ ٥-٦، و٤٦/ ٩).

القول الثالث: ورد في إنجيل مـرقس ١٣/ ٣٢: (وأمّا ذلك اليـومُ وتلكَ الساعةُ فلا يَعْلَمُ بهما أَحَدٌ ولا الملائِكةُ الذين في السّماءِ ولا الابنُ إلاّ الآبُ).

فهذا القول ينادي على بطلان التثليث وألوهية المسيح؛ لأنه عليه السلام خصص علم ساعـة القيامة بـالله وحده، ونفى عن نفسه علمهـا كما نفاه عن

عباد الله الآخرين، وسوّى بين نفسه وبينهم في عدم العلم، ولو كان إلهاً لكان يعلم وقت القيامة ولَمَا نفى عن نفسه العلم بها.

القول الرابع: ورد في إنجيل متّى ٢٧/ ٤٦و ٥٠: (٤٦) ونَحْوَ الساعةِ التاسعةِ صَرَخَ يَسُوعُ بصوتٍ عظيمٍ قائلاً إيلي إيلي لَمَا شَبَقْتَني أَيْ إلهي إلهي لماذا تَرَكْتَني (٥٠) فَصَرخَ يَسُوعُ أيضاً بصوتٍ عظيمٍ وأَسْلَمَ الروحَ).

وورد في إنجيل لوقا ٢٣/ ٤٦: (ونادَى يَسُوعُ بصوتٍ عظيمٍ وقال يا أَبَتَاهُ في يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ روحي ولمّا قال هذا أَسْلَمَ الروحَ).

وهذا القول الذي صدر عن المسيح في آخر نفَس من حياته بزعمهم ينفي ألوهيته؛ لأنه لو كان إلهاً لمَا استغاث بإله آخر، فالإله الحقيقي يمتنع عليه صفات النقص كالضعف والتعب والإعياء والصراخ والاستغاثة والعجز والموت، وهو حيٌّ قدّوس، ففي سفر إشعياء ٤٠/ ٢٨: (أَمَا عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَسْمَعْ. إلهُ الدهرِ الربُّ خالِقُ أطرافِ الأرْضِ لا يَكِلُّ ولا يَعْيَا).

ومثل فقرة سفر إشعياء فقرات كثيرة في كتب العهدين (انظر: سفر إشعياء ٤٤/ ٦، وسفر إرميا ١٠/ ١٠، وسفر حبقوق ١/ ١٢، ورسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ١/ ١٧) وكلها فقرات تدلّ على أنّ الإله الحقيقي هو إله سرمديّ حيّ قدوس لا يموت ولا إله غيره، بريء من الضعف والتعب والعجز، فهل يكون العاجز الفاني الميت إلهاً؟! لاشك أنّ الإله الحقيقي هو الذي استغاث به عيسى في هذا الوقت على زعمهم.

وهنا ألفت نظر القارىء إلى أنّ فقرة سفر حبقوق ١/ ١٢ في الطبعات القديمة كما يلي: (ياربُّ إلهي قُدُّوسي لا تموت) فوردت فيها كلمة (تموت) بتاءين، أيْ تنفي الموت عن الله تعالى، وفي الطبعات الحديثة حرّفت التاء الأولى وكتبت نون (ن)، فوردت فيها هذه الكلمة بالنون أيْ (لا نموت)،

وذلك لتأكيد قتل المسيح الـذي هو الله بزعمهم، وكلمة (لا نمـوت) بالنون لا معنى لها هنا، ولا فائدة منها في سياق هذا الموضع، فانظر كيف حملهم الدفاع عن عقيدة باطلة إلى تحريف كتابهم.

القول الخامس : ورد في إنجيل يوحنا ٢٠/ ١٧ أنّ عيسى عليه السلام قال لمريم المجـدليّة: (ولكنِ اذْهبي إلى إخـوتي وقُولي لهم إنّي أَصْعَـدُ إلى أَبي وأَبيكم وإلهي وإلهِكم).

ففي هذا القول سوّى المسيح عليه السلام بينه وبين سائر الناس في أنّ الله أبوه وأبوهم وإلهه وإلههم؛ لكيلا يتقولوا عليـه الباطل فيقولوا إنه إله وابن الله، فكما أنّ تلاميذه هم عبادُ الله وليسوا أبنـاء الله على الحقيقة بل بالمعنى المجازي، فكذلك عيسى هو عبدُالله وليـس ابن الله على الحقيقة، وكما لم يلزم من بنوّتهم لله كونهم آلهةً فكذلك لا يلزم من بنوّته لله كـونه إلهاً، ولمّا كان هذا القول صدر عن المسيح بعد قيـامه من الأموات على زعمهم أيْ قبل العـروج بقليل ثبت أنه كـان يصرّح بأنّـه عبـدُ الله وأنّ الله إلهُه وإلههم إلى آخـر لحظـة من وجـوده على الأرض، وهـــذا مطـابق لأقوال المسيح الواردة في قوله تعـــالى عنه في سورة آل عمران آية ٥١ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾، وقوله تعـالى عنه في سورة المائدة آية ٧٢ وآية ١١٧ : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾، وقوله تعالى عنه في سورة مـريم آية ٣٦ : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾، وقـوله تعـالى عنه في سـورة الزخرف آية ٦٤ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾.

فالقـول بالتثليـث وألوهية المسيـح يناقض آخـر كلمات تكلّم بها المسيحُ وودّع بها تلاميذه قبل رفعه؛ لأنه بقي إلى تلك اللحظة يدعو إلى اعتقاد توحيد الله ووجوب عبادته، واعتقاد عبودية المسيح لله ربِّه.

القول السادس : وردت في الأناجيل فقرات كثيرة يصعب حصرها صرّح

فيها المسيح عليه السلام بأنه إنسانٌ معلِّمٌ ورسولٌ نبيٌّ يوحى إليه، ومن هذه الفقرات لمن أراد الرجوع إليها ما وَرد في إنجيل متّى ١٠/ ٤٠، و ١١/ ١٩، و١٣/ ٥٧، و١٥/ ٢٤، و١٧/ ١٢و٢٢، و١٩/ ١٦، و٢١/ ١١و٤٦، و٢٣/ ٨و١٠، و٢٦/ ١٨ وما ورد في إنجيل مرقس ٩/ ٣٧و٣٨، و١٠/ ٣٥. وما ورد في إنجيل لوقا ٤/ ٤٣، و٥/ ٥، و٧/ ١٦و٣٩و٤٠، و٨/ ٢٤و٤٥، و٩/ ٣٣و٣٨و٥٦، و١٠/ ١٦، و١٢/ ١٣، و١٣/ ٣٣و٣٤، و١٧/ ١٣، و٢٣/ ٤٧، و٢٤/ ١٩. وما ورد في إنجيل يوحنا ١/ ٣٨، و٤/ ١٩و٣١و٣٤، و٥/ ٢٣و٢٤و٣٦و٣٧، و٦/ ١٤و٢٥، و٧/ ١٥ و١٦ و١٧ و١٨ و٥٢، و٨/ ١٦ و١٨ و٢٦ و٢٨ و٢٩ و٤٠ و٤٢، و٩/ ١١ و١٥ و١٧، و١١/ ٤٢، و١٢/ ٤٤ و٤٩و٥٠، و١٣/ ١٣و١٤، و١٤/ ٢٤، و١٧/ ٣ و٨ و١٨ و٢٥، و٢٠/ ١٦و٢١. وأكتفي بذكر بعضها:

ففي إنجيل متّى ١٠/ ٤٠: (مَنْ يَقْبلُكمْ يَقْبلُني ومَنْ يَقْبلُني يَقبلُ الذي أرسلني).

وفيه ١٥/ ٢٤: (فأجابَ وقال لمْ أُرْسَلْ إلاّ إلى خِرافِ بيتِ إسرائيلَ الضالّةِ).

وفيه ٢١/ ١١: (فقالتِ الجمُوعُ هذا يسوعُ النبيُّ الذي مِن ناصرةِ الجليلِ).

وفيه ٢٣/ ٨و١٠ قول المسيح لتلاميذه: (لأنّ مُعَلِّمَكُمْ واحدٌ المسيحُ).

وفي إنجيل لوقا ٤/ ٤٣: (فقال لهم إنّهُ ينبغي لي أنْ أُبَشِّرَ المدُنَ الأخَرَ أيضاً بمَلكُوتِ اللهِ لأنّي لهذا قد أُرْسِلْتُ).

وفيه ٧/ ١٦ بعد أنْ أحيا المسيحُ ميتاً: (فأَخذَ الجميعَ خوفٌ ومجّدوا اللهَ

قائلينَ قدْ قامَ فينا نبيٌّ عظيمٌ وافتقدَ اللهُ شَعْبَهُ) .

وفيه ١٠/ ١٦ : (الذي يَسمعُ منكم يَسمعُ منّي . والذي يُرْذِلُكم يُرْذِلني . والذي يُرْذِلُني يُرْذِل الذي أَرْسلني) .

وفي إنجيل يوحنا ٥/ ٣٦ و٣٧ : (٣٦) هذه الأعمالُ بعينها التي أنا أعملُها هي تَشهدُ لي أنّ الآبَ قد أَرسلَني (٣٧) والآبُ نفسُه الذي أَرسلَني يَشهدُ لي . لَمْ تَسمعوا صوتَهُ قطُّ ولا أَبْصَرْتُم هيْئَتَهُ) .

وفيه ٦/ ١٤ بعد معجزة تكثير الطعام : (فلمّا رأى الناسُ الآيةَ التي صَنعَها يَسوعُ قالوا إنّ هذا هو بالحقيقةِ النبيُّ الآتي إلى العالَمِ) .

وفيه ٧/ ١٥-١٧ : (١٥) فتعجّبَ اليهودُ قائلينَ كيف هذا يَعرِفُ الكُتُبَ وهو لمْ يَتعلّمْ (١٦) أجابهم يَسوعُ وقال تعليمي ليس لي بل للذي أَرسلَني (١٧) إنْ شاءَ أَحدٌ أنْ يَعملَ مَشيئتَهُ يَعرِفُ التعليمَ هلْ هو مِن اللهِ أَمْ أَتكلَّمُ أنا مِن نَفْسِي) .

وفيه ٨/ ١٨ و ٢٦ و٢٩ و٤٠ و٤٢ : (١٨) ويَشهدُ لي الآبُ الذي أَرسلَني (٢٦) لكنّ الذي أَرسلَني هو حقٌّ . وأنا ما سَمِعْتُهُ منه فهذا أقولهُ للعالَمِ (٢٩) والذي أرسلَني هو معي ولمْ يَترُكْني (٤٠) ولكنّكمُ الآنَ تَطْلُبونَ أنْ تَقتلوني وأنا إنسانٌ قد كلَّمَكُمْ بالحقِّ الذي سَمِعَهُ من اللهِ (٤٢) لأنّي لَمْ آتِ مِن نَفْسِي بل ذاكَ أَرسلَني) .

وفيه ٩/ ١٠ و١١ و١٧ في معجزة إبراء الأكْمه : (١٠) فقالوا له كيف انفتحتْ عَيْناكَ (١١) أجابَ ذاكَ وقالَ : إنسانٌ يُقالُ له يَسوعُ صَنعَ طِيناً وطَلَى عَيْنَيَّ (١٧) قالوا أيضاً للأعمى ماذا تقولُ أنتَ عنه مِنْ حيثُ إنّهُ فَتَحَ عينيكَ؟ فقال : إنّه نبي) .

وفيه ١٣/١٣ : (أنتم تَـدْعونني مُعَلِّماً وسيّداً وحَسَناً تقولـونَ لأنّي أنا كذلك).

وفيه ١٤/ ٢٤ : (والكـلامُ الـذي تَسمعـونَـهُ ليس لي بلْ لـلآبِ الـذي أَرسلني).

ففي هذه الأقوال صرّح المسيح عليه السلام بـأنه إنسانٌ معلِّم لتلاميذه، ونبيٌّ مرسَلٌ من الله، وأنّ الله يوحي إليه، فهو لا يتكلم إلاّ بالحق الذي سمعه من الله تعالى، وهـو أمينٌ على الوحي لا يُخفي منـه شيئاً، ويعلّمه لأتباعه كما تلقّاه من ربه، وكـان الله تعالى يُجري المعجـزات على يديـه بصفته إنسـاناً نبيّـاً مرسَلاً، لا بصفته إلهاً وابن الله.

القول السابع : ورد في إنجيل متّـى ٢٦/ ٣٦-٤٦ : (٣٦) حينئـذٍ جـاءَ معهم يَسـوعُ إلى ضَيْعَةٍ يُقـالُ لها جَثْسَيْماني فقالَ للتّلاميـذِ اجْلِسوا ههنـا حتّى أَمضِيَ وأُصَلِّيَ هنـاكَ (٣٧) ثـمّ أخَـذَ مَعـهُ بُطْـرسَ وابْنَـيْ زَبْـدِي وابتـدأَ يَحزنُ ويَكْتَئِبُ (٣٨) فقال لهم نَفْسِي حزينةٌ جدّاً حتّى الموتِ. امكُثوا ههنا واسهروا معي (٣٩) ثمّ تَقَدَّمَ قليـلاً وخَرَّ على وجهِهِ وكان يُصلِّي قائلاً يـا أَبَتاهُ إنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عنّي هذهِ الكأسُ. ولكـنْ ليسَ كما أُريدُ أنا بلْ كما تُـريدُ أَنْتَ (٤٠) ثمّ جاءَ إلى التـلاميذِ فوَجدَهـم نياماً. فقال لبُطْـرسَ أَهكذا ما قَـدَرْتم أنْ تَسْهَرُوا معي سـاعةً واحـدةً (٤١) اسْهَرُوا وصلّـوا لئلاّ تَـدْخلوا في تَجْرِبـةٍ. أمّا الـروحُ فنشِيطٌ وأمّا الجسدُ فضعيفٌ(٤٢) فمضى أيضاً ثانيةً وصلّى قائلاً ياأَبَتاهُ إنْ لَـمْ يُمْكِنْ أنْ تَعْبُرَ عنّي هـذه الكأسُ إلاّ أنْ أَشْرَبَها فَلْتَكنْ مَشيئَتُك(٤٣) ثمّ جـاءَ فوَجَدهمْ أيضـاً نِياماً إذْ كانتْ أَعْيُنُهم ثَقيلَـةً(٤٤) فتَركَهمْ ومضى أيضاً وصلّى ثالثـةً قائلاً ذلكَ الكـلامَ بعَيْنِهِ(٤٥) ثمّ جـاءَ إلى تلاميـذهِ وقال لهم نـاموا الآنَ واسْتَرِيحوا. هُوَذَا الساعةُ قد اقتربـتْ وابنُ الإنسانِ يُسَلَّمُ إلى أَيدِي الخُطاةِ(٤٦)

قُوموا ننطلقْ . هُوَذَا الذي يُسَلِّمُني قدِ اقترب) .

ومثل هذه الفقرات ما ورد في إنجيل لـوقا ٢٢/ ٣٩-٤٦ ، فأقوال المسيح وأحواله المندرجة في هذه الفقرات تدلّ دلالة قطعية على عبوديته لله ، وأنه ليس إلهاً ولا ابن الله ؛ لأنّ الـــذي يحزن ويكتئب ويصلّي ويـــدعـو بغــايـة التضرع ويموت يكون بشراً مخلوقاً وليس إلهاً خالقاً .

الفصل الثالث

إبطال الأدلة النقلية على ألوهية المسيح

يستدلّ النصارى على ألوهية المسيح ببعض النقول الواردة في الأناجيل (ومعظمها في إنجيل يوحنا)، وفيما يلي إيراد أدلتهم وإبطال استدلالهم بها :

دليلهم الأول : إطلاق لفظ (ابن الله) على المسيح عليه السلام .

وهذا الدليل باطل لوجهين :

أولهما : أنّ إطلاق لفظ ابن الله على المسيح معارَض بإطلاق لفظ ابن الإنسان عليه ولفظ ابن داود أيضاً، انظر مثلاً إطلاق لفظ ابن الإنسان في إنجيل متّى ٨/ ٢٠، و٩/ ٦، و١٦/ ١٣و٢٧، و١٧/ ٩و١٢و٢٢، و١٨/ ١١، و١٩/ ٢٨، و٢٠/ ١٨و٢٨، و٢٤/ ٢٧، و٢٦/ ٢٤و٤٥و٦٤ .

وانظر مثلاً إطلاق لفظ ابن داود في إنجيل متّى ٩/ ٢٧، و١٢/ ٢٣، و١٥/ ٢٢، و٢٠/ ٣٠و٣١، و٢١/ ٩و١٥، و٢٢/ ٤٢، وفي إنجيل مرقس ١٠/ ٤٧و٤٨، وفي إنجيل لوقا ١٨/ ٣٨و٣٩.

وكذلك سلسلة نسب المسيح التي تنسبه إلى داود عليه السلام، ثم إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام مذكورة في إنجيل متّى ١/ ١-١٧، وفي إنجيل لوقا ٣/ ٢٣-٣٤، فإذا كان المسيح يرجع نسبه إلى الأنبياء المذكورين الذين هم مِن نسْل الإنسان آدم عليه السلام فلا شك إذن في أنه ابن الإنسان، وظاهرٌ أنّ ابن الإنسان لا يكون إلاّ إنساناً وليس ابن الله .

وثانيهما : أنّ لفظ الابن في قولهم (ابن الله) لا يصحّ أنْ يكون بمعناه

الحقيقي ؛ لأنّ المعنى الحقيقـي للفظ الابن باتفـاق جميع لغـات أهل العالم هـو المتـولّد مـن نطفة الأبـوين، وهـو محال ههنـا، فـلا بدّ مـن الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح عليه السلام، أيْ بمعنى الإنسان الصالح البارّ.

والدليل على ذلـك المعنى المجازيّ قول قـائد المئة الـوارد في إنجيلَي مرقس ولوقا، ففي إنجيـل مرقس ١٥/ ٣٩ : (قال حقًّا كانَ هـذا الإنسانُ ابنَ الله)، وفي إنجيل لوقا ٢٣/ ٤٧ : (فلمّا رأى قائدُ المِئةِ ما كان مَجّدَ اللهَ قائلاً بالحقيقةِ كانَ هذا الإنسانُ بارّاً).

فوقع لفظ البارّ عنـد لوقا مكان لفظ ابن الله عنـد مرقس، وبغضّ النظر عن أنّ هـذا التنـاقض بين اللفظين هـو بسبـب التحـريف المستمـر الـواقع في الأناجيل لإثبـات ألوهية المسيح، فعلى فـرض صحة اللفظين ففيهما دليل على جـواز إطلاق لفظ ابن الله على الإنسـان الصـالح البارّ، وبخـاصّة أنـه ورد في الموضعين وصف قائد المئة للمسيح بأنه إنسان.

وقد ورد في الأناجيل إطلاق لفظ ابن الله على غير المسيح من الصالحين، كما ورد إطـــلاق لفـظ ابـن إبليـس على فـــاعلي الشرّ، ففـي إنجيـل متّـى ٥/ ٩و٤٤و٤٥ : (٩) طُوبَـى لصانعي السّـلامِ. لأنّهم أَبناءَ اللهِ يُـدْعَوْنَ (٤٤) وأمّا أنا فأقولُ لكم أَحِبّوا أَعداءَكمْ. بارِكوا لاعِنيكُمْ. أَحْسِنوا إلى مُبْغِضِيكم. وصلّوا لأجْلِ الـذين يُسِيئُون إليكم ويَطْـرُدونكم(٤٥) لكيْ تكونـوا أَبناءَ أبيكم الذي في السماوات).

فأَطلق عيسى على صانعي السلام والصالحين العاملين بما ذكر لفظ أبناء الله، وعلى الله لفظ الأب بالنسبة إليهم.

ووقعت مكالمة بين المسيح عليه السلام وبين اليهود أقتطف بعض فقراتها من إنجيل يـوحنا ٨/ ٤١و٤٢و٤٤ : (٤١) أنتم تَعملونَ أَعمالَ أَبيكمْ. فقـالوا

له : إننا لَمْ نُولَدْ مِن زناً. لَنا أبٌ واحدٌ وهو اللهُ (٤٢) فقال لهم يَسُوعُ لو كانَ اللهُ أبـاكم لكنتـم تُحِبّـونني. . . (٤٤) أنتم مِن أبٍ هـو إبليـسُ وشَهَـواتُ أبيكم تُريدونَ أَنْ تَعْملوا. . . لأنّه كذّابٌ وأبو الكذّاب).

فاليهود ادّعوا أنهم أبناء الله، أيْ صالحون مطيعون لله، فردّ عليهم المسيح عليه السـلام بأنهم كذابـون مطيعون للشيطان، فهم أبنـاؤه؛ لأنه كـذاب وأبو الكذابين، ولا شك أنّ الله أو الشيطـان ليس أباً لهم بـالمعنى الحقيقي، فيجب الحمل على المعنى المجـازي، ويؤيّدُ هذا الـوجوبَ فقرات كثيرة، منهـا فقراتُ رسالـة يوحنا الأولى ٣/ ٨و٩و١٠ : (٨) مَنْ يَفْعَلِ الخطيَّـةَ فهو مِنْ إبليسَ لأنّ إبليسَ مِن البَـدْءِ يُخْطِىءُ. . . (٩) كُلُّ مَنْ هـو مـولودٌ مِن اللهِ لا يفعَلُ خَطِيَّـةً لأنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فيه ولا يسـتطيعُ أنْ يُخْطِـىءَ لأنّهُ مولودٌ من اللهِ (١٠) بهـذا أولادُ اللهِ ظاهِرونَ وأَولادُ إبليس ... الخ).

ومنها فقـرة رسالة يـوحنا الأولى ٤/ ٧ : (وكلّ من يُحِبُّ فقـد وُلدَ من اللهِ ويَعرِفُ الله).

ومنها فقرتـا رسالة يوحنا الأولى ٥/ ١-٢ : (١) كُلُّ مَـنْ يؤْمِنُ أنّ يَسُوعَ هو المسيحُ فقـدْ وُلدَ مِنَ اللهِ. وكُلُّ مَنْ يُحِبُّ الـوالدَ يُحِبُّ المولودَ مِنـهُ أيضاً (٢) بهذا نَعْرِفُ أنّنا نُحِبُّ أَولادَ اللهِ إذا أَحْبَبْنا اللهَ وحَفِظْنا وَصايَاه).

ومنها فقرة رسالة بـولس إلى أهل رومية ٨/ ١٤ : (لأنّ كلَّ الذينَ يَنْقادُونَ بروحِ اللهِ فأولئك هم أَبناءُ اللهِ).

ومنها فقـرة رسالـة بولس إلى أهل فيلبي ٢/ ١٤-١٥ : (١٤) افعلـوا كُلَّ شيءٍ بلا دَمْـدَمَةٍ ولا مجادلةٍ (١٥) لكيْ تكُـونُوا بلا لَوْمٍ وبُسَطَـاءَ أولاداً للهِ بلا عَيْب).

ولاشك أنّ جميع المذكورين في الفقرات السابقة ليسوا أولاداً لله على الحقيقة، فوجب الحمل على المعنى المجازي، وقد ورد إطلاق لفظ الابن لله وإطلاق لفظ الأب على الله في كتب العهدين في مواضع غير محصورة:

ففي إنجيل لوقا ٣/ ٣٨ أطلق على آدم لفظ: ابن الله.

وفي سفر الخروج ٤/ ٢٢ أطلق على إسرائيل لفظ: الابن البكر لله.

وفي مزمور ٨٩/ ٢٦ و ٢٧ أطلق على داود لفظ: البكر، وأطلق على الله لفظ: الأب له.

وفي سفر إرميا ٣١/ ٩ أطلق على أفرام لفظ: البكر، وأطلق على الله لفظ: الأب لإسرائيل.

وفي سفر صموئيل الثاني٧/ ١٤ أطلق على سليمان لفظ: الابن لله، وأطلق على الله لفظ: الأب له.

فلو كان إطلاق لفظ: الابن على المسيح موجباً للألوهية لكان آدم وإسرائيل وأفرام وداود وسليمان أحقّ بالألوهية من المسيح؛ لأنهم من آباء المسيح، ولأنه أطلق على ثلاثة منهم لفظ: الابن البكر.

وورد إطلاق لفظ: أبناء الله على جميع بني إسرائيل في مواضع منها ما في سفر التثنية ١٤/ ١، و ٣٢/ ١٩، وفي سفر إشعياء ١/ ٢، و ٣٠/ ١، و ٦٣/ ٨، وفي سفر هوشع ١/ ١٠.

وورد في سفر التكوين ٦/ ٢ و ٤ إطلاق لفظ: أبناء الله على أولاد آدم.

وفي سفر إشعياء ٦٣/ ١٦ و ٦٤/ ٨ أطلق على الله لفظ: الأب لجميع بني إسرائيل.

وفي سفر أيوب ٣٨/ ٧: (وهَتَفَ جميعُ بني اللهِ).

وفي المزمور ٦٨/ ٥ : (أبو اليتامى وقاضي الأراملِ اللهُ) .

فوجب المصير إلى المعنى المجازي في كل الفقرات السابقة، ولا أحد من أهل الكتاب يقول بأنّ الإطلاقات المذكورة تفهم على حقيقتها، فكما لا يجوز اعتقاد ألوهية آدم وأولاده ويعقوب وأفرام وداود وسليمان وجميع بني إسرائيل وجميع اليتامى، فكذلك لا يجوز اعتقاد ألوهية المسيح بسبب إطلاق بعض الألفاظ التي لا يُراد منها حقيقتها .

دليلهم الثاني : ما ورد أنّ المسيح من فوق وليس من هذا العالم، فقد ورد في إنجيل يوحنا ٨/ ٢٣ قول المسيح : (فقال لهم أنتم مِنْ أَسفَلُ . أمّا أنا فمِنْ فَوْقُ . أنتم مِن هذا العالَمِ . أمّا أنا فلَسْتُ مِنْ هذا العالَمِ) .

فيظنون أنّ هذا القول يدل على أنّ المسيح إله نزل من عند الإلٰه الآب الذي هو ليس من هذا العالَم .

وهذا التأويل غير صحيح ومخالف للظاهر ؛ لأنّ عيسى عليه السلام كان من هذا العالم حقيقة، ويردّ على تأويلهم بوجهين :

الأول : أنّ هذا التأويل مخالف للبراهين العقلية وللنصوص الصريحة .

الثاني : أنّ عيسى عليه السلام قال مثل هذا القول في حقّ تلاميذه أيضاً، ففي إنجيل يوحنا ١٥/ ١٩ : (لو كنتم من العالَمِ لكانَ العالَمُ يحبُّ خاصّتَهُ . ولكنْ لأنّكم لَسْتُم من العالَمِ بلْ أنا اخْتَرْتُكم مِن العَالَمِ لذلك يُبغِضُكم العالَمَ) .

وفي إنجيل يوحنا ١٧/ ١٤ و ١٦ : (١٤) والعالَمُ أَبْغَضَهُم لأنهم ليسوا مِن العالَمِ كما أنّي أنا لَسْتُ مِن العالَمِ (١٦) ليسوا مِن العالَمِ كما أنّي أنا لَسْتُ مِن العالَمِ) .

ففي هذه الفقرات سوّى المسيح عليه السلام بين نفسه وبين تلاميذه في

عدم كـونهم من هذا العالَمِ، فلـو كان هذا القـول مستلزماً لألـوهية المسيح كما زعمـوا للزم أنْ يكـون جميع التـلاميذ آلهة، وبما أنّ النصـارى ينكـرون ألوهيّـة التلاميذ فثبت بطلان هذا التأويل، والصواب أنّ المسيح عليه السلام وتلاميذه ليسوا من طلاب الـدنيا الدنية، بل هم من طلاب الآخـرة ورضوان الله، وهذا المجاز شائع في اللغات، فيقال للزهاد والصالحين إنهم ليسوا من هذه الدنيا.

دليلهم الثالث : ما ورد أنّ المســـيحَ والآبَ واحدٌ، فقـــد ورد في إنجيل يوحنا ١٠/ ٣٠ قول المسيح: (أنا والآبُ واحدٌ).

فهذا القول بزعمهم يدل على اتحاد المسيح بالله، فهو إله مثله.

وهذا التأويل أيضاً باطل بوجهين:

الأول: لأنّ المسيح عليه السلام عندهم أيضاً هو إنسانٌ ذو نفْسٍ ناطقةٍ، وليس بمتّحـدٍ بهذا الاعتبار، فهم يقـولون بـاتحاد المسيح بالله بـاعتبار لاهـوت المسيح لا باعتبـار ناسـوته، ولمّا كان اسم المسيـح عندهم يطلَق على الـلاهوت والناسوت معاً بطل تأويلهم السابق.

والثاني: لأنّ مثل هذا القـول وقـــع في حقّ الحـــواريين، ففي إنجيل يوحنـا ١٧/ ٢١-٢٣ : (٢١) لِيكونَ الجميعُ واحـداً كما أنّكَ أنتَ أيّها الآبُ فيَّ وأنا فيكَ ليكونـوا هم أيضاً واحداً فِينا ليؤْمنَ العـالَمُ أنّكَ أرْسَلْتَني (٢٢)وأنا قدْ أعْطَيْتُهم المجْدَ الذي أَعْطَيْتَني ليكونوا واحداً كما أنّنا نحنُ واحدٌ (٢٣)أنا فيهم وأنتَ فيَّ ليكـونوا مُكَمَّلينَ إلى واحـدٍ وليَعْلَمَ العالَمَ أنّـكَ أَرْسَلْتَني وأحْبَبْتَهم كما أحْبَبْتَني).

فالأقوال الـواردة في هذه الفقرات دالّة على اتحادهـم ببعضهم وبالمسيح، وسوّى المسيحُ بين اتحاده بالله وبين اتحادهـم فيما بينهـم، وظاهر أنّ اتحادهم فيما

بينهم ليس حقيقيّاً، فكذا اتحاد المسيح بالله ليس حقيقياً، والمعنى الصحيح للاتحاد هو طاعة أوامر الله تعالى والعمل بالأعمال الصالحات، وهذا المعنى يشترك فيه المسيحُ والحواريون وجميع أهل الإيمان، وإنما الفرْق باعتبار القوة والضعف، ولاشك أنّ طاعة المسيح وكمال عبوديته لله أقوى وأشدّ من طاعة تلاميذه، والمقصود بالوحدة هنا اتفاق مرادهم وأمرهم، فهم واحد في العمل بأوامر الله ومحبته وطاعته، وكما لا يفهم منه اتحاد ذوات الحواريين ببعضهم أو بالمسيح، فكذلك لا يفهم منه اتحاد ذات المسيح بذات الله حقيقة.

دليلهم الرابع : ما ورد أنّ رؤية المسيح رؤية لله لأنه في الآب والآبُ فيه، فقد ورد في إنجيل يوحنا ١٤/ ٩-١٠ : (٩) الذي رآني فقدْ رأى الآبَ فكيف تقولُ أنتَ أَرِنا الآبَ (١٠) أَلسْتَ تؤْمنُ أنّي أنا في الآبِ والآبَ فيَّ. الكلامُ الذي أُكَلِّمُكُم به لسْتُ أَتكلَّمُ به مِن نَفْسِي لكنّ الآبَ الحالَّ فيَّ هو يَعملُ الأعمالَ).

فهذا الكلام بزعمهم يدلّ على ألوهية المسيح؛ لأنّ رؤيته رؤية لله والله حالٌّ فيه.

وهذا الاستدلال أيضاً باطل بوجهين:

الأول: لأنّ رؤية الله في الدنيا ممتنعة بنصّ أسفارهم، فلا تكون رؤية المسيح رؤية لله حقيقة، ويؤوِّلون الرؤية بالمعرفة، ومعرفة المسيح باعتبار الجسمية أيضاً لا تفيد الاتحاد، والصواب أنّ من رأى الأفعال التي يفعلها المسيح فكأنه رأى أفعال الله؛ لأنها حصلت بأمره وإرادته.

الثاني: أنّه ورد مثل هذا القول في حقّ التلاميذ، ففي إنجيل يوحنا ١٤/ ٢٠ : (في ذلك اليومِ تَعلمونَ أنّي أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم).

وفي إنجيل يوحنا ١٧/ ٢١ : (أنتَ أيّها الآبُ فيّ وأنا فيكَ ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا) .

وورد في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٦/ ١٩ : (أَمْ لَسْتم تَعلمونَ أنّ جَسَدَكم هو هيكلٌ للروحِ القُدُسِ الذي فيكم الذي لكم مِن اللهِ وأنكم لَسْتم لأنْفُسِكم) .

وفي رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٦/ ١٦ : (فإنّكم أنتم هيكلُ اللهِ الحيّ) .

وفي رسالة بولس إلى أهل أفسس ٤/ ٦ : (إلهٌ وآبٌ واحدٌ للكُلِّ الذي على الكُلِّ وبالكُلِّ وفي كُلِّكمْ) .

فلو كان مثل هذا الكلام مُشْعِراً بالحلول والاتحاد ومثبتاً للألوهية للزم أنْ يكون الحواريون وجميع أهل كورنثوس وجميع أهل أفسس آلهة ، والحق أنّ التأويل الصحيح لهذه الفقرات أنْ يُقال : إنّ حلول الله في أحد أو حلول أحد فيه ، وكذا حلول أحد في المسيح أو حلول المسيح فيه الوارد في هذه الفقرات يُقصد به إطاعة أمرهما ، فمعرفة المسيح وطاعته بمنزلة معرفة الله وطاعته .

واعلم أيها القارىء الكريم أنّ نقل الأقوال السابقة هو على فرض صحتها لأجْل زيادة الإلزام ، ولإثبات بطلان تأويلاتهم في تأليه المسيح عليه السلام ، ونحن المسلمين لا نعتقد جزماً أنّ ما ورد في الأناجيل هو كلام المسيح أو كلام الحواريين ؛ لأنه ثبت فقدان إسناد جميع كتبهم بما فيها الأناجيل الأربعة ، وعقيدتنا الإسلامية هي أنّ المسيح عليه السلام والحواريين برآء من هذه العقائد الكفرية ، ونشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنّ عيسى عبدالله ورسوله ، وأنّ الحواريين رسلُ عيسى عليه السلام .

الباب الثالث

إثبات كون القرآن الكريم كلام الله ومعجزاً ورفع شبهات القسيسين الواردة على القرآن وعلى الأحاديث النبويّة الشريفة

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : الأمور التي تـدلّ على أنّ القرآن الكريم كـلام الله تعالى ، ورفع شبهات القسيسين على القرآن الكريم .

الفصل الثاني : دفع شبهات القسيسين الواردة على الأحاديث النبويّة .

الفصل الأول

الأمور التي تدلّ على أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى ورفع شبهات القسيسين على القرآن الكريم

الأمر الأول: أنّ القرآن الكريم في الدرجة العالية من البلاغة التي لم يُعهد مثْلها في كلام العرب، وتقاصرت عنها درجات بلاغتهم، والبلاغة هي التعبير باللفظ المعجِب عن المعنى المناسب للمقام الـذي أُورد فيه الكلام بلا زيادة أو نقصان في البيان، وتدل على كونه في الدرجة العالية من البلاغة بضعة أوجه:

الوجه الأول: أنّ فصاحـة العرب والعجـم سواء كـانوا شعـراء أو كتّاب أكثرهـا في وصف ما يشاهـدون، كوصف بعيرٍ أو فرسٍ أو جـاريةٍ أو مَلِكٍ أو طعنةٍ أو غارةٍ أو حربٍ، ودائرةُ البلاغـة في مثل هذه الأشياء متسعة جدّاً، لأنّ طبائع أكثر الناس تميل إليها، وقد يظهر من الشاعر أو الكاتب مضمون جديد ونكتة لطيفة، ويكون المتأخر المتتبع واقفاً على تـدقيقات المتقدّم غالباً، والقرآن الكـريم ليس في بيـان خصوص هـذه الأشيـاء، ومع ذلك فيـه من الفصاحـة والبلاغة ما لم تعهده العرب في كلامهـم .

الوجه الثاني: أنّ فصاحـة العرب في شتى الأغراض والموضـوعات لم تَخْلُ من الكذب حتى قيل: أحسنُ الشعر أكذبه، أمّـا القرآن الكريم فجاء في غاية الفصاحة مع الصدق في جميعه، والتنزه عن الكذب .

الوجه الثالث: أنّ الشاعر قد يُنسب للفصـاحة لبيتٍ أو بيتين في قصيدة له، وباقيهـا لا يكون كذلك، أما القرآن الكـريم فجاء كلّه في غايـة الفصاحة

التي يعجز الخلْق عنهـا ، ومن تأمل في سورة يوسف وقصته عليـه السلام عرف أنها مع طولها جاءت في الدرجة العالية من البلاغة .

الوجه الرابع : أنّ الشاعـر أو الكاتب إذا كـرّر مضموناً أو قصـة لا يكون كـلامه الثـاني مثْل الأول ، بينما تكـررت المضـامين القرآنيـة في قصص الأنبيـاء وأحوال المبدأ والمعاد والأحكام والصفات الإلهية ، واختلفت فيها العبارات إيجازاً وإطنـابـاً وغيبـةً وخطابـاً ، ومع ذلـك جـاءت هذه المضـامين كلهـا في نهايـة الفصاحة ، ولم يظهر التفاوت أصلاً .

الوجه الخامس : أنّ القرآن الكريم فيه الأوامر والنواهي وإيجاب العبادات وتحريم القبائح ، وفيه الحث على مكارم الأخلاق والعمل للآخرة وتقديمها على الـدنيا ، وكل ذلك في غـاية الفصـاحة والبـلاغة ، علماً أنّ أمثـال هذه الأمـور توجب تقليل الفصاحة ، ولذلك إذا قيل لشاعرٍ فصيح أو كاتب بليغ أنْ يكتب بعض مسائل الفقه والعقائد في عبـارة فصيحة مشتملة على التشبيهات البليغة والاستعارات الدقيقة فإنه يعجز عن ذلك .

الوجه السادس : أنّ كل شـاعر يَحسُن كلامـه في فنّ ويضعف كـلامه في غير ذلك الفنّ ، أمّا القرآن الكريم فقد جـاء فصيحاً على غاية الفصاحة في كل فنّ ، ترغيباً كان أو ترهيباً ، زجراً كان أو وعظاً أو غيرها .

وفيما يلي بعض الأمثلة :

ففي الترغيب مثل قوله تعالى في سورة السجدة آية ١٧ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ .

وفي الترهيب مثل قوله تعالى في سورة إبراهيم آية ١٥-١٧ : ﴿ وَخَابَ كُلُّ

جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ .

وفي الزجر والتوبيخ مثل قوله تعالى في سورة العنكبوت آية ٤٠ :

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ .

وفي الوعظ مثل قوله تعالى في سورة الشعراء آية ٢٠٤-٢٠٧ :

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾ .

وفي وصف الله تعالى مثل قوله تعالى في سورة الرعد آية ٨-٩ :

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ * عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ .

الوجه السابع : أنّ الانتقال من مضمون إلى آخر ومن قصةٍ إلى أخرى، واشتمال الكلام على بيان أشياء مختلفة يضيع حُسْنَ الربط بين أجزاء الكلام، ويُسقطه عن الدرجة العالية للبلاغة، والقرآن الكريم فيه الانتقال من قصة إلى أخرى، ومن مضمون إلى غيره، مع اشتماله على الأمر والنهي والوعد والوعيد وتوحيد الله وبيان صفاته تعالى وإثبات النبوات والترغيب والترهيب وضرب الأمثال وغيرها، ومع ذلك يوجد فيه كمال الربط مع الدرجة العالية للبلاغة الخارجة عن مألوف العرب حتى حارت فيه عقول بلغائهم.

الوجه الثامن : أنّ القرآن الكريم يأتي باللفظ اليسير المتضمن للمعنى الكثير، فسورة (ص) مثلاً جُمع في أولها أخبار الكفار وتقريعهم بإهلاك القرون

مِنْ قبلهم، وخلافهم لمحمد ﷺ وتكذيبهم له، وتعجّبهم مما أتى به، وإجماع مَلَئِهم على الكفر، وظهور الحسد في كلامهم، ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة، وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم، ووعيد قريش وأمثالهم مثل مصابهم، وحمْل النبي ﷺ على الصبر على أذاهم، وتسليته بقصص الأنبياء قبله، وكل هذا الذي ذكر جاء بألفاظ يسيرة متضمنة لمعان كثيرة.

وقوله تعالى في سورة البقرة آية ١٧٩: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ فإنّ هذا القول لفظه يسير ومعناه كثير، ومع بلاغته فهو مشتمل على المطابقة بين المعنيين المتقابلين وهما القصاص والحياة، وعلى الغرابة في جَعْل القتل المفوِّتِ للحياة ظرفاً لها، فهو أولى من جميع الأقوال المشهورة عند العرب في باب منع القتل؛ لأنهم عبّروا عن هذا المعنى بقولهم: (قَتْلُ البعضِ إحياءٌ للجميع)، وقولهم: (أكثِروا القتلَ ليقلَّ القتلُ)، وقولهم: (القتْلُ أنفى للقتْلِ)، وهذا القول الأخير أخصر أقوالهم وأجودها، ولكن لفظ القرآن أفصح منه وأبلغ لما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ أخصر من كل أقوالهم.

٢- قولهم: (القتل أنفى للقتل) يقتضي كون الشيء سبباً لانتفاء نفسه، بخلاف لفظ القرآن الكريم، فإنه يقتضي أنّ نوعاً من أنواع القتل - وهو القصاص - سبب لنوع من أنواع الحياة.

٣- أنّ في قولهم الأخصر والأجود (القتل أنفى للقتل) تكرار للفظ القتل، بخلاف لفظ القرآن الكريم.

٤- أنّ قولهم الأخصر والأجود لا يفيد إلاّ الردع عن القتل فقط، بخلاف لفظ القرآن فإنه يفيد الردع عن القتل والجرح، فالقصاص يشملهما.

٥- أنّ قولهم الأخصر والأجود يدلّ على ما هو المطلوب - أيْ الحياة - بالتبع ، أيْ جعل نفي القتل مطلوباً أصالة ، والحياة تبع له ، بخلاف لفظ القرآن الكريم فإنه دالّ على ما هو مقصود أصلي ، أيْ جعل نفيَ القتل مطلوباً تبعاً من حيث إنه يتضمّن حصول الحياة الذي هو مطلوب أصالةً .

٦- أنّ القتل ظلماً قتلٌ مع أنه ليس بنافٍ للقتل ، ولا يفيد وجوب الاقتصار على قتل القاتل فقط ، بخلاف لفظ القرآن الكريم ، فإنه لا يجيز القتل ظلماً ، وهو نافٍ للقتل بإيجابه القصاص الذي هو قتل القاتل لا غيره ، فظاهر قولهم باطل ، وأمّا لفظ القرآن الكريم فصحيح من كل وجه .

الوجه التاسع : أنّ الجزالة والعذوبة بمنزلة الصفتين المتضادّتيْن ، واجتماعهما على ما هو ينبغي في كل جزء من أجزاء الكلام الطويل خلاف العادة المعتادة للبلغاء ، فاجتماعهما في كل موضع من مواضع القرآن الكريم دليل على كمال بلاغته وفصاحته الخارجتين عن العادة .

الوجه العاشر: أنّ القرآن الكريم مشتمل على جميع فنون البلاغة من ضروب التأكيد وأنواع التشبيه والتمثيل وأصناف الاستعارة ، وحسْن المطالع والمقاطع ، وحسْن الفواصل والتقديم والتأخير، والفصل والوصل اللائق بالمقام ، و خلوّه عن اللفظ الركيك والشاذ الخارج عن القياس النافر عن الاستعمال ، وغير ذلك من أنواع البلاغة ، ولا يقدر أحد من البلغاء الكملاء من العرب الأصلاء إلاّ على نوع أو نوعين من الأنواع المذكورة ، ولو رام نوعاً غيرَهُ في كلامه لم يتأتّ له وكان مقصِّراً ، والقرآن الكريم محتوٍ عليها كلها .

فهذه الوجوه العشرة تدلّ على أنّ القرآن الكريم في الدرجة العالية من

البلاغة الخارجـة عن العادة، ومَنْ كان أعـرف بلغة العرب وفنون بـلاغتها كان أعرف بإعجاز القرآن .

الأمر الثاني: تأليـف القرآن العجيـب، وأسلـوبـه الغريـب في المطـالع والمقاطع والفـواصل، مع اشتماله على دقـائق البيان وحقائق العـرفان، وحسْن العبارة ولطف الإشارة، وسلاسة التركيب وسلامة الترتيب، فتحيّرتْ فيه عقول العرب العَرْبـاء (أيْ الخُلّص الصُّرَحاء)، والحكمة في هذه المخـالفة أنْ لا يبقى لمتعسّف عنيد مظنّة السرقة، وأنْ يمتاز هذا الكلام عن كلامهم ويظهر تفوّقه؛ لأنّ البليغ -ناظماً كان أو ناثراً- يجتهد في هذه المواضع اجتهاداً كاملاً، ويُمدح ويُعاب عليه غالباً في هذه المواضع، وقد عيب على جميع فحول الشعراء مواضع لم يُحسنوا فيها العبارة أو كانت مسروقة عن غيرهم .

وأشراف العـرب مع كمال حـذاقتهـم في أسرار الكـلام وشـدّة عـداوتهم لـلإسلام، لم يجدوا في بـلاغة القـرآن وحسْن نظمـه مجالاً، ولم يوردوا في القـدح مقالاً، بل اعترفوا أنه ليس من جنس خطب الخطباء ولا شِعر الشعراء، فنسبوه تارة إلى السحـر تعجباً من فصـاحته وحسْن نظْمه، وقـالوا تـارة إنه إفك افتراه وأساطير الأولين، وقـالوا ما حكـاه الله تعـالى عنهم في سـورة فصلت آية ٢٦ :

﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ .

وهـذه كلهـا دأب المحجوج المبهـوت، فثبت أنّ القـرآن الكـريم معجـز ببلاغته وفصاحته وحسن نظْمه .

ولقد كان فصحـاء العرب وبلغاؤهـم كثيرين ومشهورين بغـاية العصبية والحمية الجاهليـة، وبتهالكهم على المباراة والمبـاهاة والدفـاع عن الأحساب،

فكيف يُتصَوَّر أنْ يتركوا الأمر الأسهل الـذي هو الإتيان بمقدار أقصر سورة من القرآن، ويختـاروا الأشدّ الأصعـب الذي هـو القتال وبـذل الأرواح والأموال، والرسول ﷺ يقرّعهم ويتحدّاهم بمثل قـوله تعالى في سورة البقرة آية ٢٣-٢٤ :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

وبمثل قوله تعالى في سورة يونس آيـة ٣٨ : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

وبمثل قولـه تعالى في سورة الإسراء آيـة ٨٨ :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ .

ولـو كـان العرب يظنـون أنّ محمـداً ﷺ استعـان بغيره في تأليف القـرآن الكريم لأمكنهم أيضاً من أجْل المعـارضة والتحدِّي أنْ يستعينوا بغيرهـم؛ لأنهم مثْله في معرفة اللغة وفي المكْنة من الاستعـانة، فلمّا لم يفعلوا ذلك وآثروا المقاتلة والمقارعة بالسنان على المعارضة والمقاولة باللسان -ثبت أنّ بلاغة القرآن الكريم كانت مسلّمة عنـدهم، وأنهم عاجزون عن المعارضة، وغايـة الأمر أنهم صاروا مفترقين بين مصدّق بمحمـد ﷺ وبالقـرآن المنزل عليـه من ربه، وبين معـاندٍ متحيّر في بديـع بلاغة القـرآن، والأخبار المنقولـة في ذلك عن الوليـد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وغيرهما تؤيد ذلك.

الأمر الثالث : كون القرآن الكريم منطوياً على الأخبار عن الحوادث الآتية

في المستقبل، فوجدت في الأيام اللاحقة على الوجه الذي أخبر:

١- منها قوله تعالى في سورة الفتح آية ٢٧ : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ . ووقع كما أخبر .

٢- ومنها قوله تعالى في سورة النور آية ٥٥ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ .

وقد وفّى الله تعالى بما وعد، فمكّن للمسلمين في حياة الرسول ﷺ، وزاد هذا التمكين في خلافة الصديق أبي بكر رضي الله عنه، ثم زاد التمكين في خلافة الفاروق عمر رضي الله عنه بالفتوحات الواسعة، ثم زاد هذا التمكين في خلافة ذي النورين عثمان رضي الله عنه بأنْ توسعت الفتوحات كثيراً جدّاً شرقاً وغرباً، بحيث لم يمض ربع قرن بعد وفاة الرسول ﷺ، حتى غلب دينُ الله على سائر الأديان، وكان المسلمون يعبدون الله آمنين غير خائفين .

٣- ومنها قوله تعالى في سورة الفتح آية ١٦ : ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ . ووقع كما أخبر .

٤- ومنها قوله تعالى في سورة النصر آية ١-٢ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ . ووقع كما أخبر، ففتحت مكة المكرَّمة في العام الثامن للهجرة، ودخل الناس في الإسلام فوجاً بعد فوج .

٥- ومنها قوله تعالى للرسول ﷺ في سورة المائدة آية ٦٧ : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . ووقع كما أخبر، رغم كثرة من قصدوا ضرره، فعصمه

الله تعالى منهم حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى .

٦- ومنها قوله تعالى في سورة الروم آية ٢-٦ : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ * فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ * بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ * وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ . ووقع كما أخبر، وانتصرت الرومُ على فارس بعد سبع سنين من هزيمتهم .

٧- ومنها قوله تعالى في سورة الحجر آية ٩ : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ، أيْ يحفظه الله تعالى من التحريف والزيادة والنقصان ، وهذا الأمر مشاهد الآن ، ولله الحمد على هذه النعمة .

ومثله قوله تعالى في سورة فصلت آية ٤٢ : ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ .

٨- ومنها قوله تعالى عن اليهود في سورة البقرة آية ٩٤-٩٥ :
﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

ومثله قوله تعالى في سورة الجمعة آية ٦-٧ : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

ولا شكّ أنّ اليهود كانوا من أشدِّ أعدائه ﷺ، ومن أحرص الناس على تكذيبه ، ومع ذلك لم يبادر أحد منهم إلى تكذيبه بأنْ يقول : إنه يتمنى الموت .

٩- ومنها قوله تعالى في سورة البقرة آية ٢٣-٢٤ : ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ

﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

ووقع كما أخبر .

فمن عهد رسول الله ﷺ عندما كان مشركو العرب في غاية العداوة له وفي غاية الحرص على إبطال دعوته و إلى وقتنا الحاضر لم يستطع أحد معارضة القرآن ولو بمقدار أقصر سورة من مثله رغم توافر الدواعي .

فهذه الأخبار السابقة وأمثالها في القرآن الكريم تدل على أنه كلام الله تعالى ؛ لأنّ سنّة الله جارية على أنّ مدّعي النبوة لو كذب على الله لا يخرج خبره صحيحاً ، بل ويفضحه الله ويظهر كذبه للناس .

الأمر الرابع : أنه ورد في القرآن الكريم أخبارُ القرون السالفة والأمم الهالكة ، ومعلوم أنّ محمداً ﷺ كان أمّيّاً لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يشتغل بمدارسةٍ مع العلماء ، وأنه نشأ بين قوم يعبدون الأصنام ، ولا يعرفون الكتاب ، وليس لديهم شيء من العلوم العقلية ، وأنه لم يَغِبْ عن قومه غيْبةً يمكن له فيها التعلم من غيرهم ، والمواضع التي خالف فيها القرآنُ الكريمُ كتبَ أهل الكتاب في بيان بعض القصص والحالات هي مخالفة قصدية لبيان الحق الذي انحرف عنه أهل الكتاب ؛ لأنهم فقدوا النسخ الأصلية لكتبهم ، والذي بين أيديهم فاقد للسند المتصل ، وفاقد لصفة الوحي والإلهام ، قال تعالى في سورة النمل آية ٧٦ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

الأمر الخامس : أنه ورد في القرآن الكريم كشف أسرار المنافقين ، حيث كانوا يتواطؤون في السرّ على أنواع كثيرة من المكر والكيد ، وكان الله تعالى يُطلع

رسـوله على تلك الأحـوال حالاً فحـالاً، ويخبره عنهـا على سبيل التفصيل ، فما كـانـوا يجدون في كل ذلك إلاّ الصـدق ، ولم يستطيعـوا أنْ ينكـروا خبر القـرآن عنهم ، وكذلك ما فيه من كشف أحوال اليهود وضمائرهم .

الأمر السادس : أنـه ورد في القرآن الكـريم من المعـارف الجزئية والعلـوم الكلية مـا لم تعهده العـرب عامّـة ولا محمد ﷺ خـاصة ، ففيـه علم الشرائع ، والتنبيـه على طـرق الحجـج العقليـة ، والـردّ على أهـل الضـلال ، وفيـه السِّيَرُ والمواعظ ، والحِكَم ، والأمثال ، وأخبار الدار الآخرة ، ومحاسن الآداب والشِّيَم ، وقد انبثقت من القـرآن الكريم علوم كثيرة أهمها علم العقـائد والأديان ، وعلم الفقه والأحكام ، وعلم السلوك والأخلاق .

الأمر السابع : كونـه بريئاً عن الاختـلاف والتفاوت ، مع أنّـه كتاب كبير مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم ، فلو كان هـذا القرآن من عند غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة ؛ لأنّ الكتاب الكبير لا ينفكّ عن ذلك ، ولمّا لم يوجد فيه أدنى اختلاف علمنا علماً يقينيًّا أنه من عند الله كما قال تعالى في سورة النساء آيـة ٨٢ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ .

وإلى هذه الأمور السبعة يشير قـوله تعالى في سورة الفرقان آيـة ٦ : ﴿ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ لأنّ بـلاغتــه وأسلـوبـه العجيب وإخباره عن الغيوب واشتماله على أنواع العلوم وبراءته عن الاختلاف والتفاوت مع كـونه كتـابـاً كبيراً لا يتأتى إلاّ من العليم الخبير الـذي لا يغيب عن علمـه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض .

الأمر الثامن: أنّ القرآن الكريم معجزة باقية مَتْلوّة في كل مكان؛ لأنّ الله تعالى تكفّل بحفظه، بخلاف معجزات الأنبياء السابقين؛ فإنها مؤقتة في حياتهم وانقضت بوفاتهم، لكن معجزة القرآن الكريم باقية على ما كانت عليه من وقت نزوله وإلى زماننا هذا، وما زالت حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة، فإنّ بلاد العالم مملوءة بالملاحدة والمخالفين العنيدين من كلِّ ملّة ونِحلة، وكلهم عاجزون عن الإتيان بمقدار أقصر سورة من هذا القرآن الكريم، وستبقى هذه المعجزة إنْ شاء الله ما بقيت الدنيا وأهلها .

الأمر التاسع: أنّ قارئَ القرآن لا يسأمه، وسامعه لا يملّه، بل تكراره يوجب زيادة محبته، وغيره من الكلام مهما كان بليغاً فإنّ تكراره يُملّ في السمع، ويُكره في الطبع، بخلاف القرآن الكريم فإنّ الهيْبَة تعتري تاليه، والخشية تلحق قلوب سامعيه، وهذه الهيبة والخشية قد تكون لمن لا يفهم معانيه ولا يفهم تفسيره، بل ولمن لا يعرف اللغةَ العربيّة أيضاً .

الأمر العاشر: أنّ القرآن الكريم يُحفظ نصّه بسهولة بالغة، كما قال تعالى في سورة القمر الآيات ١٧ و٢٢ و٣٢ و٤٠: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾، فحفْظه ميسّر على الأولاد الصغار في أقرب مدّة، وحفّاظ القرآن الكريم منتشرون في الأقطار بحيث يمكن أنْ يُكتب القرآن الكريم كاملاً من حفظ كلٍّ منهم دون وقوع الغلط في الإعراب فضلاً عن الألفاظ، بينما لا يوجد في كل ديار النصارى واحد يحفظ الإنجيل فضلاً عن حفظ كتب العهدين، وهذا هو الفضل البديهي لأمة محمد ﷺ ولكتابها القرآن الكريم .

ثلاثة أسئلة وجوابها : -

السؤال الأول : ما سبب كون معجزة النبي محمد ﷺ من جنس البلاغة ؟

الجواب : أنّ بعض المعجزات تظهر في كل زمـان من جنس ما يغلب على أهل ذلك الزمان؛ لأنهم يكونون قد بلغوا فيه الدرجة العليا ، ويقِفون على الحدّ الذي يمكن للبشر الوصـول إليه ، فإذا شاهدوا ما هـو خارج عن الحدّ المذكور علموا أنـه من عند الله ، فمثلاً عنـدما رأى سحرةُ فـرعون في زمان مـوسى عليه السلام أنّ عَصَاه انقلبت ثعباناً يتلقف سِحْرهم ، علموا أنّ هذا الأمر خارج عن حدّ صناعة السحر، وأنه معجزة لموسى من عند الله فآمنوا به وبمن أرسله .

وفي زمـان عيسى عليه السـلام كان علـم الطبّ متقدّمـاً ، فلما رأى أهل ذلك الـزمان إحيـاء الموتى وإبراء الأكمـه والأبـرص علموا أنها ليست من حـدّ صناعة الطب ، وأنّها معجزة لعيسى من عند الله ؛ ليؤمنوا برسالته ويتّبعوه .

وفي زمان محمد ﷺ كانت البلاغة قد وصلت إلى الدرجة العليا ، وكان بها فخـارهم نثراً وشعـراً ، فلمّا أتى النبي محمـد ﷺ بهذا القـرآن الذي أعجـز جميع البلغاء عُلِم أنه من عند الله قطعاً ، وأنّ مَنْ لم يؤمن به فهو عنيدٌ مستكبرٌ.

السؤال الثاني : ما حكمة نزول القرآن منجماً مفرّقاً ولم ينزل دفعةً واحدة ؟

الجواب : إنّ لنزول القرآن منجماً حِكماً كثيرة منها :

١ - أنّ النبي ﷺ أُرسل في أُمّـة أُمّيّة لا تَعـرف القراءة والكتابـة ، فلو نـزل عليه القرآن جملـةً واحدةً لصعُـب عليهم حفْظُه وضبْطـه ، وربّما تساهلـوا فيه ، فكان نـزوله مفرّقاً أنْسب لهم ، حيث تمكّـن الصحابة بالتـدْريج من حفْظه

وضبْطه وتعلّمه وكتابتِه، وبقيَتْ سنّة الحفْظ جاريةً في أمّته .

٢- أنّ كثيراً من آيـات القرآن الكـريم نـزلتْ في وقائع وأحـداث معيّنة، حـلاً لمشكلة أو جواباً على سؤال أو بياناً لحكْم، فلو نزل عليه القرآن جملةً واحدةً لم يتّضح المراد بها، فكان نزولها مفرّقة مقترنة بـالوقائع والأحداث أبلغ أثراً في النفوس، وأوضح في المراد بها .

٣- لو أنزل الله تعالى عليه الكتاب جملة واحدة لكانت التكاليف (أيْ الأحكام الشرعيّة العمليّة) قد نزلت على المسلمين دفعة واحدة، ولثقل عليهم العمل بها، وبخاصّـة أنّ فيها الناسخ والمنسوخ، ولكـنْ لمّا كان نزول القرآن مفـرّقاً فإنّ التكاليف نزلت بالتدريج قليلاً قليلاً، فكان تحمّلها أسهل .

٤- أنّ نزول القـرآن منجماً يقتضي أنْ يُشاهِد الـرسول ﷺ جبريل عليـه السلام حالاً بعد حال، فيقوى قلبه على أداء الرسالة، ويصبر على أذية القوم .

٥- أنّ نزول القـرآن الكريـم منجماً أشدّ تعجيـزاً لهم، أيْ إنهم في غايـة العجز بحيث إنهم لم يقدروا على الإتيان بمثله منجماً مفرّقاً؛ لأنّ النبي ﷺ تحدّاهم من أول الأمر، فكأنه تحدّاهم بكل واحدٍ مـن نجوم القرآن، فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولى، فثبت بهذا الطريق أنّ القوم عاجزون عن المعارضة عجزًا تامًّا من جميع الوجوه .

السؤال الثـالث: مـا سبب تكرار بيـان التوحيد وحـال القيامـة وقصص الأنبياء في عدة مواضع؟

الجواب: إنّ للتكرار في القرآن عدة أسباب منها :

١- أنّ التكرار يفيد التقرير والتأكيد .

٢- أنّ إعجاز القـرآن الكريـم لمّا كان باعتبـار البلاغـة وتحدّاهم بهذا الاعتبار، فجـاء تكرار القصص وغيرهـا بعبـارات مختلفة إيجازاً وإطنـابـاً، مع حفظ الدرجة العالية للبلاغـة في كل مرتبة، ليُعلم أنّ القرآن ليس بكلام البشر ؛ لأنّ البلغاء يعرفون أنّ هذا الأمر خارج عن القدرة البشرية .

٣- أنّ المخالفين للرسول ﷺ كان لهم أنْ يقـولوا له : إنّ الألفاظ الفصيحة التي كانت مناسبة لهذه القصّة قد استعملْتها، ولا تناسبها الألفاظ الأخرى، أو أنْ يقولوا لـه : إنّ طريق كل بليغ يخالف طريق الآخـر، فبعضهم يقْدِر على الطـريق المطنَب وبعضهم يقـدر على الطـريق الموجَـز، فلا يلـزم من عـدم القدرة على نوع عدم القدرة مطلقاً، أو أنْ يقولوا له : إنّ دائرة البلاغة ضيقة في بيـان القصص، والـذي صـدر عنـك بيـانـه منهـا محمـول على البخت والاتفاق، لكنّ تكرار القصص إيجازاً وإطناباً يقطع جميع أعذارهم .

٤- أنه ﷺ كان يَضِيق صدره بإيذاء قومـه له كما قال تعالى في سورة الحجر آية ٩٧ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾، فيثبّتُ الله قلبـه بأنْ يقصّ عليه قصة من قصص الأنبياء السابقين مناسبة لحاله في ذلك الوقت، كما قال تعالى في سورة هود آيـة ١٢٠ : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

٥- أنّ أقوامـاً كانوا يـدخلون في الإسـلام، وأنّ المسلمين كان يحصل لهم الأذى بأيـدي الكفار، فكان الله تعـالى يُنزل في كل مـوضع من هذه القصـص ما يناسبه ؛ لأنّ حـال السلف تكون عبرة للخلف، وقد يكون المقصـود أحياناً تنبيه الكفار، فالقصة الواحدة قد تُذكر تارة ويُقصد بها بعض الأمور قصداً

وبعضها تبعاً، وتُذكر تارة أخرى وتُعكس المقاصد .

وفيما يلي ذكر أبرز شبهتين يوردهما المنصّرون على القرآن الكريم :

الشبهة الأولى قولهم: (لا نسلّم بأنّ عبارة القرآن في الدرجة القصوى من البلاغة الخارجة عن العادة، ولو سلّمنا ذلك لكان دليلاً ناقصاً على الإعجاز ؛ لأنه لا يظهر إلاّ لمن كانت له معرفة تامة بلغة العرب، ويلزم أنْ تكون من كلام الله جميع الكتب البليغة التي في اللغات الأخرى كاليونانية واللاتينية وغيرهما، ويمكن أنْ تؤدّى المطالب الباطلة والمضامين القبيحة بألفاظ فصيحة وعبارات بليغة في الدرجة القصوى) .

والجواب عن هذه الشبهة أنّ عدم تسليمهم كون عبارة القرآن الكريم في الدرجة العليا من البلاغة هو مكابرة محضة لما مرّ في الأمر الأول والثاني من الفصل السابق .

وقولهم: (لأنه لا يظهر إلاّ لمن كانت له معرفة تامة بلغة العرب) حقٌّ، لكنّ هذه المعجزة لمّا كانت لتعجيز البلغاء والفصحاء، وقد ثبت عجزهم ولم يعارضوها واعترفوا بها، وعرفها جميعُ أهل اللغة العربية بسليقتهم، وعرفها العلماء بمهارتهم في فنّ البيان و إحاطتهم بأساليب الكلام، فالعوامّ يكفيهم اعتراف العلماء بالعجز عن معارضة القرآن، وبه تقوم الحجة عليهم ؛ لأنّ عجز العلماء والفصحاء يوجب عجز غيرهم من باب أولى، ثم إنّ الأمم غير العربية يكفيهم اعتراف العرب بعجزهم عن معارضة القرآن الذي هو بلغتهم، فتقوم عليهم الحجة أيضاً، بالإضافة إلى أنه يوجد في هذه الأمم مَن يتكلمون اللغة العربية ويجيدون علومها، فشهادتهم ببلاغة القرآن الكريم وأنه كلام الله حجة

على سائر أقوامهم؛ لأنّ مَن كـان أعرف بلغة العرب وفنون بلاغتهـا كان أعرف بإعجاز القرآن وفنـون بلاغته، وبهذا ثبت يقيناً أنّ بلاغة القـرآن الكريم معجزة قاهرة ودليل كامل لا ناقص كما زعموا .

ثم إنّ أهل الإسلام لا يدّعون أنّ معجزة القرآن منحصرة في بلاغته فقط، بل يقولون: إنّ بلاغة القرآن الكـريم سبب واحد من أسباب كثيرة توجب علْماً قطْعيّاً بأنّـه كلام الله تعالى، وهذه المعجزة ظـاهرة، وعجز المخالفين ثـابت منذ زمان محمد ﷺ وإلى هذا الزمان .

وقـولهم: (ويلـزم أنْ تكـون من كـلام الله جميع الكتـب البليغـة التي في اللغات الأخرى ...) غير مسلَّم؛ لأنّ هذه الكتب لم تثبت بـلاغتها في الدرجة القصـوى باعتبـار الـوجوه التي مـرّ ذكـرها في الأمـر الأول والثـاني من الفصل السابق، ولأنّ مصنفي هذه الكتب لم يدّعـوا إعجازها ولا أنّ الفصحاء أمثالهم عاجزون عن معارضتها .

فكيف يدّعي القساوسة هذا الادعـاء وهم لا يميزون غالباً في لغة غيرهم بين المذكـر والمؤنث، ولا بين المفرد والمثنـى والجمع، ولا بين المرفوع والمنصـوب والمجرور، فضـلاً عن أنْ يميزوا الأبلغ عن البليـغ، ويشهد لهذا الأمر أنّ البـابا أربـانوس الثـامن أذِن للأب سركيـس الهاروني مطران الشـام أنْ يجمع كثيراً من القساوسـة والرهبـان والعلماء المختصين باللغات العبرانيـة والعربيـة واليونـانية لإصلاح الترجمة العربية التي كانت مملوءة بالأغلاط الكثيرة، فاجتهدوا في هذه المهمـة اجتهـاداً تـامّـاً سنـة ١٦٢٥م، ولكن هـذه الترجمة التـي اجتهـدوا في إصلاحهـا وقع في نصوصها أغـلاط كثيرة بحيث إنهم اضطرّوا في المقـدمة التي

كتبوها لهذه الترجمة إلى الاعتذار عن بعض الأغلاط الواقعة فيها كوجود كلام لا يوافق قوانين اللغة بل يضادّها، وكوقوع لفظ المذكر بدل المؤنث، والعدد المفرد بدل الجمع، وكوضع حركة الرفع مكان الجر والنصب في الاسم، ومكان الجزم في الفعل، وقالوا في اعتذارهم: إنّ روح القدس لم يُردْ أنْ يقيّد اتساع الكلمة الإلهية بالحدود المضيّقة التي حدّتها الفرائض النحوية، فقدّم لنا الأسرار السماوية بغير فصاحة وبلاغة .

وقولهم: (ويمكن أنْ تؤدّى المطالب الباطلة والمضامين القبيحة بألفاظ فصيحة وعبارات بليغة في الدرجة القصوى) لا ورود له في حق القرآن الكريم؛ لأنه مملوء من أوله إلى آخره بذكر المطالب العالية الفاضلة والمضامين الحميدة مثل:

١- ذكر صفات الكمال لله، وتنزيهه عن صفات النقص كالعجز والجهل والظلم وغيرها .

٢- الدعوة إلى إخلاص التوحيد لله، والتحذير من الشرك والكفر بجميع أنواعه، والتثليث نوع منه.

٣- ذكر الأنبياء وصفاتهم، وتنزيههم عن عبادة الأوثان والكفر وغيرها من المعاصي، ومدح المؤمنين بهم وذمّ أعدائهم ، والتأكيد على وجوب الإيمان بهم عموماً، وبالمسيح وبمحمد عليهما السلام خصوصاً .

٤- الوعد بغلبة المؤمنين على الكافرين عاقبة الأمر .

٥- ذكر القيامة والجنة والنار وجزاء الأعمال، وذمّ الدنيا ومدح العقبى .

٦- بيان الحلال والحرام والأوامر والنواهي وسائر الأحكام في المطعومات

والمشروبات وفي الطهارة والعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية وغيرها .

٧- التحريض على محبة الله وأوليائه ، والزجر عن مصاحبة الفجار والفساق .

٨- التأكيد على إخلاص النية لله في كل شيء ، والتهديد على الرياء والسمعة .

٩- التأكيد على الأخلاق الجميلة ومدحها ، والتهديد على الأخلاق الذميمة وذمّها والتنفير منها .

١٠- الوعظ المؤدي للتقوى ، والترغيب في ذكر الله وعبادته .

ولا شك أنّ مثل هذه المطالب الفاضلة محمودة عقلاً ونقلاً ، وجاء ذكر هذه المطالب العالية مكرراً في القرآن للتأكيد عليها وتقريرها ، ولو كانت هذه المطالب والمضامين العالية قبيحة فأيّ مضمون بعدها يكون حسناً؟!

نعم إنه لا يوجد في القرآن الكريم مضامين قبيحة كالتي في كتب العهدين مثْل :

١- ما ورد في سفر التكوين ١٩/ ٣٠-٣٨ أنّ لوطاً عليه السلام زنى بابنتيه وحملتا بهذا الزنا .

٢- وما ورد في سفر صموئيل الثاني ١١/ ١-٢٧ أنّ داود عليه السلام زنى بزوجة أوريّا ، ثم قتله بالحيلة وتزوجها .

٣- وما ورد في سفر الخروج ٣٢/ ١-٦ أنّ هارون عليه السلام صنع العجل لبني إسرائيل وعبده معهم .

٤- وما ورد في سفر الملوك الأول ١١/ ١-١٣ أنّ سليمان عليه السلام ارتدّ في آخر عمره وعبد الأصنام وبنى المعابد لها .

٥- وما ورد في سفر الملوك الأول ١٣/ ١١-٣٠ أنّ النبيّ الذي في بيت إيل

كذب على الله في التبليغ، وخدع بكذبه نبيّاً آخر وألقاهُ في غضب الرب .

٦- وما ورد في سفر التكوين ٣٨/ ١٢-٣٠ أنّ يهوذا بن يعقوب عليه السلام زنى بكنّته ثامار -أيْ زوجة ابنه عير- فولدت منه بهذا الزنا فارص الذي من نسله داود وسليمان وعيسى عليهم السلام، فكلهم أولاد ولد الزنا .

٧- وما ورد في سفر التكوين ٣٥/ ٢٢ أنّ رأوبين بن يعقوب عليه السلام زنى ببلهة سُرّيّة أبيه، ولما علم بهما (أيْ يهوذا ورأوبين) أبوهما يعقوب لم يُقم عليهما الحدّ، ودعا ليهوذا بالبركة التامّة .

٨- وما ورد في سفر صموئيل الثاني ١٣/ ١-٣٩ أنّ أمنون بن داود عليه السلام زنى بأخته ثامار وعلم بهما أبوهما داود ولم يُقم عليهما الحدّ .

٩- وما ورد في الأناجيل (متّى ٢٦/ ١٤-١٦، ومرقس ١٤/ ١٠-١١، ولوقا ٢٢/ ٣-٦، ويوحنا ١٨/ ١-٥) أنّ يهوذا الإسخريوطي الذي هو أحد الحواريين الاثني عشر رضي بتسليم عيسى عليه السلام لليهود مقابل ثلاثين درهماً، والنصارى يعتقدون أنّ الحواريين أنبياء ورسل للإله المصلوب .

١٠- وما ورد في الأناجيل (متّى ٢٦/ ٥٧-٦٨، ومرقس ١٤/ ٥٣-٦٥، ولوقا ٢٢/ ٥٤-٧١، ويوحنا ١٨/ ١٢-٢٤) أنّ قَيَافَا رئيس الكهنة - والذي كان نبيّاً بشهادة يوحنا الإنجيلي - كذّب عيسى وكفّره وأهانه، وأفتى بقتله، وعيسى في زعمهم هو إله قَيَافا، أيْ أفتى النبيُّ بقتل إلهه بعدما كفّره وأهانه .

فهذه المضامين القبيحة جدّاً وأمثالها توجد في كتبهم المحرَّفة ، وهي مألوفة لدى القسيسين والمنصرين ويرونها مطالب عالية وحسنة، فلو وجدوا القرآن الكريم محتوياً على أمثالها لاعترفوا أنه كلام الله وقَبِلوه، لكنهم لمّا وجدوه خالياً عنها أنكروه وطعنوا في صحته .

الشبهة الثانية قولهم: (إنّ القرآن يخالف كتب العهدين القديم والجديد في مواضع عديدة، فلا يكون كلام الله).

والجواب على هذه الشبهة أنّ كتب العهدين لم تثبت أسانيدها المتصلة إلى مصنفيها، وثبت أنها مملوءة من الاختلافات المعنوية والأغلاط الكثيرة، وثبت وقوع التحريف القصدي فيها بالزيادة على المتن وبالنقصان منه، وبالتبديل في الجمل والكلمات، فمخالفة القرآن لكتبهم في مواضع عديدة هي مخالفة قصدية لا سهوية؛ لأجْل التنبيه على أنّ ما خالف القرآن في هذه الكتب هو غلط ومحرّف، فهذه المخالفة لا تعيب القرآن، بل يُقطع بصحتِه وخطئها.

ونستطيع أنْ نحصر المخالفة التي بين القرآن الكريم وبين كتب العهدين في ثلاثة أنواع، الأول منها باعتبار الأحكام المنسوخة، والثاني منها باعتبار بعض الحالات التي جاء ذكرها في القرآن الكريم ولم تذكر في كتب العهدين، والثالث منها باعتبار أنّ ما جاء في القرآن الكريم في بيان بعض الحالات يخالف بيان نفس الحالات في كتب العهدين. ولا حجّة لهم في الطعن على القرآن الكريم باعتبار هذه الأنواع الثلاثة لما يلي:

أمّا باعتبار الأحكام المنسوخة فلأنّه قد مرّ في الباب الأول أنّ النسْخ لا يختصّ بالقرآن الكريم، بل وُجد في الشرائع السابقة، وقد اعترف الدكتور القسيس فندر في المناظرة الكبرى التي جرت بينه وبين الشيخ رحمت الله بوقوع النسْخ في التوراة والإنجيل، وكان قبل المناظرة ينكر بشدّة وقوعه فيهما.

وأمّا باعتبار بعض الحالات التي انفرد القرآن الكريم بذكرها ولم تذكر في كتب العهدين، فهذه المخالفة لا تنفي أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى؛ لأنه

وُجد في كتب العهـد الجديد حـالات لم تذكر في كتب العهـد القديم، فـانفراد العهد الجديـد بذكرها لم يستلـزم كونه معيباً في نظـرهم، وفيما يلي بعض الأمثلة لذلك:

١- ورد في الفقرة ٩ من رسالة يهوذا: (وأمّا مِيخائيلُ رئيسُ الملائكةِ فلمّا خاصمَ إبليسَ مُحاجّاً عن جسَدِ موسى ...).

فهذه المخاصمة بينهما لم تذكر في كتاب من كتب العهد العتيق.

٢- ورد في الرسالة إلى العبرانيين ١٢/ ٢١: (وكان المنظَـرُ هكذا مُخيفاً حتّى قال موسى أنا مُرْتَعِبٌ ومُرْتَعِدٌ). وقـد ورد صعود موسى إلى جبل سيناء ووقوف الشعب عنـد أسفل الجبل في سفر الخروج ١٩/ ٧-٢٥، وليـس فيه ولا في غيره من أسفار العهد العتيق هذه الفقرة.

٣- ورد في رسـالـة بـولس الثـانيـة إلى تيمـوثـاوس ٣/ ٨: (وكَمَا قـاومَ يَنّيسُ ويَمْبِرِيسُ موسـى)، وقد وردت قصة سحـرة فرعون في الأصحـاح السابع من سفر الخروج، وليس فيـه ولا في غيره من الأسفار هذه العبـارة، ولا أثر لهذين الاسمين في أيّ كتاب من كتب العهد القديم.

٤- ورد في رسـالة بـولس الأولى إلى أهل كـورنثـوس ١٥/ ٦ ظهور المسيح بعـد رفعه: (وبعْدَ ذلك ظَهَرَ دَفْعَةً واحدةً لأكْثرَ من خَمْسِمِئَةِ أخٍ أكثرُهمْ باقٍ إلى الآنَ ولكنّ بعضَهـم قـد رَقـدوا). ولا يـوجـد أثـر لهذا الخبر في الأنـاجيل الأربعة ولا في سفر أعمال الرسل، مع أنّ لوقا أحرصُ الناس على كتابة مثل هذه الأمور العجيبة.

٥- يوجد في الأناجيـل ذِكْر القيامـة وجزاء الأعمال والجنـة والجحيم، وذلك

بالإجمال، ولا أثـر لذلك في كتب موسى الخمســة، بل كلّ ما فيها مـواعيد دنيوية للمطيعين وتهديدات دنيوية للعاصين .

٦- ورد في إنجيل متّـى ١/ ١٣-١٥ بعـد اسم زَرُبّـابل تســعة أسماء في بيـان نسب المسيح عليه السلام، ولا ذكْر لهذه الأسماء في كتاب من كتب العهد القديم .

وهكذا أحوال أخرى يصعب حصرها يثبت منها أنّ انفراد الكتاب المتأخر بـذكر بعـض الحالات التي لم تـذكر في الكتـاب المتقـدم لا يلزم منـه تكـذيب الكتاب المتأخر، وإلاّ يلزم منه أنْ يكـون الإنجيل كاذباً لاشتماله على حالات لم تذكـر في التوراة ولا في كتاب آخـر من كتب العهد القـديم، والحقُّ أنّ الكتاب المتقدم لا يلزم أنْ يكون مشـتملا على جميع الحالات المذكورة في الكتاب المتأخر .

وأمّا طعنهم باعتبار أنّ بيـان بعض الحالات في القرآن الكريم مختلف عن بيانها في كتب العهـدين فلا حجة لهم في ذلك أيضـاً؛ لأنّ اختلافات فـاحشة جـدّاً وقعـت بين كتب العهـد العتيق بعضهـا مع بعض، وبين كتـب العهـد الجديد بعضها مـع بعض، وبين كتب العهد الجديد والعهد القـديم كما مرّ في الباب الأول، والنسخ الثلاث للتوراة (العبرانية والسامرية واليونانية) مختلفة فيما بينها اختلافات كبيرة، والأناجيل الأربعة (متّى ومـرقس ولوقا ويوحنا) مختلفة فيما بينها اختلافات كبيرة أيضاً، لكنّ القسيسين يغمضون أعينهم عمّا في كتبهم من الاختلافـات، ويتوجهون للطعن في القرآن الكـريم لتغليط عوامّ المسلمين بهذه الشبهة، ومخالفـة القرآن لكتبهم لا تضرّه؛ لأنـه كتاب مستقل موحـى به من الله، بل هذه المخالفة أكبر دليل قطعي على صِدْقه، وعلى وجود التحريف في كتبهم .

الفصل الثاني

دفع شبهات القسيسين الواردة على الأحاديث النبوية الشريفة

الشبهة الأولى قولهم: (إنّ رواة الأحاديث هم أزواج محمد - ﷺ - وأقرباؤه وأصحابه ولا اعتبار لشهادتهم في حقّه).

والجواب أنّ هذه الشبهة يمكن أنْ تورد على القسيسين بأنْ يُقال: إنّ رواة حالات المسيح وأقواله المندرجة في هذه الأناجيل المعروفة الآن هم أصحابه وتلاميذه، ولا اعتبار لشهادتهم في حقّه، وإنّ أصحاب محمد ﷺ لم يبالغ أحد منهم كما بالغ الإنجيلي الرابع في آخر إنجيله (يوحنا ٢١/ ٢٥) فقال: (وأشياءُ أُخَرُ كثيرةٌ صنعها يَسوعُ إنْ كُتِبَتْ واحدةً واحدةً فلستُ أظنُّ أنّ العالمَ نفسَهُ يسَعُ الكتُبَ المكتوبة).

ولا شك أنّ هذا الكلام كذب محض ومبالغة شاعرية قبيحة، ولا يكون دافعاً للعقلاء إلى الإيمان، لكنه قد يخدع السفهاء.

وليس للقسيسين حجة فيما تتفوّه به فرقة الشيعة الإمامية الاثني عشرية في حق الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؛ لأنه وجدت بعض فرق النصارى تقول أقوالاً وتعتقد اعتقادات جعلت القسيسين يحكمون على هذه الفرق بالكفر والابتداع، كقولهم بأنّ الإله إلهان، أحدهما خالق الخير وثانيهما خالق الشر، وأنّ إله الشر هو الذي أعطى التوراة لموسى، وأنّ عيسى نزل إلى الجحيم وأخرج منها كل الأرواح الشريرة، وأبقى فيها أرواح الصالحين، وأنّ الذي كلّم

موسى وخدع أنبياء اليهود هو الشيطان، وأنّ جميع أنبياء بني إسرائيل هم سُرّاق ولصوص، وهكـذا أقوال أخـرى لهذه الفرق المبتـدعة، ولا شـك أنّ النصارى ينكرون مثل هذه الأقوال والاعتقادات الكفريـة ويقولون: إنّ أقوال هذه الفرق لا تقوم بها الحجة على سائر النصارى، فنقـول لهم أيضاً: إذا لم تتمّ أقوال هذه الفرق عليكم، فلا تتمّ أقوال بعض الفرق الإسلامية على جمهور أهل الإسلام، ولا تقوم بها الحجـة، ولا سيما إذا كانـت هذه الأقـوال مخالفة لنصـوص القرآن الكريم ولأقـوال بعض الأئمة من آل البيـت. ففي القرآن الكريـم آيات كثيرة مصرّحة بأنّ الصحابة لم يصدر عنهم شيء يوجب الكفر ويخرجهم عن الإيمان، منها:

١- قال الله تعـالى في سورة التـوبة آيـة ١٠٠: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَـدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْـرِى تَحْتَهَـا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

بشّر الله تعالى السابقين الأولين مـن المهاجرين والأنصار برضـوانه عليهم وبخلودهم في الجنات، ولا شك أنّ أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً رضي الله عنهم كـانوا مـن السابقين الأولين، فثبـت أنهم من المبشَّرين بـرضـوان الله وجناتـه، وثبتت صحة خلافتهم، وكما أنّ قول الطاعن في حقّ عليّ مردودٌ، فكذلك قول الطـاعـن في حقّ الثـلاثـة مـردود، ولا مجال للطعـن فيهم ولا في غيرهـم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

٢- وقال الله تعالى في سـورة التوبة آية ٢٠-٢٢: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۞ يُبَشِّرُهُمْ

رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

فقال الله تعالى في حق المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيله بأنهم أعظم درجة عند الله وأنهم فائزون، وبشّرهم بالرحمة والرضوان وبالخلود الأبديّ في الجنّات، وأكد ذلك بأنه نعيم مقيم، ولاشك أنّ الخلفاء الأربعة من المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فثبت فوزهم وثبتت لهم البشرى، وثبتت صحة خلافتهم، ولا مجال للطعن فيهم ولا في غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

٣- وقال الله تعالى في سورة التوبة آية ٨٨-٨٩ : ﴿ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

فبشّر الله تعالى الصحابة المؤمنين المجاهدين الذين كانوا مع الرسول ﷺ بأنّ لهم الخيرات وبالفلاح وبالخلود في الجنّات، ولا شك أنّ الخلفاء الأربعة كانوا من المؤمنين المجاهدين مع الرسول ﷺ، فثبت لهم الفلاح والخيرات والخلود في الجنّات، وثبتت صحة خلافتهم، ولا مجال للطعن فيهم ولا في غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

٤- وقال الله تعالى في سورة الحج آية ٤١ : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ .

فهذه أوصاف المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حقّ المذكورين

في الآية (٤٠) التي قَبْلها، فوصف الله تعالى المهاجرين بأنه إنْ مكنهم في الأرض وأعطاهم السلطة أتوا بالأمور الأربعة وهي: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يشكّ أحد في أنّ الله تعالى قد مكّن للخلفاء الأربعة في الأرض، وتوسعت رقعة الإسلام في عهدهم، فثبت كونهم آتين بالأمور الأربعة، وثبت كونهم على الحق وعلى الطريقة المرضية لله تعالى، هم وأتباعهم من أصحاب رسول الله ﷺ.

٥- وقال الله تعالى في سورة النور آية ٥٥: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.

ولا شكّ أنّ المخاطبين في هذه الآية هم المؤمنون الموجودون في زمان نزولها، ولفظ الاستخلاف يدلّ على أنّ حصول ذلك الوعد يكون بعد الرسول ﷺ، ومعلوم أنه خاتم الأنبياء ولا نبيّ بعده، فالمراد بهذا الاستخلاف إذن الأئمة والخلفاء بعد الرسول ﷺ، وجميع الضمائر الراجعة إليهم في الآية وقعت كلها على صيغة الجمع، والجمع الحقيقي لا يكون محمولاً على أقل من ثلاثة، فثبت أنّ هؤلاء الأئمة والخلفاء الموعودين بهذا الوعد لا يكونون أقل من ثلاثة.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ ﴾ وعدٌ لهم بحصول الشوكة والقوة والنفاذ في العالَم، ولا يشك أحد في حصول هذا الوعد للخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

وقوله تعالى: ﴿ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ يدلّ على أنّ الدين الذي يظهر

وينتصر في عهدهم هو الدين المرضي لله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ وعدٌ بأنهم في عهد خلافتهم يكونون آمنين غير خائفين، ولا يشك أحد في حصول هذا الوعد للخلفاء الثلاثة في عهدهم رضي الله عنهم .

وقوله تعالى : ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ يدلّ على أنهم في عهد خلافتهم يكونون مؤمنين لا مشركين .

فدلّت هذه الآية على صحة إمامة الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم، ولا سيما في عهد الثلاثة منهم : أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين رضي الله عنهم ؛ لأنّ الفتوحات العظيمة والتمكين التامّ وظهور الدين والأمن الذي حصل في عهدهم لم يحصل مثله في عهد علي رضي الله عنه، فثبت أنّ ما يتفوّه به الشيعة في حق الثلاثة وأتباعِهم مِن سائر الصحابة رضي الله عنهم، وما يتفوه به الخوارج في حق عثمان وعلي رضي الله عنهما، باطل بنصّ القرآن الكريم، فلا يلتفت لأقوالهم ولا يُحتج بها على جمهور أهل الإسلام .

٦- وقال الله تعالى في سورة الفتح آية ٢٦ :

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ ، وقال الله تعالى في سورة الفتح أيضاً آية ٢٩ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ .

فقال الله تعالى في حق أصحاب محمد ﷺ أنهم مؤمنون وشركاء للرسول في

نـزول السكينة، وأنهم أحق بكلمـة التقوى وأهلهـا وأنها لازمة لهم غير منفكّـة عنهم، ومـــدحهم بأنهم أشـــدّاء على الكفـار ورحماء بينهم، وبـأنهم راكعـون وساجدون ويبتغـون فضل الله ورضوانه، ولا شكّ أنّ الخلفاء الأربعـة كانوا من أصحـاب محمد ﷺ، فهـم داخلون في هـذا الـوصف والمدح، ومن اعتقـد في حقهم وحق أتبـاعهم من الصحـابة غير هـذا فهـو مخطىء، وعقيدتـه باطلـة مخالفة لنصّ القرآن الكريم .

٧- وقال الله تعـالى في سورة الحجـرات آية ٧ :

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ .

ويُعلم مـن هـذه الآيـة أنّ أصحـاب رسـول الله ﷺ كـانـوا محبّي الإيمان وكارهي الكفر والفسوق والعصيان، وكانوا راشدين، فاعتقاد ضدّ هذه الأشياء في حقهم خطأ ومخالف لنصّ القرآن الكريم .

٨- وقال الله تعالى في سورة الحشر آية ٨-٩ : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

فمدح الله تعالى المهاجرين بأنّ هجرتهم ما كانت لأجل الدنيا، بل كانت لأجْل ابتغـاء مرضاة الله، ولنصرة ديـن الله ورسوله، وأنهم كـانوا صـادقين قولاً وفعلاً، ومدح الله تعالى الأنصار بأنهم كانوا يحبّون من هاجر إليهم، وأنهم كانوا

يُسَرّون إذا حصل خير للمهاجرين، وكانوا يؤثرونهم ويقدّمونهم على أنفسهم مع احتياجهم .

ولا شك أنّ مثل هذه الأوصاف تدلّ على كمال الإيمان، وقد شهد الله تعالى بصدقهم، وبما أنهم كانوا يقولون لأبي بكر رضي الله تعالى عنه : (ياخليفة رسول الله)، فوجب أنْ يكونوا صادقين في هذا القول، ووجب الجزم بصحة إمامته وخلافته، ومن اعتقد في حقّه أو حق المهاجرين والأنصار غير هذا فهو مخطىء، وعقيدته باطلة مخالفة لنصّ القرآن الكريم .

٩- وقال الله تعالى في سورة آل عمران آية ١١٠ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ .

فمدح الله تعالى أصحاب محمد ﷺ بأنهم خير أمّة، وأنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأنهم كانوا مؤمنين بالله، ولا شكّ أنّ الخلفاء الأربعة كانوا من هذه الأمّة المحمودة ، ومن يعتقد فيهم غير هذا فهو مخطىء ومخالف لصريح القرآن الكريم .

وفيما يلي بعض أقوال أئمة آل البيت :

١- ورد في كتاب (نهج البلاغة) الذي هو كتاب مقبول عند الشيعة قول عليّ رضي الله عنه : «لله درّ فلان (وفي رواية : لله بلاء فلان) فلقد : ١- قوّم الأوَدَ (الاعوجاج)، ٢- وداوى العَمَدَ (العلة)، ٣- وأقام السنّة، ٤- وخلّف البدعة (تركها)، ٥- ذهب نقيَّ الثوب، ٦- قليل العيب، ٧- أصاب خيرَها، ٨- وسبَق شرَّها، ٩- أدّى إلى الله طاعتَه، ١٠- واتّقاه بحقّه» .

والمراد بفلان على مختار أكثر الشارحين (منهم الفقيه كمال الدين البحراني الشيعي المتوفى سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) أبو بكر الصديق رضي الله عنه، واختار بعض الشارحين أنه عمر الفاروق رضي الله عنه، فذكر عليّ رضي الله عنه عشرة أوصاف من أوصاف أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما، ولمّا ثبتت هذه الأوصاف بعد مماتهما بإقرار عليّ رضي الله عنه، فما بقي شك في صحة الخلافة بعد رسول الله ﷺ .

ووقع في بعض مكاتيب عليّ رضي الله عنه قوله في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على ما نقله شارحو نهج البلاغة كما يلي : (لعمري إنّ مكانهما من الإسلام لعظيم؛ وإنّ المصاب بهما لجرحٌ في الإسلام شديد، رحمهما الله وجزاهما الله بأحسن ما عملا) .

٢- وورد في كتاب (كشف الغمّة) الذي صنّفه أحد معتمدي الشيعة الإمامية الاثني عشرية (علي بن عيسى الأردبيلي المتوفى سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م) قوله : «سُئل الإمام أبو جعفر (محمد الباقر) عليه السلام عن حلية السيف : هل يجوز ؟ فقال : نَعَمْ؛ قد حلّى أبو بكر الصدّيق سيفه . فقال الراوي : أتقول

هكذا؟! فوثب الإمام من مكانه فقال: نَعَمْ الصدّيق، نَعَمْ الصدّيق، نَعَمْ الصدّيق، فمن لم يقل له: الصدّيق، فلا صدّق الله قوله في الدنيا والآخرة».

ونقل صاحب كتاب (الفصول المهمّة) الذي هو من كبار علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية (محمد بن الحسن الحرّ العاملي) أنّ جماعة خاضوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فقال لهم أبو جعفر محمد الباقر: ألا تخبروني، أنتم من (المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغونَ فضلاً من الله ورضواناً وينصرونَ اللهَ ورسولَه) ؟ قالوا: لا. قال: فأنتم من (الذين تبوّءوا الدار والإيمانَ مِنْ قبلهم يحبّونَ مَنْ هاجرَ إليهم)؟ قالوا: لا . قال: أمّا أنتم فقد برئتم أنْ تكونوا أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ .

فثبت بإقرار أبي جعفر محمد الباقر رحمه الله تعالى أنّ أبابكر الصديق رضي الله عنه صدّيق حقّ، وأنّ منكره كاذب في الدنيا والآخرة، وأنّ الخائض في الصدّيق والفاروق وذي النورين رضي الله عنهم، خارجٌ عن جماعة المسلمين الذين مدحهم الله تعالى. نجّانا الله تعالى من سوء الاعتقاد في حق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وأماتنا على حبّهم . آمين .

الشبهة الثانيـة قولهم: (إنّ مـؤلفـي كتب الحديث مـا رأوا الـرسـول ولا شـاهدوا معجـزاته بـأعينهم، ولا سمعوا أقـواله منـه مبـاشرة بلا واسطـة، بل سمعوها بالتواتر بعد مائة أو مائتـي سنة من وفاته، ثم جمعوها وأسقطوا مقدار نصفها لعدم الاعتبار).

والجواب عن هـذه الشبهـة أنّ جمهور أهـل الكتاب سلفـاً وخلفـاً كانـوا يعتبرون الـروايات اللسـانية الشفـوية كـالمكتـوب، بل جمهور اليهـود يعتبرونها اعتباراً أزيد وأحسن من المكتوب، أمّا فرقة الكاثوليك فتعتبر الروايات الشفوية مساوية للمكتوب، وتعتقد أنّ كليهما واجب التسليم وأصل للإيمان.

موقف اليهود من الروايات الشفويّة:

إنّ اليهود يقسمـون قانونهم على نوعين: مكتـوب ويقولون لـه: التوراة، وغير مكتـوب ويقولـون له: الـروايات اللسـانية الشفـوية التـي وصلت إليهم بواسطة المشايخ، ويدّعون أنّ الله تعالى قد أعطى موسى كِلا النوعين على جبل الطور، فوصل إليهم أحـدهما بواسطة الكتابة، ووصل ثانيهما بـواسطة المشايخ بأنْ تناقلـوه شفوياً جيلاً بعـد جيل، ويعتقدون أنّ كليهما متساويـان في المرتبة ومن عنـد الله ويجب قبـولهما، بل يرجحـون الـروايات الشفـويـة على المكتوبـة ويقولـون: إنّ القانون المكتوب نـاقص ومغلق في كثير من المواضع، ولا يمكن أنْ يكـون أصل الإيمان على الـوجه الكـامل بـدون اعتبار الـروايـات الشفويـة اللسانية؛ لأنها أوضح وأكمل، وتشرح القانـون المكتوب وتكمّله، ولهذا يردّون معاني القانون المكتوب (التوراة) إذا كانت مخالفة للروايات اللسانية الشفوية.

واشتهر فيما بينهم أنّ العهد المأخوذ من بني إسرائيل ما كان لأجل القانون

المكتوب، بل كان لأجل هـذه الروايـات اللسانيـة، فكأنهم بهذه الحيلة نبـذوا القانـون المكتوب وجعلـوا الروايـات اللسانيـة مبنى دينهم وإيمانهم، ويفسّرون كلام الله على حسب هـذه الروايات وإنْ كان هذا المعنى الـروائي مخالفاً لمواضع كثيرة من كـلام الله المكتوب، ووصلـت حالـة اليهـود في زمان عيسى إلى حـدّ الإفراط حتى عظّموا هذه الروايـات أكثر من المكتوب، ووبخهم عيسى في هذا الأمر بأنهم يبطلون كلام الله لأجل سنّتهم، ويـوجد في كتبهم أنّ ألفاظ المشايخ الشفوية اللسانية أحب من ألفاظ التوراة، وألفاظ التوراة بعضها جيد وبعضها غير جيد، لكن ألفاظ المشايخ كلها جيدة، وأجود جدّاً من ألفاظ الأنبياء.

وهكذا أقـوال أخر يُعلم منها أنهم يعظّمون الـروايات اللسانيـة أكثر من القانون المكتـوب، ويفهمون القانون المكتوب على حسب ما تشرحـه الروايات اللسـانية الشفـوية، فكـأنّ القانـون المكتوب عنـدهم بمنـزلة الجسـد الميت، والروايات اللسانية الشفوية بمنزلة الروح التي بها الحياة.

ويقـولون: إنّ الله أعطـى موسـى التوراة وأمـره بكتـابتها (فهـي القانـون المكتوب)، وأعطاه أيضاً معاني التوراة وأمـره بتبليغها دون الكتابة (فهي القانون اللسـانيّ الشفـويّ)، فجـاء بهما مـوسى من الجبـل وبلّغ القـانـونيْن المكتـوب والشفـوي إلى هــارون وابنيْـه والمشـايـخ السبعين، ثم أخبر هـؤلاء ســائر بني إسرائيل، وبقيت الروايات الشفـوية تتناقل بالألسنة إلى أنْ بـدأ بجمعها الربي يهوذا حق دوش (يوضـاس) حوالي سنة ١٥٠م، ومكث في جمعهـا أربعين سنة بمشقّـة كبيرة، ثم دوّنها في كتـابٍ سمّاه: المشنـا، فهذا المشنـا يضم الـروايـات الشفوية التي تناقلها المشايخ بألسنتهم حـوالي سبعة عشر قرناً بعد موسى عليه

السـلام، ويعتقدون أنّ كـلّ ما فيـه هـو من عنـد الله مثل القـانون المكتـوب، وواجب التسليم والقبول مثله .

وقد كتب علماء اليهود شرحين على كتاب المشنا، أحدهما في القرن الثالث (وقيل الخامس) الميلادي في أورشليم القدس، والثاني في بـداية القرن السادس الميـلادي في بـابل، ويُسمّى الشرح (كمـرا) أيْ الكمال؛ لأنهم يعتقـدون أنّ التـوضيح التـام لمتن المشنا حصـل في هذيـن الشرحين، فإذا جُمع المتن والشرح (مشنا + كمرا) يقال لهذا المجموع (التلمود)، ويقال للتمييز: تلمود أورشليم، وتلمود بابل، وهـذا الشرح (كمرا) مملوء بالحكايات الواهيـة، لكنه معظّم عند اليهود، ويـدرسونه ويـرجعون إليه في كل مُشكِـلٍ، مذعنين بأنه مـرشد لهم . فمذهب اليهود الآن وعقيدتهم تؤخذ من هذين التلمودين البعيدَيْن عن التوراة وعن سائر كتب الأنبياء، ويقدّمون تلمود بابل على تلمود أورشليم .

فإذا كان اليهـود قد تناقلوا الـروايات اللسانيـة الشفوية سبعة عشر قـرناً ويقدمونها على التوراة، علماً أنهم تعرّضـوا خلال هذه المدة لآفات عظيمة ودواهٍ جسيمة أضاعت كتبهم المكتوبة ففقدت إسنـادها وتواترها ، ومع ذلك يعدّون الروايـات اللسانيـة هي مبنى إيمانهم وأصل عقـائدهم، فكيف يجوز الطعن في الأحاديث الشريفة المكتوبة بعد رسول الله ﷺ بقرن أو قرنين .

موقف جمهور قدماء النصارى من الروايات الشفويّة:

ذكر يـوسي بيس في تاريخه أنّ كليمنس عندما بيّن حـال يعقوب الحواري نقل حكايـات عن الروايـات اللسانية التـي وصلت إليه من الآبـاء والأجداد، ونقل في حق يوحنـا الحواري حكايات أخـذها من المحفوظ في الصـدور، وهو

(أيْ كليمنس) اعترف أنه كان ينقل الروايات اللسانية من عدة شيوخ، أحدهم سُرياني في اليونان، وثانيهم آشوري في المشرق، وثالثهم عبراني في فلسطين، ولكن الشيخ الذي نقل عنه الروايات اللسانية وكان أفضل من المشايخ كلهم ولم يطلب شيخاً آخر بعده هو الشيخ الذي كان مختفياً في مصر .

وذكر يوسي بيس أيضاً أنّ أرينيوس كتب ما وصل إليه بالرواية اللسانية من بوليكارب، وكانت الكنيسة تبلّغ عن بوليكارب بالرواية اللسانية، وكان أرينيوس يفتخر أنه لا يكتب في القرطاس، وإنما تعوّد من قديم الأيام أنْ يحتفظ بالأحاديث في صدره. وذكر أنّ أكناثيوس عندما مرّ في آسيا الصغرى قوّى الكنائس المختلفة وأوصاهم باللصوق بالروايات اللسانية لصوقاً قويّاً. وأنّ بيبيس كتب جميع الأشياء التي وصلت إليه من المشايخ وأتباعهم؛ لأنّ الفائدة التي حصلتْ له من ألْسنةِ الأحياء لم تحصل له من الكتب. وأنّ المؤرخ المشهور هجيسي بوس كتب مسائل الحواريين التي وصلت إليه بالرواية اللسانية بعبارة سهلة في خمسة كتب. وأنّ أساقفة كثيرين قبلوا روايات لسانية كثيرة في باب عيد الفصح قدّمها لهم بعض الأشخاص، فكتبها الأساقفة في كتاب وأرسلوا نقوله إلى الكنائس لإلزام الناس بها. وأنّ كليمنس اسكندر يانوس الذي كان من أتباع تابعي الحواريين ألّف كتاباً في بيان عيد الفصح استجابة لرغبة الأحبّاء الذين طلبوا منه تدوين الروايات اللسانية التي سمعها من الأساقفة .

وذكر جان ملنر الكاثوليكي في رسالته العاشرة التي كتبها إلى جيمس برون أنّ مبنى إيمان الكاثوليك ليس كلام الله المكتوب فقط، بل أعمّ من ذلك مكتوباً كان أو غير مكتوب، أيْ الكتب المقدسة والروايات اللسانية على ما

تشرح به كنيسة الكـاثوليك، فإنّ أرينيوس بيّن أنّ أسهل أمر لطـالبي الحقّ هو أنْ يتفحصوا الـروايات اللسانية؛ لأنـه وإنْ كانت ألْسنة الأقـوام مختلفة، لكن حقيقة الرواية اللسانية متحدة، والـروايات اللسانية المنقولة عن الحواريين جيلاً بعد جيـل كلها محفـوظة في كنيسة الـروم الكاثـوليك؛ لأنّ الحواريين سلّمـوها للناس، والناس سلّموها للكنيسة الكاثوليكية.

وذكر ملنـر في نفس الرسالـة أنّ ترتولين قـال بأنّ عادة أهل البـدعة أنهم يتمسكون بـالكتب المقدسـة ويرفضـون الروايات اللسـانية لِيُلْقـوا الضعفاء في شِباكهم، وليوقعوا المتوسطين في الشكّ، ولذلك لا نسمح لهؤلاء أنْ يستدلّوا في مناظراتهم بالكتب المقدسة؛ لأنّ المباحثة المستندة إلى الكتب المقدسة لا يحصل منها فـائدة سوى وجع الـدماغ والبطن، ولـو حصل شيء يكون نـاقصاً؛ لأنّ جميع أحكـام الـدين المسيحـي وعقائده التـي صرنا بسببهـا مسيحيين منقـولـة بالروايات اللسانية .

وذكر ملنر عن أوريجن قوله : لا يليق بنا تصديق الناس الذين ينقلون عن الكتب المقدسة ونترك الروايات اللسانية التي تبلّغها لنا كنيسة الله .

وذكر عن بـاسيليوس أنّ المسائل الكثيرة المحفوظة في الكنيسـة للوعظ بها أُخِذت بعضها من الكتب المقدسة وبعضهـا من الروايات اللسانية، وقوّتهما في الدين متساوية .

وذكر عن ابيفانس في ردّه على المبتـدعين أنه حضّ على استعمال الروايات اللسانية؛ لأنّ جميع الأشياء لا توجد في الكتب المقدسة .

وذكر عن كريزاستم أنّ الحواريين لم يبلّغوا كـل شيء بواسطة الكتابة، بل

بلّغوا أشيـاء كثيرة بالروايـات اللسانية، وكلتـاهما متساويتـان في الاعتبار؛ فإنّ الروايات اللسانية هي منشأ الإيمان، وإذا ثبت شيء بـالرواية اللسانية لا نطلب دليلاً آخر .

وذكر عن أكستاين أنّ بعض المسائل ليـس لها سند تحريريّ، وإنما تؤخذ من الرواية اللسـانية؛ لأنّ الأشياء الكثيرة تسلّمها الكنيسة العـامّة وهي ليست بمكتوبة .

وقد أورد الربي موسى قدسي شـــــواهد كثيرة على أنّ الكتاب المقــدّس لا يُفهم بدون الرواية اللسانية .

وكذلك عقائد النصارى كلهـا لم يثبت شيء منها بالإنجيل، بل يقبلونها بالـرواية اللسـانية مثل : أنّ الابـن مساوٍ لـلآب في الجوهر، وأنّ الـروح القدس منبثق من الآب والابن، وأنّ المسيح ذو طبيعتين وأقنـوم واحد ، وأنه ذو إرادتين إلهية و إنسانية، وأنه بعدما مات نزل الجحيم، وهكذا غيرها الكثير .

وذكـر الدكتـور بـريت أنّ الأشيـاء التي لها دخل في النجـاة ليست كلهـا مكتوبة؛ لأنّ الحواريين بلّغوا أحـاديث كتابة، وبلّغوا أحاديث أخـرى بالرواية اللسانية، والويل للذين لا يأخذون بها؛ لأنّ الأحاديث اللسانية في أمر الإيمان سند كالمكتوب .

وذكر أسقف مونيك أنّ التقرير اللساني درجته أزيد من المكتوب .

وذكر جلنك ورتهه أنّ النزاع فيما هو قانوني يزول بالرواية اللسانية التي هي قاعدة الإنصاف لكل نزاع .

وشهد أسقف ماني سيك بأنّ ستمائة أمر مقـررة في الدين، وتأمر الكنيسة

بها، ولم يبيّنها الكتاب المقدس في موضع من المواضع، وإنما تقبل من الرواية اللسانية .

وقال وليم ميور بأنّ قدماء المسيحية ما كان عندهم عقيدة مكتوبة من عقائد الإيمان التي اعتقادها ضروريّ للنجاة، وكانت تعلَّم للأطفال وللذين يدخلون في الملة المسيحية تعليماً لسانيًّا .

وبعد أنْ عرفنا حال اليهود والنصارى معاً في اعتبارهم الرواية اللسانية أكثر من المكتوب، فلماذا الطعن في الأحاديث النبوية وقد قال ﷺ: «اتقوا الحديث عني إلاّ ما علمتم فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار»، وهذا الحديث متواتر رواه اثنان وستون صحابيًّا .

ولذلك كان اهتمام المسلمين في حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية منذ القرن الأول أشدّ من اهتمام النصارى في حفظ كتبهم المقدسة، لكن الصحابة لم يدوّنوا الأحاديث في عهدهم لبعض الأعذار، منها الاحتياط التامّ لأجْل أنْ لا يختلط كلام الرسول ﷺ بكلام الله تعالى، ولكن أتباع الصحابة شرعوا في تدوينها بدون ترتيب على أبواب الفقه، ولَـمّا كان هذا الترتيب حسناً ضبطها تابعو التابعين على هذا الترتيب، وكان اجتهادهم في أمر الأحاديث والتحرّي اجتهاداً عظيماً، حتى إنه صنف فنٌّ عظيم الشأن في أسماء الرجال لمعرفة حال كل راوٍ من رواة الأحاديث مِن حيث الديانة والحفظ، وروى كلٌّ من أصحاب الصحاح الأحاديث بالإسناد منهم إلى رسول الله ﷺ، وبعض الأحاديث ثلاثية، أيْ تصل إلى الرسول ﷺ بثلاث وسائط، وقسّمت الأحاديث إلى ثلاثة أقسام: متواتر ومشهور وآحاد .

وقول الطاعن : (جمعوها وأسقطوا مقدار نصفها لعدم الاعتبار) غلط ؛ لأنّ رواة الأحاديث ما أسقطوا إلاّ الأحاديث الضعيفة التي لم تكن أسانيدها كاملة ، وتركها لا يضر، وأهل الإسلام جميعاً يقبلون الأحاديث الصحيحة المروية في كتب الحديث المعتبَرة، أمّا الأحاديث المروية في كتب غير معتبرة، فلا يقبلها أهل الإسلام، ولا تعارض الصحيحة .

وبهذا ثبت أنه لا مجال لأحد أنْ يطعن على أهل الإسلام في قبولهم أحاديث نبيّهم ﷺ .

ويناسب لبيان حال النصارى في هذا المقام ذكر الحكاية التي نقلها جان ملنر في كتابه المطبوع سنة ١٨٣٨م وهي : أنّ القديسة الفرنسية جان دارك (وتُدْعى عذراء أورليان) والمولودة سنة ١٤١٢م، بدأت الشعوذة في سن السادسة عشرة وصار لها أتباع، ثم ادّعت أنها هي المرأة التي ورد في حقها في سفر رؤيا يوحنا ١٢/ ١-٢ مايلي : (١) وظهرتْ آيةٌ عظيمةٌ في السماءِ امرأةٌ متسربلةٌ بالشمسِ والقمرُ تحتَ رجليْها وعلى رأسِها إكليلٌ مِن اثنيْ عشر كوكباً (٢) وهي حُبْلى تصرُخُ متمخِّضةً ومتوجِّعةً لتلِدَ) .

فادّعت أنها حبلى من عيسى عليه السلام، فتبعها كثير من النصارى ، وفرحوا فرحاً شديداً بهذا الحمل، وصنعوا أطباق الذهب والفضة لاستقبال المولود الإلهي .

قال الشيخ رحمت الله معلِّقاً على هذه القصة : هل حصلتْ رتبة الألوهية لهذا الولد السعيد مثل أبيه أم لا ؟! وفي صورة الحصول : هل بُدّل اعتقاد التثليث بالتربيع أم لا ؟! وكذا هل بُدّل لقب الله الآب بالجدّ أم لا ؟!

فانظروا إلى أبناء صنف القسيسين كيف يُتلاعب بعقولهم؟! ومن كان هذه حاله وعقله فليس له أنْ يطعن على دين الإسلام وكتابه ونبيه ﷺ .

اللهم وفقنا للإيمان والهدى، وجنّبنا الضلالة والردى .

الباب الرابع

إثبات نبوة نبيّنا محمد ﷺ

وفيه :

- ستة مسالك

- وأربع بشارات :

المسلك الأول: ظهور المعجزات الكثيرة على يده ﷺ، وهي نوعان :

أما النوع الأول: ففي بيان إخباره عن المغيبات الماضية والمستقبلة .

أمّا المغيبات الماضية فكثيرة جداً ، كقصص الأنبياء ، وقصص الأمم البالية، من غير أنْ يسمعها من أحد ولا تلقنها من كتاب ، وإلى هذا المعنى وردت الإشارة في قوله تعالى في سورة هود آية ٤٩ :

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ . والمخالفة الحاصلة بين القرآن الكريم وبين كتب أهل الكتاب في بيان بعض القصص هي مخالفة قصدية؛ لبيان أنّ هذه الكتب محرفة ، وأنّ القرآن الكريم أتى بالحق كما قال تعالى في سورة النمل آية ٧٦ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

وأما المغيبات المستقبلة فكثيرة جداً أيضاً وردت في الأحاديث ، مثل :

١- أنّ الرسول ﷺ أخبر الصحابة بفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق ، وأنّ الأمن يظهر حتى ترحل المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلاّ الله ، وأنّ خيبر تُفتح على يد علي رضي الله عنه في غد يومه ، وأنهم يقسمون كنوز فارس والروم ، وأنّ بنات فارس تخدمهم ، وأنّ فارس ستزول ولا فارس بعدها ، وأما الروم فذات قرون كلما هلك قرن خلفه قرن آخر ، والمراد بالروم الفرنج وسائر النصارى، وهذه الأمور كلها وقعت في زمن الصحابة رضي الله عنهم كما أخبر ﷺ .

٢- وأخبر أنّ الفتن لا تظهر مادام عمر حيّاً ، وكان كما أخبر ، وكان عمر رضي الله عنه سدّ باب الفتنة .

٣ــ وأ خبر ﷺ أنّ عثمان يُقتل وهو يقرأ في المصحف ، وأنّ أشقى الآخِرين الذي يقتل عليّاً ، وأنّ عماراً تقتله الفئة الباغية ، فاستشهد الثلاثة رضي الله عنهم كما أخبر ﷺ .

٤ـ وأخبر ﷺ أنه يظهر في قبيلة ثقيف كذاب (متنبىء) ومُبير (مهلِك)، فظهرا كما أخبر ﷺ ، فقد ادّعى النبوة المختار الثقفي ، فقاتله أمير البصرة (مصعب بن الزبير) فقتله في الكوفة سنة ٦٧هـ / ٦٨٧م، والمهلِك هو الحجاج الثقفيّ المتوفّى سنة ٩٥هـ/ ٧١٤م.

٥ـ وأخبر ﷺ أنّ الوباء يكون بعد فتح بيت المقدس ، فكان كما أخبر ﷺ ، فقد ظهر هذا الوباء بعد فتح القدس بثلاث سنوات في خلافة عمر رضي الله عنه في قرية عمواس البعيدة عن القدس حوالي ٢٠كم ، وبها كان اجتماع العسكر، وكان هو أول طاعون وقع في الإسلام ، مات به سبعون ألفاً .

٦ـ وأخبر ﷺ أمّ حرام بنت ملحان النجارية الأنصارية ، أنها وناساً من أُمّته يركبون البحر غزاة في سبيل الله ، فركبت البحر مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنهما لفتح جزيرة قبرص بقيادة أمير الشام معاوية رضي الله عنه في خلافة عثمان رضي الله عنه ، فلما خرجت من البحر وقُرّبت إليها دابّتها لتركبها فصرعتها فماتت ودفنت في موضعها سنة ٢٧هـ/ ٦٤٧م ، وكانت أول امرأة ماتت في غزو المسلمين للبحر .

٧ـ وأخبر ﷺ أنّ ابنته فاطمة أول أهله لحوقاً به ، فتوفيت رضي الله عنها في رمضان سنة ١١هـ / ٦٣٢م بعد ستة أشهر من وفاته ﷺ .

٨ـ وأخبر ﷺ أنّ الحسن بن علي رضي الله عنهما سيّدٌ، وسيُصلح الله به

بين فئتين عظيمتين ، ووقع كما أخبر ﷺ ؛ لأنـه بويع بـالخلافة بعد مقتـل أبيه سنة ٤٠هـ ، ودامت خلافته سبعة أشهر، ثم كره اقتتال المسلمين، فتنازل عن الخلافة في جمادى الأولى سنة ٤١هـ لمعاوية رضي الله عنه، فأصلح الله به بين أهل العراق وأهل الشام ، وسُمّي هذا العام عام الجماعة.

٩ـ وأخبر ﷺ أنّ الحسين بن علي رضي الله عنهما يُقتل بالطَّفّ (مكان في ناحية الكوفة على شط نهر الفرات ويعرف الآن بكرْبلاء)، فكان كما أخبر ﷺ.

١٠ـ وأخبر ﷺ سراقة بن جعشم أنه يلبس سواريْ كسرى ، فلما أُتي بهما عمر رضي الله عنـه في خلافته ألبسهما إياه تنفيذاً لوعـد النبي ﷺ ، وقال عمر رضي الله عنه : الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة .

١١ـ وأخبر ﷺ خـالد بن الوليـد رضي الله عنه حين وجهـه لأكيدر بن عبدالملك الكندي -صـاحب دومة الجندل- أنه يجده يصيـد البقر ، فكان كما أخبر ﷺ .

١٢ـ وأخبر ﷺ أنّ ناراً ستخـرج من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل في بصرى ، فخرجت هـذه النار العظيمـة قرب المدينة المنـورة في جمادى الآخرة سنـة ٦٥٤هــ، واشتـدت حتى اضطـربـت الأرض بمن عليهــا ، وارتفعت الأصوات لخالقهـا، وأيقن أهل المدينة بـالهلاك ، وبقي الناس في زلزال شـديد حتى انطفأت في ٢٧ رجب ، وأخبار هذه النار مدوّنة في كتب التواريخ ، وفيها كتب مستقلة، وذكـرها البخـاري ومسلم في صحيحيهما قبل ظهورهـا بمقدار أربعمائة سنة .

وأما النوع الثاني : ففي الأفعال التي ظهـرت منه ﷺ على خلاف العـادة وقد أحصاها العلماء فزادت على ألف ، مثل :

١- الإسراء والمعراج :

قال الله تعالى في سورة الإسراء آيـة ١ : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ .

ولاشكّ أنّ الإسراء والمعـراج كان في اليقظـة بـالروح والجسـد؛ لأنّ لفظ العبد يطلق عليهما معاً ، ولذلك استبعد الكفار هذا الأمر وأنكروه ، ولو لم يكن بالجسد وفي اليقظة ما كان سبباً لـلاستبعاد والإنكار؛ لأنّ مثل هذا في المنامات لا يستبعد ولا ينكـر ، ألا ترى لو أنّ شخصـاً ادّعى أنه طار في نـومه في الشرق وفي الغرب وهو لم يتحول عن مكانه ولم تتبدل حاله الأولى لم ينكر أحد عليه .

فالإسراء والمعراج الحاصـل لمحمد ﷺ بالجسد والـروح معاً وفي اليقظة لا استحالة فيه عقلاً ولا نقلاً .

أما عقلاً : فـلأنّ الله تعـالى خالق العـالم ، وهـو على كل شيء قديـر ، وحصول الحركـة البالغة السُّرعة في جسـد محمد ﷺ أمر يسير على اللـه تعالى ، وغاية ما فيه أنه خلاف العادة ، وهكذا المعجزات كلها تكون خلاف العادة .

وأما نقلاً : فـلأنّ صعـود الجسم إلى السماوات ليس بممتنـعٍ عنـد أهل الكتاب لمايلي :

أ- ورد في سفر التكـوين ٥/ ٢٤ : (وسـار أخنوخُ مع اللـه ولم يوجـدْ لأنّ الله أَخَذَه) ، فهـذا نص على أنّ النبي أخنـوخ (إدريس عليه السـلام) رُفع إلى السماء حيّاً ، ودخل بجسده ملكوت السماء .

ب - ورد في سفر الملوك الثاني ٢/ ١و١١ : (١) وكان عند إصعادِ الربِّ إيليّا في العاصفةِ إلى السماءِ أنّ إيليّا وأَليشَعَ ذهبا من الجِلْجال (١١) وفيما هما يسيرانِ ويتكلّمانِ إذا مركبةٌ من نارٍ وخيلٌ من نارٍ ففصَلتْ بينهما فصعِد إيليّا في العاصفةِ إلى السماءِ) . وهذا نص على أنّ النبي إيليّا رُفع إلى السماء بجسده حيّاً .

وهذان النصان مسلّمان عند القسيسين ، وهم يعتقدون أنّ المسيح عليه السلام بعدما مات ودُفن في القبر قام حيّاً وصعد بجسده إلى السماء وجلس عن يمين أبيه ، فلا مجال لهم أنْ يعترضوا على معراج محمد ﷺ لا عقلاً ولا نقلاً .

٢- انشقاق القمر:

قال الله تعالى في سورة القمر آية ١-٢ : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۞ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ .

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على وقوع حادثة انشقاق القمر لمحمد ﷺ ، فهي حادثة متواترة منصوص عليها في القرآن الكريم ومروية في الصحيحين وغيرهما ، وأقوى شبه القسيسين عندهم أنّ هذه الحادثة لو وقعت لم تخفَ على أهل الأرض كلهم ، ولنقلها مؤرخو العالم ، وهي عندنا شبهة ضعيفة جدّاً لما يلي :

أ - أنّ حادثة طوفان نوح عليه السلام حادثة عظيمة جدّاً وكانت على الأرض كلها ، ومذكورة في الإصحاحين السابع والثامن من سفر التكوين، ومع ذلك فإنّ مشركي الهند والفرس والكلدانيين وأهل الصين ينكرون هذه الحادثة إنكاراً بليغاً ، وأما ملاحدة نصارى الغرب فيستهزئون بها

وينكرونها، ويتجاوزون الحدَّ في إساءة الأدب على اللـه تعالى وعلى نبيه نوح عليه السلام، فهل يرضى القسيسون بإنكـار الأمم المشرقية لحادثة الطوفان وباستهزاء الملاحدة من قومهم ؟ !

ب - أنّ حادثة وقوف الشمس يوماً كامـلاً ليوشع (يشوع بن نون) مذكورة في سفـر يشوع ١٠/ ١٢-١٣ ، وذكـر مؤرخـو أهل الكتـاب ومفسروهم بأنها دامت إلى أربع وعشرين سـاعة ، فهذه الحادثة العظيمـة التي وقعت سنة ١٤٥٠ ق . م يجب أنْ يراها سكان الأرض كلهم؛ لأنّ السحاب الغليظ لا يمنع العلم بها في المناطق التي كان عليها النهار ، وأما سكان المناطق التي كان عليها الليل فلا بدّ أنْ يعلمـوا بهذه الحادثة لامتداد ليلهم بمقدار أربع وعشرين ساعة ، ومع ذلك فإنّ مشركي الهند والفرس وأهل الصين ينكرونها ولم تُـذكر في تـواريخهم ، ومـلاحدة أوروبـا يستهـزئون بها ويوردون عليهـا اعتراضـات ، فهل يقبـل القسيسـون بإنكـار الأمـم المشرقيـة لهذه الحادثـة وباعتراضات أبنائهم الملاحدة ؟ !

حـ - أنّ متّى روى في إنجيله ٢٧/ ٥١ ـ ٥٣ عـدة حوادث عظيمة وقعت بعد حادثة الصلب مباشرة، وهي : انشقاق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل ، وتزلزل الأرض ، وتشقق الصخور ، وتفتّـح القبور ، وقيام كثير من أجساد القديسين الموتى ، وخـروجهم من القبور ، ودخولهم القـدس ، وظهورهم لكثيرين ، وهـذه الحوادث كـاذبـة يقينـاً لكن نقـول : إنّ هـذه الحوادث العظيمة غير مـذكورة في كتب الـرومان ولا في كتب اليهـود ، بل لم يذكـرها إنجيل يـوحنا ، وأما إنجيـل مرقس وإنجيل لـوقا فـذكرا انشقـاق حجاب

الهيكل فقط ولم يـذكرا باقي الأمـور العظيمة ، علماً أنّ ذكْرهـا أولى من ذكر صراخ المصلوب وأمور أخرى لا قيمـة لها اتفقا على ذكرها ، وعلماً أنّ بعض الأمور يبقى أثرها بعد الوقوع كتشقق الصخور وتفتّح القبور ، والعجب من متّى أنه لم يـذكر أنّ هـؤلاء القديسين بعد خـروجهم من قبورهم أحيـاء أين ذهبوا ؟! هل بقـوا على قيد الحياة أم رجعـوا إلى قبورهم ؟! ولـذلك استهزأ بعضهم بهذه المبالغات الشنيعة فقال : لعل متّى رآها في المنام . ويفهم من عبارة إنجيل لوقا أنّ انشقاق حجـاب الهيكل كان قبل وفاة المصلوب ، بينما يفهم مـن عبارتيْ متّـى ومرقـس أنه بعـد وفـاة المصلـوب . فكيف يعـالج القسيسون هذه المعضلات ؟!

د ــ أنه ورد في إنجيـل متّى ٣/ ١٦ ـــ ١٧ وإنجيـل مرقـس ١/ ١٠ ـــ ١١ وإنجيل لـوقـا ٣/ ٢١ ـــــ ٢٢ أنّ يحيى عمّـد عيسى عليهما السـلام في نهر الأردن ، وفي وقت صعـود عيسـى من الماء ، انشقـت السماوات وانفتحت ونزل عليـه الروح القدس بهيئـة جسمية في شكل حمامة ، وقـال صوت من السماوات : هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرتُ .

فانشقاق السماوات لمّا كان في النهار فلا بدّ أنْ يراه أكثر أهل العالم ، وكذا رؤيــة الحمامـة المجسّمـــة وسماع الصــوت لا يختص بـــواحـد دون غيره مــن الحاضرين، ومع ذلك لم يكتب أحد من مؤرخي ذلـك الزمان هذه الحادثة غير الإنجيليين الثلاثة ، ولذلك صارت سبباً لاستهزاء ملاحدة أوروبا فقالوا : لماذا أبقانا متّى محرومين من معرفة الأبواب التي انفتحت في السماوات هل هي أبوابها الكبيرة أم المتوسطة أم الصغيرة ؟! وفي أيّ جانب منهـا كانت هذه الأبواب؟!

وقسوسنا يضربون رؤوسهم متحيرين في تعيين ذلك . ولماذا لم يخبرنا متّى عن الحمامة هل أخذها أحد وحبسها في القفص أم رأوها راجعة إلى السماوات ؟! وإذا رجعت إلى السماوات فهل بقيت أبوابها مفتوحة كل هذه المدة ؟! وهل رأوا باطن السماوات بوجه حسن ؟! فماذا يقول القسيسون في هذه التساؤلات؟! إذن فالاعتراض على معجزة انشقاق القمر لمحمد ﷺ اعتراض باطل ولا قيمة له .

٣ـ معجزة تكثير الماء القليل :

وهذه المعجزة صدرت منه ﷺ في مواطن متعددة ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان بالزوراء عند سوق المدينة وحانت صلاة العصر ، فالْتمس الناس الماء ليتوضؤوا فلم يجدوه، فوضع رسول الله ﷺ يده في إناء به ماء قليل ، فجعل الماءُ يفور من بين أصابعه حتى توضأ الناس عن آخرهم .

وروى جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنّ الناس عطشوا يوم الحديبية ، ولم يكن عندهم ماء ، وكان بين يدي الرسول ﷺ إناء صغير به ماء قليل ، فوضع ﷺ يده في الإناء فجعل الماءُ يفور من بين أصابعه أمثال العيون ، وكان الناس ألفاً وأربعمائة .

وروى جابر أنّ الناس لم يجدوا الماء في غزوة بواط ، فجاء جابر بجفنة فوضع النبي ﷺ يده فيها وصبّ عليه جابر قليلاً من الماء، فدارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت ، وأمر الناسَ بأنْ يتوضؤوا ويستقوا حتى لم يبق لأحد منهم حاجة بالماء ، ورفع الرسول ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى .

وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّ الناس في غزوة تبوك لمّا وردوا العين وجدوها مثل الشِّراك، أيْ ضعيفة مثل سَيْر النعل، فغسل الرسول ﷺ وجهه

ويديه في العين، فَجرتْ بماء كثير له حسٌّ كحسِّ الصواعق، فاستقى الناسُ، ثم قال ﷺ : يوشك يا معاذ إنْ طالت بك حياة أنْ ترى ما ههنا قد ملىء جناناً.

وروى عمر رضي الله عنه أنّ الناس أصابهم العطش في جيش العسرة حتى إنّ الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، فرغب أبوبكر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ في الدعاء، فرفع ﷺ يديه فلم يرجعهما حتى انسكبت السماء، وملؤوا آنيتهم، ولم تجاوز العسكر.

وروى عمران بن حصين رضي الله عنه أنه أصاب النبيَّ ﷺ وأصحابه عطش في بعض أسفارهم، فوجّه رجلين إلى مكان كذا، وأعلمهما أنهما يجدان امرأة معها بعير عليه مزادتان (المزادة تشبه القِربة) فذهبا فأتيا بها، فدعا الرسول ﷺ ربَّه، ثمّ أمر الناسَ فملؤوا آنيتهم حتى لم يَدَعوا شيئاً إلاّ ملؤوه، والمزادتان لم تنقصا، ثم جمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها وقال لها: اذهبي فإنّا لم نأخذ من مائك شيئاً ولكن الله سقانا.

٤ـ معجزة تكثير الطعام القليل:

وهذه أيضاً وقعت عدة مرات، فقد روى جابر رضي الله عنه أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه، فأعطاه شطر وسق شعير، فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال ﷺ: لو لمْ تكِلْهُ لأكلتم منه ولقام بكم.

وعن جابر رضي الله عنه أنه عجن صاعاً من شعير وطبخ عَنَاقاً (أنثى المعز دون السنة) يوم الخندق، فبصق النبي ﷺ في العجين والقِدر وبارك،

فأطعم من الصاع والعَناق ألف رجل في ذلك اليوم .

وعن جابر رضي الله عنه أنّ والده مات وعليه دين ، فجاء غرماء أبيه ولم يكن الثمر يكفي لسداد ديونهم ، فبذل لهم جابر أصل ماله فلم يقبلوه ، فأخبر النبي ﷺ فأمره بقطف الثمار وجعْلها بيادر (أيْ أكوام)، فمشى فيها النبي ﷺ ودعا ، فأوفى جابر دين غرماء أبيه ، وزاد منها مثل ما كانوا يقطفون كل سنة .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه جاء إلى النبي ﷺ بأقراص شعير تحت إبطه ، فأطعم النبيُّ ﷺ منها ثمانين رجلاً .

وعن أنس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ حين تزوج بزينب أمره أنْ يدعو له قوماً سمّاهم ، حتى امتلأ البيت والحجرة ، فقدّم لهم إناءً صغيراً فيه قَدْر مُدٍّ من تمر جُعل حيساً ، فوضعه وغمس فيه ثلاث أصابعه ، وجعل القوم يتغدّون ويخرجون ، وبقي الإناء نحواً مما كان .

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه صنع للرسول ﷺ ولأبي بكر رضي الله عنه طعاماً يكفيهما فقط ، فأمره النبي ﷺ أنْ يدعو ثلاثين من أشراف الأنصار ، فدعاهم فأكلوا وخرجوا ، ثم أمره أنْ يدعو ستين ، فدعاهم فأكلوا وخرجوا ، ثم أمره أنْ يدعو سبعين ، فدعاهم فأكلوا وخرجوا ، قال أبو أيوب رضي الله عنه : فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ أُتي بقصعة فيها لحم ، فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون .

وعن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أنهم كانوا عند النبي ﷺ مائة

وثلاثين رجلاً ، فعُجن صاع من طعام ، وصُنعت شاة ، فشوي سواد بطنها (الكبد، وقيل : حشو البطن كله)، فلم يبق أحد من المائة والثلاثين إلا أخذ قطعة لحم، وجُعل الباقي في قصعتين حتى أكل الجميع ، وحمل عبدالرحمن ما فضل على البعير .

وعن سلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم أنّ مخمصة أصابت الناس مع رسول الله ﷺ في بعض الغزوات (وفي بعض الروايات أنها غزوة تبوك)، فدعا ببقية الأزواد ، فجاؤوا بما معهم من الطعام ، وأعلاهم الذي يأتي بالصاع من التمر ، فجُمع على بساط كربضة العنز (أيْ كقدر العنزة وهي رابضة) ، فدعا الرسول ﷺ الناس أنْ يملؤوا أوعيتهم، فما بقي في الجيش وعاء إلاّ ملؤوه ، وبقي منه .

٥ـ كلام الشجر والحجر وشهادتهما له بالنبوة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ الرسول ﷺ دعا أعرابيًّا إلى الإيمان برسالته ، فقال الأعرابي : من يشهد لك على ما تقول ؟ فقال ﷺ : هذه الشجرة السمُرة ، وهي بشاطئ الوادي ، فأقبلتْ تشقّ الأرض حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً ، فشهدت أنه كما قال ، ثم رجعت إلى مكانها .

وعن جابر رضي الله عنه أنّ رسول ﷺ ذهب ليقضي حاجته ، فلم يرَ شيئًا يستتر به ، فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي ، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي عليَّ بإذن الله ، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائدَه (أيْ البعير الذي جُعل في أنفه حلقة فيها الخطام ليكون أسرع لانقياده) ، وفعل بالشجرة الأخرى مثل ذلك ،

حتى إذا كان بينهما قال : الْتَئِما عليَّ بإذن الله ، فالْتأمتا ، فلما قضى حاجته افترقتا وعادت كل واحدة منهما إلى منبتها ، وقامت على ساق .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال لأعرابي : أرأيتَ إنْ دعوتُ هذا العَذْقَ من هذه النخلة ، أتشهدُ أني رسول الله ؟ قال : نعم ، فجعل العَذْقُ ينقز (أيْ يثب صُعُداً) حتى أتاه ، فقال رسول الله ﷺ : ارجع ، فرجع إلى مكانه .

وعن بُرَيْدة بن الحُصَيْب أنّ أعرابيًّا سأل النبي ﷺ آيةً على نبوّته ، فقال للأعرابي : قل لتلك الشجرة : رسول الله يدعوكِ ، فقال ، فمالت الشجرة عن يمينها وعن شمالها ، فتقطّعت عروقها ، وجاءت تشقّ الأرض حتى وقفت بين يديه ﷺ فقالت : السلام عليك يا رسول الله ، فقال الأعرابي : مُرْها فلْترجع إلى منبتها ، فرجعت ، فقال الأعرابي : ائذن لي أسجدْ لك ، فقال ﷺ : لا ينبغي السجود إلا لله تعالى ، فقال : ائذن لي أُقَبِّلْ يديك ورجليك ، فأذن له .

وروى بضعة عشر من الصحابة رضي الله عنهم أنّ المسجد النبوي كان مسقوفاً على جذوع من نخل ، وكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صُنع له المنبر وكان عليه ، سمعوا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشار من الإبل ، حتى انشقّ الجذع ، وارتجّ المسجد لشدة خواره ، وكثر بكاء الناس ، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت ، وقال : إنّ هذا بكى لِـمَا فقد مِن ذِكْرِ الله تعالى ، والذي نفسي بيده لو لم ألْتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة ، ثم أمر به النبي ﷺ فدفن تحت المنبر .

وهذا الخبر بأنين الجذع وحنينه باعتبار مبناه مشهور عند السلف

والخلف ، وباعتبار معناه متواتر يفيد العلم القطعي .

وروى ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا نسمع تسبيح الطعام مع رسول الله ﷺ وهو يأكل .

٦ـ سقوط الأصنام :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً مثبتة في الحجارة بالرصاص ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد عام الفتح ، جعل يشير إليها بقضيب كان في يده ويقول (جاء الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنّ الباطلَ كان زهوقاً) ، فما أشار لوجه صنم إلاّ وقع لقفاه ، ولا لقفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم ، فأمر بإخراجها .

٧ـ شفاء العِلل بريقِه وكفِّه المباركة ﷺ :

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنّ عين قتادة بن النعمان أصيبت يوم أُحد حتى وقعت على وجنته ، فردّها رسول الله ﷺ ، فكانت أحسن عينيه .

وعن عثمان بن حُنَيف رضي الله عنه أنّ أعمى جاء إلى النبي ﷺ فقال له : ادع الله أنْ يكشف لي عن بصري ، فعلّمه الرسول ﷺ دعوات يدعو بها ، فرجع وقد كشف الله عن بصره .

ابن ملاعب الأسنّة أصابه استسقاء فبعث رجلاً إلى النبي ﷺ ، فأخذ بيده حَثْوةً من الأرض ، فتفل عليها وأعطاها للرجل ، فأتاه بها وهو مشرف على الموت ، فشربها فشفاه الله تعالى .

وعن حبيب بن فديك رضي الله عنه أنّ أباه ابيضت عيناه ، فكان لا يبصر بهما شيئًا ، فنفث رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر، فكان يُدخل الخيط في

الإبرة وهو ابن ثمانين سنة .

وتفل ﷺ يوم خيبر في عيني عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكان رَمِداً، فَبَرَأ حتى كأنْ لم يكن به وجع .

ونفث ﷺ يوم خيبر على ضربة بساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فبرأت .

وجاءت إلى النبيّ ﷺ امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلّم، فأُتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه، ثم أعطاها الماء فسقتْه للصبيّ ومسّتْه به ، فبرأ وعقل عقلاً يفضل عقول الناس .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ امرأة جاءت بابن لها به جنون ، فمسح النبي ﷺ صدره ، فقاء فخرج من جوفه مثْلُ الجرو الأسود وشفي .

وانكفأت القِدْر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل، فمسح عليها النبيّ ﷺ وتفل فيها، فَبَرأت لحينها .

وكانت غدّة في كفّ شرحبيل الجعفي ، تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة ، فشكاها للنبي ﷺ ، فمازال يطحنها بكفّه حتى رفعها ولم يبق لها أثر.

٨ ـ إجابة دعائه ﷺ :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ دعا له فقال : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته . قال أنس : فوالله إنّ مالي لكثير ، وإنّ ولدي وولد ولدي ليُعادّون اليوم على نحو المائة .

ولَـمَّا مزق كسرى كتاب النبي ﷺ دعا عليه أنْ يمزق الله ملْكَه ، فلم تبق له باقية ، ولا بقيتْ لفارس رئاسة في سائر أقطار الدنيا .

وأنشد النابغةُ الجعديُّ أبياتـاً عند رسول الله ﷺ ، فقال له : لا يفضض اللهُ فـاكَ ، فما سقطت له ســنّ ، وكان من أحسن النـاس ثغراً ، وعـاش مائة وعشرين سنة ، وقيل : كان إذا سقطت له سنّ نبت في مكانها سنٌّ أخرى .

وعن أنس رضي الله عنه أنّ أعرابيًّـا دخل المسجد يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فشكا القحط، فدعا اللهَ فسُقوا ، ولم يروا الشمس إلى الجمعة الأخرى ، حتى دخـل الأعـرابيّ عليـه ﷺ وهـو يخطب، فشكـا كثـرة المطـر، فـدعـا اللهَ فانكشف السحاب .

وكـان عتبة بـن أبي لهب يسبّ النبي ﷺ ويـؤذيـه كثيراً ، فدعـا اللـه أنْ يسلِّط عليه كلباً من كلابه ، فخرج عتبة في قافلة إلى الشام ، فنزل منزلاً فقال : إني أخاف دعوة محمد ، فجعلـوا متاعهم حوله وقعدوا يحرسـونه ، فجاء الأسد وأخذه من وسط أصحابه فذهب به .

ودعا ﷺ على مُحَلِّـم بن جُثَامـة فأصبح ميتـاً ، فدفنـوه فلفظته الأرض ، فدفنوه مراراً فلفظته الأرض ، فتركوه .

وقال ﷺ لرجل يأكل بشماله : كلْ بيمينك، فقال الرجل : لا أستطيع ، ما منعه إلاّ الكبْر، فقال له النبي ﷺ : لا استطعت . فما رفعها إلى فيه .

وأكتفي بما ذكر؛ لأنّ مثل هذه المعجـزات التي جرت على يديه ﷺ كثيرة تزيد على ألف ، وهـذه المعجزات وإنْ لم تتواتر كل واحـدة منها ، لكن القدر المشترك بينها متـواتر بلا شبهـة ، كشجاعة عليّ وسخـاوة حاتم ، وهـذا القدر المشترك المتواتر يكفي لإثبات ظهور المعجـزات المتنوّعة على يديه ﷺ وللردّ على من ينكر ذلك .

المسلك الثاني : أنه ﷺ قد اجتمع فيه من الأخلاق العظيمة والأوصاف الجليلة والكمالات العملية والعلمية والمحاسن الراجعة إلى النفس والبدن والنَّسَب والوطن ما يجزم العقل بأنه لا يجتمع في غير نبيّ ، فإنّ كل واحد منها وإنْ كان يوجد في غير النبيّ أيضاً ، لكن مجموعها مما لا يحصل إلاّ للأنبياء ، فاجتماعها في ذاته ﷺ من دلائل النبوة ، وقد أقرّ المخالفون أيضاً بوجود هذه المحاسن والأخلاق العظيمة في ذاته ﷺ .

المسلك الثالث : أنّ شريعته ﷺ اشتملت على الاعتقادات والعبادات والمعاملات والسياسات والآداب والحِكَم بأكمل وجه ، ومَن نظر إلى هذا الكمال والشمول في شريعته ﷺ علم يقيناً أنها من الوضع الإلهي والوحي السماوي ، وأنّ المبعوث بها نبيّ مرسل من الله تعالى ، ولا منشأ للاعتراض عليها إلاّ حبّ العناد الصرف والاعتساف .

المسلك الرابع : أنّه ﷺ ظهر بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة فيهم ، فجاءهم بالكتاب المنير والحكمة الباهرة ، وحثهم على الإيمان والعمل الصالح ، وقام مع ضعفه وفقره وقلّة أعوانه مخالفاً لجميع أهل الأرض آحادهم وأوساطهم وسلاطينهم وجبابرتهم ، فضلل آراءهم ، وسفه أحلامهم ، وأبطل مِللهم ، وهدم دولهم ، وظهر دينه على سائر الأديان في مدة قليلة شرقاً وغرباً ، وزاد ظهوراً على مَرِّ الأزمان ، وأعداؤه مع تنوعهم وكثرة عَددهم وعُددهم وشدة شوكتهم وشكيمتهم وفرط تعصبهم وحميتهم وبذْل غاية جهدهم ، لم يقْدروا على إطفاء نور دينه ، ولا على طمس آثار مذهبه ، فهل يكون ذلك إلاّ بعون إلهيّ وتأييد سماوي ؟!

وكُتب أهل الكتاب نفسها تشهـد بصدق محمد ﷺ ، ففي سفر المزامير ١/ ٦ : (لأنّ الربَّ يَعلَمُ طريقَ الأبرارِ . أمّا طريقُ الأشرارِ فتَهْلِكُ) .

وفي المزمـور ٥/ ٦ : (تُهْلِكُ المتكلمينَ بـالكذبِ . رَجُلُ الـدمـاءِ والغِشِّ يَكْرَهُهُ الربُّ) .

وفي المزمور ٣٤/ ١٦ : (وجْـهُ الربِّ ضدُّ عـاملي الشَّرِّ ليَقْطَعَ من الأرضِ ذِكْرَهم) .

وفي المزمور ٣٧/ ١٧ و ٢٠ : (١٧) لأنّ سـواعدَ الأشرارِ تنكسِرُ وعـاضِدُ الصِّدِّيقين الربُّ (٢٠) لأنّ الأشرارَ يَهلِكُونَ وأعداءُ الربِّ كبَهاءِ المراعي . فَنُوا . كالدُّخانِ فَنُوا) .

وفي سفر أعمال الـرسل ٥/ ٣٥ - ٣٩ كـلام غمالائيل كمايلي : (٣٥) ثم قال لهم : أيّها الرجالُ الإسرائيليـونَ احترِزوا لأنفُسِكم من جهةِ هؤلاءِ الناسِ في ما أنتم مُزْمِعون أنْ تفعلوا (٣٦) لأنه قَبْلَ هذه الأيامِ قام ثُودَاسُ قائلاً عن نفسِه إنه شَيءٌ . الذي الْتَصَقَ بـه عَدَدٌ من الرجالِ نَحْوُ أربعِمِئَـةٍ . الذي قُتِل وجميعُ الذين انقـادوا إليه تبَـدّدوا وصاروا لا شَيءَ (٣٧) بَعْدَ هـذا قام يهوذا الجليليُّ في أيامِ الاكتتابِ وأزاغَ وراءَهُ شَعبـاً غفيراً . فذاك أيضاً هَلَك وجميعُ الـذين انقادوا إليه تشتتوا (٣٨) والآنَ أقـولُ لكم تَنَحّوْا عن هؤلاءِ الناسِ واتْـرُكوهم . لأنه إنْ كان هـذا الرأيُ أو هذا العمـل من الناس فسوف يَنْتَقِـضُ (٣٩) وإنْ كانَ من اللهِ فلا تَقْدِرون أنْ تَنقُضوه . لئلاّ تُوجَدوا محارِبينَ للهِ أيضاً) .

فعلى حسب نص هـذه الفقرات لو كـان محمد ﷺ متكلماً بـالكذب على اللـه ولم يكن نبيًّـا صادقـاً لأهلكـه الـربّ، ولَقطع من الأرض ذِكْـره ، ولكسر

سواعده ، ولأفناه كالدخان، ولَبـدده وأتباعه وشتتهم ، ولَنقض قوله وعمله ، ولكن اللـه تعـالى لم يفعل شيئـاً من ذلك ، بـل مدّ في الأرض ذِكْـره ، وعضـده ونصره ، وصدّق قـوله وعمله ، فثبت بها لا يدع مجالاً للشكّ صـدْق محمد ﷺ ونبوته ورسالته ، وثبت أنّ اليهود والنصـارى المكذبين له محاربون لله ورسوله ، وقد قـال الله تعـالى في سورة الشعراء آيـة ٢٢٧ : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ ، وقال الله تعالى في سـورة الصف آية ٨ : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ .

المسلك الخامس : أنـه ﷺ ظهر في وقت كـان الناس كلهم محتـاجين إلى من يهديهم إلى الطريق المستقيم ، ويدعوهم إلى الديـن القويم ، فالعرب كانوا على عبـادة الأوثـان، والفرس على الاعتقـاد بـإلهين ، والهند على عبـادة البقـر والشجر ، واليهود على التشبيه والجحود وتـرويج الأكاذيب المفتريات على الله وعلى أنبيائه ، والنصارى على التثليث وعبادة القـديسين ، وهكذا سائر أنحاء العـالم في أودية الضـلال ، فمِن حكمـة الله العليم الحكيـم أنْ يُرسِل في هـذا الوقت أحـداً يكون رحمة للعالمين ، ولم يظهر أحـد يصلح لهذا الشأن العظيـم ، ويؤسس هـذا البنيان القويم غير محمـد بن عبداللـه ﷺ ، فأزال ظلمة الشرك والتثليث والثنـوية والتشبيـه ، وأشرقت شموس التـوحيد على الأرض ، وإليـه أشار اللـه تعالى بقولـه في سورة المائدة آية ١٩ : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

المسلك السادس : إخبار الأنبيـاء المتقدّمين عليه عن نبـوته ﷺ ، (أيْ البشارات المحمدية في الكتب السماويّة السابقة) .

وقبل ذكر بعض هذه البشارات فيما يلي التنبيه إلى بعض الأمور :

١ــ أنّ أنبياء بني إسرائيـل أخبروا عن الحوادث الآتية ، كحادثـة بخت نصر وقورش وإسكندر وخلفائه ، وحوادث أرض أدوم ومصر ونينوى وبابل ، فيبعد كـل البعد أنْ لا يخبر أحـد منهم عن خروج محمـد ﷺ الذي كـان وقت ظهوره كأصغر البقول ، ثم صار شجرة عظيمة تتآوى طيور السماء في أغصانها ، فكسر الجبابرة والأكاسرة ، وشـاع دينه شيوعاً تامّاً في الأوطـان الأصلية لأنبياء بني إسرائيل ، وبلغ شرقاً وغرباً في مدة وجيزة ، وغلب كلّ الأديان ، وامتدّ من ذلك الوقت وإلى الآن هو في توسّع ، فهذه الحادثة أعظم من كل الحوادث التي أخبر عنهـا أنبيـاء بني إسرائيـل ، فكيف يجوِّز العقل السليـم أنهم أخبروا عن الحوادث الضعيفة ، وتركوا الإخبار عن هذه الحادثة العظيمة جدًّا ؟!

٢ــ أنّ النبيّ المتقـدم إذا أخبر عن النبي المتأخـر لا يشترط أنْ يخبر عنـه بالتفصيـل التام ، بل غالبـاً ما يكـون هذا الإخبار مجمـلاً ، فيكون خفيّـاً عند العوامّ ، أمـا عند العلماء فيكون جليّـاً بواسطة القـرائن ، وقد يكون خفيّـاً أيضاً عند العلماء ، فإذا ظهر النبيُّ وصُدِّقت نبوته بالمعجزات وعلامات النبوة ، صار عندهم جليّاً بلا ريب ، ولذلك عـاتب المسيحُ عليه السلام علماءَ اليهود بقوله المذكور في إنجيـل لوقـا ١١/ ٥٢ : (ويلٌ لكم أيها النامـوسيّونَ لأنكم أَخـذتمْ مفتاحَ المعرِفةِ . ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم) .

وقد قال علماء الإسلام : ما انفكّ كتابٌ منزّل من السماء مِن تضمّنِ ذكْرِ

النبيّ محمد ﷺ، لكنْ بإشارات ، ولو كان منجلياً للعوام لَـمَـا عوتب علماؤهم في كتمانه ، ثم ازداد ذلك غموضاً بنقله من لسان إلى لسان .

٣ـ أنّ أهـل الكتاب كـانوا ينتظـرون نبيًّا آخـر غير المسيح ، ففي إنجيل يوحنا ١/ ١٩ــ ٢٥ أنّ علماء اليهود سألوا يحيى عليـه السلام : أأنت المسيح ؟ ولَـمّـا أنكر سألـوه : أأنت إيليّا ؟ ولَـمّـا أنكر سألـوه : أأنت النبيّ ؟ أيْ النبيّ المعهود الـذي أخبر عنه مـوسى عليه السلام ، فعُلِـم أنّ النبيّ محمداً ﷺ كان منتظَراً مثل المسيح، وكـان مشهوراً عندهم بحيث ما كان محتـاجاً إلى ذكر الاسم، بل الإشـارة إليه كانت كـافية ، ولذلـك قابلوه بـالمسيح ، ففي إنجيل يوحنا ٧/ ٤٠ـ٤١ : (٤٠) فكثيرون من الجمْع لمّا سمعوا هذا الكلامَ قالوا هذا بالحقيقة هو النبيُّ (٤١) آخرون قالوا هذا هو المسيح) .

ولمّا لم يثبت مجيء هذا النبي المعهـود قبل المسيح ، فثبت قطعاً أنـه يكون بعد المسيح ، وأنه هو محمد ﷺ .

وأمّـا قـول المسيح عليـه السـلام في إنجيـل متّى ٧/ ١٥ : (احترزوا من الأنبيـاء الكذَبـة الذيـن يأتونكم بثيـاب الحُمْـلانِ ولكنهـم مِنْ داخــلٍ ذئابٌ خاطفةٌ) . فالتمسك بهذا النص لنفي نبوة محمد ﷺ باطل قطعاً ؛ لأنّ المسيح عليه السلام لم يأمر بالاحتراز من النبي الصادق ، ولا أمر بالاحتراز من كل نبيّ يأتي بعده مطلقـاً ، وإنما أمر بالاحتراز من الأنبيـاء الكذبة فقـط ، وقد ثبت في كتبهم ظهور أنبياء كـذبة كثيرين في الطبقة الأولى بعد رفع المسيـح عليه السلام في عهد الحواريين ، فمقصـود المسيح عليه السلام التحـذير من هـؤلاء الأنبياء الكاذبين لا من النبيّ الصادق الذي له علامات تدل على صدقه ، ولذلك قال

بعـد ذلك القول مبـاشرة في إنجيل متّـى ٧/ ١٦ و١٧ و٢٠ : (١٦) مِن ثمارهم تعرفونهم . هـل يَـجْتَنُون من الشوكِ عِنَباً أو من الحَسَكِ تِينـاً (١٧) هكذا كلُّ شجرةٍ جيّدةٍ تَصنـعُ أثماراً جيّدةً . وأما الشجرةُ الرديّـةُ فتصنع أثماراً رديّةً (٢٠) فإذاً من ثمارهـم تعرِفونهمْ) .

ولاشك أنّ محمـداً ﷺ من الأنبيـاء الصـادقين كما تـدلّ عليـه ثماره وثمار دعوته ، ولا قيمة لطعن المنكرين له؛ لأنّ اليهود أنكروا نبوة عيسى عليه السلام وكفّروه، وليس عندهم رجل أشرّ منه من ابتـداء العالم إلى زمان خروجه ، وكذا ملاحدة أوروبا أنكروا وجـود عيسى واستهزأوا به ، وألّفوا في ذلك كتباً كثيرة ، وانتشرت كتبهم في أنحاء العالم، ويزيد أتبـاعهم كل يوم في ديار أوروبا ، فكما أنّ إنكـار اليهود ومـلاحدة أوروبـا لعيسى غير مقبـول عند النصـارى وعندنـا أيضاً، فكذلك إنكار أهل التثليث لمحمد ﷺ غير مقبول عندنا .

٤ـ أنّ أهل الكتاب سلفـاً وخلفاً عادتهم جارية في تـراجمهم بأنهم غالباً يترجمون الأسماء ويوردون بدلها معانيها ، ويـزيدون تارة شيئاً بطريق التفسير في متن الكلام الذي هو بزعمهم كلام الله ، وهـذان الأمران بمنزلة الأمور العادية عندهم ، ومن تأمل في تراجمهم المتداولة بألْسنةٍ مختلفة وجد شواهد تلك الأمور كثيرة ، فلو بـدلوا في نصـوص البشارات المحمديـة اسماً من أسماء النبي ﷺ أو زادوا شيئـاً غامضـاً فلا استبعـاد منهم؛ لأنّ هـذا الأمر يصـدر عنهم بحسب عادتهم ، ولذلك لا يرجى منهـم المحافظة في كتبهم على اسم محمد أو أحمد أو لقب مـن ألقـابـه ﷺ ؛ لأنّ عادتهم الجبلّيّـة التغيير والتبـديـل في كتبهم تغيراً بحيث يخلّ بالاستدلال حسب الظاهر ؛ لتأييد مسـألةٍ مقبولةٍ عندهـم أو لدفع

الاعتراض الوارد ضـدّهم، وفِـرقهم لم يقصّروا في هذا الأمـر في مقابلـة بعضهم بعضاً ، ولاشك أنّ اهتمامهم بمثل هذا الأمر في مقابلة المسلمين أشدّ وأقوى ، ولـذلك نجد أنّ نصـوص البشـارات المحمديـة التي نقلهـا القدمـاء من علماء المسلمين في كتبهم غير مـوافقـة في كثير من الألفـاظ للتراجم المشهـورة الآن ، والسبب أنهم نقلوا مـن كتب أهل الكتاب المشهورة في زمـانهم، ثم وقع التغيير في الألفاظ بعـدهم ، وقـد يكون اختـلاف التراجم أيضاً سببـاً في ذلك ، لكن الأول هـو الراجـح ، لأننا نـرى أنّ هـذه العـادة في التغيير جاريـة في تـراجمهم وكتبهم إلى هذا الحين . وفيما يلي نقل بعض البشارات المحمـدية من كتب أهل الكتاب :

البشارة الأولى: ورد في سفر التثنية ١٨/ ١٧ــ ٢٢ : (١٧) قالَ لي الربُّ قـدْ أَحْسَنوا في مـا تكلّموا (١٨) أُقيمُ لهم نبيّـاً من وسطِ إخـوتهمْ مِثْلَكَ وأَجعلُ كلامي في فمـهِ فيَكَلِّمُهُمْ بكلِّ ما أُوصيه به (١٩) ويكـونُ أنّ الإنسانَ الذي لا يَسْمَعُ لكلامي الذي يَتكلَّمُ به باسْمي أنـا أُطالِبُهُ (٢٠) وأمّا النبيُّ الذي يُطْغِي فيَتَكَلّمُ بـاسْمي كلامـاً لم أُوصِهِ أنْ يتكلَّمَ به أوِ الـذي يَتَكلَّمُ باسْـمِ آلهةٍ أخرى فيَمُـوتُ ذلك النبـيُّ (٢١) وإنْ قلتَ في قلبكَ كيـف نَعـرِفُ الكـلامَ الـذي لم يتكلَّمْ بـه الـربُّ (٢٢) فما تكلَّمَ به النبـيُّ باسْـمِ الربِّ ولم يَحْدُثْ ولم يَصِرْ فهـو الكلامُ الذي لم يَتَكلمْ به الربُّ بلْ بطُغيانٍ تكلّمَ به النبيُّ فلا تَخَفْ منه).

فالنبيُّ المقصود بهذه البشارة هو محمـد ﷺ ، وليس هو يوشع بن نون كما زعم اليهود ، ولا هو عيسى عليه السلام كما زعم النصارى؛ لما يلى :

١ـ أنّ اليهـود المعاصريـن لعيسى عليه السـلام كانـوا ينتظرون نبيًّـا آخر مبشَّراً به ، فهـذا الانتظار دليل قطعيّ على أنّ المبشَّر بـه غير يوشع الـذي كان معاصراً لموسى عليه السلام، وأيضاً هو غير عيسى الذي كان حاضراً معهم.

٢ـ أنـه وقع في نص هـذه البشارة لفظ (مِثْلَـك)، ويوشع وعيسى ليسـا مثل موسى عليه السلام؛ لأنهما من بني إسرائيل ، وعلى حسب نص فقرة سفر التثنية ٣٤/ ١٠ لم يقم في بني إسرائيل نبـيّ مثْل موسى الذي كلّمه اللـه وأرسله بكتاب مستقلٍّ وشريعة جديدة مشتملـة على الأوامر والنواهي والحدود وأحكام الحلال والحرام والغسل والطهـارات وغيرها ، بينما كـان يوشع وعيسى تـابعيْن لشريعته ، وكـان موسـى عليه السـلام رئيساً مطـاعاً في قـومه منفّـذاً للحدود ومسلَّطاً عليهم ، وليس كذلك عيسى عليه السـلام؛ لأنّ كتابه الإنجيل خالٍ

عن الأحكام والتشريعات ، ولم يكـن مطاعاً في قومه ، بل هـو بزعم النصارى قُتِل مصلوباً بأيدي اليهود بعدما كفّروه وأهـانوه ، فلا توجد المماثلة التامّة بينه وبين موسى عليهما السلام .

٣- أنـه وقـع في هـذه البشـارة لفظ (مـن وسط إخـوتهم) وفي بعض الروايات (من بين إخوتهم) ، ولاشك أنّ الأسباط الاثنـي عشر كانوا موجودين في ذلك الـوقت مع مـوسى عليـه السلام ، فلـو كـان النبيّ المبشَّر بـه من بني إسرائيل لقال : (منهم) أو (مِـن بينهم) أو (مِن أنفُسِهـم) أو (مِن خَلَفِهم) ، وبما أنّ يوشـع وعيسى يرجع نسبهما إلى يعقـوب بن إسحاق بن إبـراهيم عليهم السـلام ، فهما من بني إسرائيل ولاتصـدق فيهما هـذه البشارة ، والصـواب أنّ المراد بـالإخوة هنـا هم بنـو إسماعيل بـن إبراهيـم عليهما السلام ، فقـد ورد في التوراة إطلاق لفظ الإخـــوة على نســل إسماعيل ونســـل إسحاق ، وورد في حق إسماعيل عليـه السلام في سفـر التكوين ١٦/ ١٢ : (وأَمـامَ جميعِ إخـوتِهِ يَسْكُنُ) .

وكذلك في سفر التكوين ٢٥/ ١٨ : (أمامَ جميعِ إخوتِه نَزَل) .

وبما أنّ محمداً ﷺ من نسل إسماعيل إخوة بني إسرائيـل فتصْدُق فيه هذه البشارة صِدْقاً بيّناً .

٤ـ أنّ هذه البشارة وردت بصيغة الاستقبال؛ لأنّ لفظ (سوف أُقيم) أو (أُقيم) أو (يُقيم) دالٌّ على مستقبل الزمان ، فلا يصْـدق على يوشع فتى موسى الذي كان حاضراً عنده وملازماً له ، وداخلاً في قوم بني إسرائيل .

٥ـ أنه وقع في هـذه البشارة لفظ : (أَجعلُ كلامي في فمـه)، وهو إشارة

إلى أنّ النبيَّ المبشَّر بـه ينــزل عليـه كتـاب ، ويكـون أميّـاً لا يقـرأ في السطـور المكتوبة، وإنما ينطق بكـلام الله المنزل عليه والمحفـوظ في صدره ، ولا يصْدق ذلك على يوشع الذي لم ينزل عليه كتـاب أصلاً ، وكان يقرأ التوراة من السطور المكتوبة لا من حفظه .

٦ـ أنـه وقع في هذه البشارة :.(الإنسـان الذي لا يسمع لكـلامي الذي يتكلم به باسْمي أنا أطالبه)، وفي روايـة : (ومَن لم يطعْ كلامه الذي يتكلم به باسْمـي فأنا أكـون المنتقم من ذلك) . ولمّا كـان هذا الانتقام امتيـازاً لهذا النبيّ المبشَّر به عـن غيره من الأنبياء فـلا يجوز أنْ يُراد بالانتقـام من منكر هـذا النبيّ الانتقام الدنيـويّ بالمحن، ولا الانتقام الأخرويّ في جهنم؛ لأنّ هـذا النوع من الانتقـام الدنيـويّ أو الأخـرويّ لا يختصّ بإنكـار نبيّ دون نبـيّ ، بل هـو يعمّ الجميع، والصـواب أنّ المراد بالانتقـام هنـا الانتقام التشريعـيّ بأنْ يكون هـذا النبيّ المبشَّر بـه مأموراً مـن الله تعـالى بالانتقـام من المنكـرين له، ومجاهـدتهم بالسيـف، واستحلال دمائهم وأمـوالهم ، وسبْي ذراريهم ، وهذا يصْـدق كلّ الصـدق على محمد ﷺ ، ولا يصْـدق على عيسى عليـه السـلام؛ لأنـه لم يكن مأموراً بقتـال منكريه، وإنجيله خـالٍ عن أحكام الحدود والقصاص والتعـزير والجهاد.

٧ـ أنه وقـع في هذه البشارة في طبعة سنة ١٨٤٤ م : (فأمَّـا النبيّ الذي يجترئ بـالكبرياء ويتكلّمُ في اسمي مـا لم آمره بـأنه يقـوله أم بـاسْم آلهةٍ غيري فلْيُقتل) .

وهو نص صريح في أنّ النبيّ الكاذب الذي ينسب إلى اللـه ما لم يأمره به

يُقتل ، وهو موافق لقوله تعالى في سورة الحاقة آية ٤٤ ــ ٤٦ :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ ، فلو لم يكن محمد ﷺ نبيّاً صادقاً لَقُتِلَ ، ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام قاتل الأعداء وثبت لهم بنفسه في مواطن كثيرة ، ولم يستطع أحد قَتْلـه ، وعصمه الله تعالى من أعدائه ، وعاش حتى الْتحق بالـرفيق الأعلى بوفاةٍ عادية وموتٍ طبيعيّ ، تصـديقاً لقوله تعالى في سورة المائدة آية ٦٧ : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ، وأما عيسى عليه السلام فيزعم أهل الكتـاب أنه قُتِلَ مصلوباً ، فلو كانـت هذه البشارة في حقه لَلَزم أنْ يكون متنبئاً كذاباً كما يزعم اليهود –والعياذ بالله .

تنبيه : بما أنّ محمـداً ﷺ مات مـوتـاً طبيعيًّـا ولم يُقتل فتصْـدق فيه هـذه البشـارة صِدْقـاً جليّـاً ، فلمَّا تنبّـه أهلُ الكتـاب إلى ذلك قـاموا بتبـديل كلمـة (فلْيُقتل) الـواردة في الطبعات القـديمة ، ووضعـوا مكانها كلمـة (فيموت) في طبعة سنة ١٨٦٥م ومـا بعدها ؛ إصراراً منهم على تكـذيب محمد ﷺ ، وذلك لأنّ الموت أعمّ من القتل ، والنبيّ الصـادق والكاذب كلاهما يمـوتان ، ولكن هذا التحـريف لنص البشـارة لم ينفعهم في صرفها عـن الدلالـة على محمد ﷺ لمايلي :

٨ـ لأنّ الفقرة (٢٢) آخـر فقرات البشارة بينت أنّ علامـة النبيّ الكاذب أنّ إخباره عن الحوادث الغيبيـة المستقبلية لا يكـون صادقاً ؛ لأنّ اللـه يفضحه ويظهر كذبـه ، وبما أنّ محمداً ﷺ أخبر عن حوادث مستقبليـة كثيرة وظهر فيها صدقه ، فيكون نبيًّا صادقاً حقًّا مرسَلاً من الله تعالى .

٩ـ ولأنّ علماء اليهود المعاصرين له سلّموا بأنّ محمداً ﷺ هو المبشَّر به في

التوراة ، وبعضهم أَسْلم مثل : مخيريق وعبدالله بن سلام وكعب الأحبار ، وبعضهم سلّم بنبوته ولم يُسْلِم مثل : عبدالله بن صوريا وحييّ بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، ولا غرابة في ذلك ؛ لأنّ علماء اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام سلّموا بنبوته ومعجزاته ، ثم أفتوا بكفره وقتْله كما هو مصرح به في إنجيل يوحنا ١١/ ٤٥ ـ٥٧ و ١٨/ ١ـ ٢٤ .

اعتراض أول : إخوة بني إسرائيل لا ينحصرون في بني إسماعيل فقط ؛ لأنّ بني عيسو بن إسحاق إخوتهم أيضاً .

الجواب : لم يظهر في بني عيسو بن إسحاق نبيّ تنطبق عليه الأمور المذكورة في هذه البشارة ، ولم يَرِدْ وعدٌ من الله لإبراهيم في حق عيسو بن إسحاق ، لكنْ ورد وعدُ الله لإبراهيم وهاجر في حقّ ابنهما إسماعيل ونسْله في مواضع كثيرة من التوراة .

اعتراض ثانٍ : ورد في بعض الطبعات في هذه البشارة لفظ (الربُّ إلهك يُقيم من بينك من بين إخوتك) . فلفظ (من بينك) صريح في أنّ النبيّ المبشَّر به يكون من بني إسرائيل .

الجواب : لو سلّمنا بذلك لا ينافي مقصودنا ؛ لأنّ قوله (من بين إخوتك) إمّا بدل اشتمال وإمَّا بدل إضراب ، وعلى كلا التقديرين يكون المبدَل منه غير مقصود، ويكون المقصود الأصلي لفظ : (من بين إخوتك)، ثم إنّ محمداً ﷺ لمّا هاجر إلى المدينة المنورة ، وبها تكامل أمره ، وكان بها وحولها عدد من قبائل اليهود مثل خيبر وبني النضير وبني قينقاع وبني قريظة، فكأنّه قام من بينهم، وهو في نفس الوقت قام من بين إخوتهم .

فائدة : فيما يلي بعض أوجه المماثلة بين موسى ومحمد ﷺ ، فكلاهما :
(١) عبدالله ورسوله (٢) ذو والدين (٣) ذو نكاح وأولاد (٤) مأمور بالجهاد وبقتل المشركين الوثنيّين (٥) مأمور بحدّ الزنا (٦) قادر على إجراء الحدود (٧) رئيس مطاع في قومه (٨) شريعتهما مشتملة على اشتراط طهارة الثوب والبدن للعبادة ، والغسل للجنب والحائض والنفساء (٩) شريعتهما تحرم غير المذبوح وتحرم قرابين الأوثان (١٠) شريعتهما فيها تعيين القصاص والحدود والتعزيرات (١١) تحريم الربا (١٢) موتهما على الفراش ودفنهما .

وهكذا أمور أخرى تظهر منها المماثلة بالتأمل ، ولذلك قال الله تعالى في سورة المزمل آية ١٥ : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ .

البشارة الثانية : ورد في سفر التثنية ٣٣/ ١ـ٢ : (١) وهذه هي البَرَكَةُ التي بارك بها موسى رجُلُ الله بني إسرائيل قبل موته (٢) فقال : جاءَ الربُّ من سِيناءَ وأشرقَ لهمْ من سَعِيرَ وتلألأ من جبل فارانَ وأتى مِنْ رِبْواتِ القُدْسِ وعن يَمينِهِ نارُ شريعةٍ لهم) .

وفي طبعة سنة ١٨٤٤م وردت العبارة التالية : (استعلنَ من جبلِ فارانَ ومعه ألوفُ الأطهار في يمينِهِ سنّةٌ من نار) .

فمجيء الربِّ من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام ، وإشراقه من ساعير إعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام ؛ لأنّ ساعير اسمٌ لجبال فلسطين ، واسمٌ لقرية من قرى الناصرة ، وأما استعلانه من جبل فاران فهو إنزاله القرآن الكريم على محمد ﷺ ؛ لأنّ فاران هي مكة المكرمة ، والدليل على ذلك ما ورد في حق إسماعيل عليه السلام في سفر التكوين ٢١/ ٢٠ـ٢١ : (٢٠) وكان اللهُ معَ الغلامِ فكبُرَ . وسكنَ في البرِّيَّةِ وكان ينْمو راميَ قوسٍ (٢١) وسكنَ في برِّيَّةِ فارانَ . وأخذتْ له أُمُّه زوجةً مِنْ أرضِ مِصْرَ) .

وفي التوراة السامرية المطبوعة سنة ١٨٥١م تحديد فاران بأنها في الحجاز ، وعبارتها كمايلي : (سَكَنَ برِّيَّةَ فارانَ بالحجاز) .

ولاشك أنّ إسماعيل عليه السلام كان مسكنه مكة المكرمة ، ولم يظهر فيها نبي بعده غير حفيده محمد ﷺ ، فظهر أنّ المقصود باستعلان الله من جبل فاران هو نزول الوحي على محمد ﷺ في مكة المكرمة ؛ لأنه لا يقال : جاء الله من ذلك الموضع إلاّ إذا نزل فيه وحْيٌ من الله ، وبما أنّ الوحي نزل بالتوراة في سيناء ، ونزل الوحي بالإنجيل في ساعير (فلسطين) ، فكذا لابدّ أنْ يكون

المقصود هنا نـزول الوحي بالقـرآن الكريم في مكة المكرمـة ، وأول شيء نزل من القرآن الكـريم كان في غار حراء الـذي هو في أعلى جبال فاران ، وعبـارة طبعة سنة ١٨٤٤م : (ومعه ألوف الأطهار)؛ وعبارة بعض النسخ القديمة : (ومعه ألوف الصـالحين ومعه كتـابٌ ناريّ) صريحة في الـدلالة على الصحـابة الـذين نصروا محمداً ﷺ ، وعَزَّ الدينُ بمتابعتهم لـه وجهادهم معه ، فإذا فكّر العاقل المنصِف مَنْ هـو النبيُّ المبعوث في فاران ومعـه ألوف الأطهار والصـالحين ومعه كتاب ناريّ -الـذي ما منه سورة إلاّ وفيها الـوعيد بالنار للكـافرين والمخالفين له- عَلم يقيناً أنّ هذا المبشَّر به هو محمد ﷺ ، ولوضوح هذه البشارة في الدلالة عليه وكأنها نصٌّ فيه عَمَدَ أهلُ الكتاب إلى حذف عبارة : (ومعه ألوف الأطهار) وعبارة : (ومعه كتـاب ناريّ) من الطبعات الحديثة ، فهذه البشـارة تدل دلالة صريحة على الأنبياء الثـلاثة مـوسى وعيسى ومحمـد عليهم الصلاة والسـلام ، وتدل على الكتب الثلاثـة المنزلة عليهم في هذه المواضع الثلاثـة المباركة ، وهي موافقة لقوله تعالى في سورة التين آية ١ـ٣ : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ حيث أشار لمواضع بعثة الأنبياء الثلاثة؛ لأنّ فلسطين يكثر فيها التين والزيتون، لكنْ لمّا كان المقصـود في القرآن التعظيم ، تدرج من الأدنى إلى الأعلى ، فرسـالة موسـى عليه السلام أعظم من رسـالة عيسى عليـه السلام ، ورسـالـة محمـد ﷺ أعظـم من رسـالتيهما ، وكـذلك مكـة أشرف وأقـدس من فلسطين وسيناء ، ولمّا كـان المقصود في التوراة الخبر التاريخي فقط ذُكـرت هذه المواضع الثلاثة مرتبة على حسب زمان بعثـة الأنبياء الثلاثة ، فشبّه بعثة موسى بمجيء الفجـر ، وشبّـه بعثة عيسـى بشروق الشمس ، وشبّـه بعثة محمـد ﷺ بالظهور والاستعلان في كبد السماء الذي هـو أوضح من سابقيْه ، وبه يتمّ النور على الخلائق ويكتمل ، ولم يستعلن دين وكتاب في الأرض ماحياً ظلمات الشرك والوثنية كالإسلام والقرآن اللذين جاء بهما محمد ﷺ .

البشارة الثالثة: ورد في سفر التكوين ١٧/ ٢٠: (وأمّا إسماعيلُ فقدْ سمعتُ لكَ فيه . ها أنا أُبارِكُه وأُثْمِرُهُ وأُكَثِّرُهُ كثيراً جدّاً . اثنيْ عَشَر رئيساً يلِدُ وأجعلُه أُمّةً كبيرةً) .

ونصها في طبعة سنة ١٨٤٤م كمايلي : (وعلى إسماعيلَ استجبتُ لك هُوَذا أُبارِكُه وأُكَبِّرُه وأُكَثِّرُه جدّاً فسيلِدُ اثنيْ عَشَر رئيساً وأجعلُهُ لشَعبٍ كبيرٍ) .

وورد نصها في بعض التراجم العربية القديمة كمايلى : (وأمّا في إسماعيلَ فقدْ قَبِلتُ دُعاكَ هاأنا قد باركتُ فيه وأُثْمِرُه وأُكَبِّرُه بماد ماد) .

وقد صرح القاضي عياض في كتابه (الشفا) بأنّ من أسمائه ﷺ (مادماد)، فقوله في البشارة: (وأَجعلُهُ أُمّةً كبيرةً) (وأَجعَلُهُ لِشَعْبٍ كبيرٍ)، بشارة بمحمد ﷺ ؛ لأنه لم يكن في ولد إسماعيل عليه السلام مَن كان له شعب كبير وأمّة كبيرة غير حفيده محمد ﷺ ، فهو الذي ورد في حقه دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في قوله تعالى في سورة البقرة آية ١٢٩ : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

وقد ذكر القرطبي في كتابه (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام) بأنه يخرج من النص العبري لهذه البشارة اسم محمد ﷺ في موضعين بحساب الجُمّل الذي يستعمله اليهود فيما بينهم؛ لأنّ قوله في الترجمة العربية : (وأُكَثِّرُه كثيراً جدّاً) وفي بعض الطبعات (جدّاً جدّاً) يقابله في اللغة العبرية (بماد ماد) ، وقوله (لشعب كبير) يقابله (لجوي جدول) ، ويبلغ مجموع حروف هذه الكلمات العبرية بحساب الجُمّل مجموع حروف كلمة (محمد)،

وهو اثنان وتسعون، وصورتها بالحساب المذكور كمايلي :

م	ح	م	د	
٤٠ +	٨ +	٤٠ +	٤	= ٩٢

ب	م	ا	د	م	ا	د	
٢ +	٤٠ +	١ +	٤ +	٤٠ +	١ +	٤	= ٩٢

ل	ج	و	ي	ج	د	و	ل	
٣٠ +	٣ +	٦ +	١٠ +	٣ +	٤ +	٦ +	٣٠	= ٩٢

ولمّا أسلم الحبر عبد السلام الدفتري في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) صنف رسالة صغيرة ، سماها : (الرسالة الهادية)، وذكر فيها أنّ أكثر أدلة أحبار اليهود بحرف الجُمّل الكبير الذي هو حرف أبجد ، وردّ فيها على اليهود الذين نفوا أنْ تكون كلمة (بماداد) رمزاً لاسم محمد ﷺ ، على ما تعارف عليه أحبارهم وأَخفوه فيما بينهم ، وضرب مثالاً لكيفية استعمالهم هذا الحساب .

فوعْدُ الله لإبراهيم وهاجر بتكثير نسلهما من إسماعيل حتى يكون أُمّة كبيرة وارد مورد المدح والتشريف لإسماعيل ، ولا شرف له ولا مدح بكثرة النسل فقط إذا لم يكونوا على التوحيد والإيمان ، ولمّا لمْ يظهر بعده نبيّ في مكة يدعو لذلك غير حفيده محمد ﷺ ، فكوْن إسماعيل أُمّة كبيرة لم يظهر إلاّ ببعثة محمد ﷺ ، ومَن أنكر صدْقَ هذه البشارةْ فيه وتصديقَ وعْدِ الله بظهوره فليقل لنا أين هي الأمّة الكبيرة التي ظهرت لإسماعيل غير الأمة المحمدية ؟!

البشارة الرابعة: في سياق الحديث عن عبادة بني إسرائيل الأوثان ورد في سفر التثنية ٣٢/ ٢١ : (هـمْ أغاروني بما ليس إلهاً. أغاظوني بأباطيلهم . فأنا أُغِيرُهُمْ بما ليس شَعْباً . بأمّةٍ غبيّةٍ أُغيظُهُمْ) .

ونصها في طبعـة سنة ١٨٤٤م كمايلي : (هـم أغاروني بغير إلـهٍ وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلةِ وأنا أيضاً أُغِيرُهُمْ بغير شَعْبٍ وبشَعْبٍ جاهلٍ أُغضِبُهُمْ) .

ويزيـد هذه البشارة بيـاناً النصّ التـالي من سفر إشعيـاء ٦٥/ ١- ٦ ، وما كُتب بين الأقواس المعقوفة هو من طبعة سنة ١٨٤٤م : (١) أصْغَيْتُ إلى الذين لم يَسْألوا . وُجِدْتُ مِنَ الـذين لم يطلبوني . قلتُ ها أنَذَا لأمّـةٍ لم تُسَمّ [يَدْعوا] باسْمي (٢) بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النهـارِ إلى شَعْبٍ مُتمرّدٍ [غيرِ مؤمنٍ] سائرٍ في طـريقٍ غيرِ صـالحٍ وراءَ أفكـارِه (٣) شعبٍ يغيظُني بـوجهي [يُغضِبني أمـامَ وجهي] دائماً يَذْبحُ في الجنّاتِ [البساتين] ويُبخِّـرُ على الآجُرِّ [ويَذبحونَ على اللَّبِن] (٤) يجلسُ في القبور ويَبيتُ في المدافنِ [وفي مساجـدِ الأوثانِ يرقدون] يأكلُ لحمَ الخِنـزيرِ وفي آنيتـهِ مَرَقُ لحومٍ نَجِسـةٍ (٥) يقولُ : قِفْ عنـدك [ابعدْ عني] لا تَـدْنُ منّي لأني أَقْـدَسُ منك [لأنـك نَجِسٌ] هـؤلاءِ دُخَـانٌ في أنفي [رِجْزي] نارٌ مُتّقِدَةٌ كُلَّ النهارِ (٦) ها قدْ كُتِبَ أمامي [قُدّامي] لا أسْكُتُ بل أُجازي أُجازي [أرُدّ وأُكافي جزاءً] في حِضْنِهِمْ) .

فالمراد بالشعب الجاهـل : العرب؛ لأنهم كانوا في غايـة الضلالة والجهل ، وهم المقصودون بالـذين (لم يَسألوا ولم يطلبوني ولم يَدْعوا بـاسْمي)؛ لأنهم كانوا غير واقفين على التوحيـد الحقيقي لله ، ولا عارفين لصفـاته وأسمائه الحسنى ، ولا عـاملين بالشرائع المستقيمـة ، وما كـانوا يعـرفون سـوى عبادة الأصنـام ،

فكأنهم ما كانوا سائلين عن الله ، ولا طالبين له ، ولا داعين باسْمه ، وفي أودية الضلال يهيمون ، كما قال تعالى في سورة آل عمران آية ١٦٤ : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ، ومثلها في سورة الجمعة آية ٢ قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ .

وكان اليهود يحتقرون العرب لكونهم أولاد الأمَةِ هاجر، ولجهلهم بالله وضلالتهم، ويرى اليهودُ أنفسهم أنهم يمتازون عن العرب بكونهم أولاد الحرّة سارة، وفيهم الأنبياء والكتب والتشريع ، ولكنّ بني إسرائيل بقتلهم الأنبياء ، وانحرافهم عن التوحيد ، وعبادتهم آلهة الأمم الوثنية وتقديم الذبائح لها أغضبوا الله تعالى ، فشاء سبحانه أنْ يغيظهم بنقل النبوة منهم ، وباصطفاء العرب الذين هم في نظرهم محقّرون وجاهلون ، فكانت بعثةُ النبيّ محمد ﷺ في هذه الأُمّة الأمية، وإنزالُ الكتاب والحِكْمة عليه لهدايتهم إلى الصراط المستقيمِ -أكبرَ درجات الإغاظة لبني إسرائيل .

وإننا إذا تتبعنا تاريخ اليهود وجدْنا أنّ أكثر أُمّة أغاظت اليهود هي أُمّة العرب بعد البعثة المحمدية؛ لأنه وإنْ كان الفرس والروم قد دمروا مملكة اليهود في فلسطين وسبوهم أكثر من مرة ، إلاّ أنهم لم يظهر فيهم كتابٌ ونبوّةٌ تقابل نبوّة موسى وكتابه، تكون سبباً لغيظ اليهود وحقدهم وغيْرتهم ، أمّا أمّةُ محمد ﷺ فقد سَبَتِ اليهودَ وأذلّتهم، وأورثها الله الكتابَ والنبوة بعد انقطاعها في بني

إسرائيل، حتى نـافق اليهود للعرب وتملّقـوهم وخافوهـم ، ولاشك أنّ في هذا غاية الإغاظة والإغارة لبني إسرائيل .

ومَن فسّر هذه البشارة بنبوة المسيح عليه السلام فلا يُلْتفت إلى تفسيره ؛ لأنّ المسيح من بني إسرائيـل وفيهم أُرسِل ، ولا يغار الإنسـان من بَنِيه ، لكنـه قد تحصل لـه الغيْرةُ من بني إخـوتـه وبني أعمامـه ، وبخاصّـة إذا كـانوا في نظـره محتقريـن ، ثم إنّ وصْف الجهالـة والأمية لم يكن يصْـدق على أية أمّـة إلى نهاية القرن السـادس الميلادي إلاّ على العـرب؛ لأنّ القراءة والكتابـة وعلومـاً أخرى كانت معروفة في أمم ذلك الزمان ماعدا الأمة العربية ، فكأنّ هذه البشارة نص فيهم وفي النبيّ المبعوث منهم محمد ﷺ .

والبشارات التي في كتب أهل الكتاب كثيرة، بعضهـا بشارة بمحمد ﷺ ، وبعضها فيها إشارة لأمته ، أو إشارة للوحي المنزل عليه ، أو إشارة لجهاده ، أو إشارة للتسبيح والأذان، أو إشارة لمكة المكرمة، أو إشارة لاتساع رقعة الإسلام، وبعض البشـارات أوردهـا المسيح عليـه السلام بـأمثالٍ مضروبـة، كما نقلَتْهـا الأناجيل .

الخاتمة

أحمد الله تعالى الذي أعانني على إتمام هذا المختصر، وأسأله سبحانه أنْ يجعله عند حُسن ظنّ الإخوة الكثيرين الذين أشاروا عليّ بهذا العمل الجليل، كما أسأله سبحانه أنْ يجعله نافعاً للقارئ الباحث عن الحقّ.

أيها القارئ الكريم: إنّ هذا الكتاب قد كشف لك حقيقة كتب العهدين، وأثبتَ أنّ أهل الكتاب لا يوجد عندهم سندٌ متّصل لأيٍّ كتاب من كتب العهدين القديم والجديد، وأنّ هذه الكتب فاقدة لصفة الوحي والإلهام، فهي مليئة بالاختلافات والتناقضات والأغلاط والتحريف.

كما أنّ هذا الكتاب أبطل عقيدتيْ التثليث وألوهيّة المسيح، وأثبت بما لا يدع مجالاً للشك في أنّ المسيح بَشرٌ مخلوقٌ، وأنّه عبدُ الله ورسوله.

وفي هذا الكتاب ردٌّ على الشُبَه التي يثيرها المنصِّرون والمستشرقون ضدّ القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، فهناك أمور تدلّ دلالةً قطعيّة على أنّ القرآن الكريم كلامُ الله تعالى، أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ، الذي بشّرت به كتب أهل الكتاب، ورغم التحريف الواقع فيها فالبشارات الواردة في هذه الكتب لم يظهر تصديقها إلا ببعثة محمد ﷺ، فكأنّها نصّ صريح على أنّه نبيٌّ صادق، وأنّه رسول الله إلى العالمين.

فيا أيّها اللبيب العاقل، اترك التعصّب والهوى، واختر لنفسك الدين الذي رضيه الله تعالى للناس كافّة ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾.

اللهمّ نجّنا من سوء الاعتقاد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

فهرست مختصر كتاب إظهار الحقّ

رقم الإيداع : ١٦/٠٠١٩
ردمك : ١-٠٣٠-٢٩-٩٩٦٠